من حقيبتي

فرهاد عوني

الطبعة الثانية
٢٠١٤
طبعة مزيدة ومنقحة

فرهاد عوني

من حقيبتي

تقديم

قاسم محمد علي

الطبعة الثانية
1014
طبعة مزيدة ومنقحة

- **اسم الكتاب/ من حقيبتي**
- **المؤلف/ فرهاد عوني**
- **تقديم/ قاسم محمد علي**
- **التصميم الداخلي والغلاف/ عمر شهاب**
- **تخطيط الغلاف/ علي درويش**
- **عدد النسخ** /500
- **الطبعة الثانية** 1014
- **رقم الإيداع في المكتبة المكتبة الوطنية لوزارة الثقافة والشباب في إقليم كوردستان** (111) **لسنة** 1011

ت	الموضوع	الصفحة
.1	مقدمة الطبعة الثانية	7
.1	ندوب في جسد الكتابة	9
.3	مسامير	13
.4	لماذا تأخر تنفيذ قانون صندوق تقاعد صحفيي كوردستان؟	15
.5	ليس دفاعا عن النقابة وإنما عن الحقيقة..	11
.6	لمصلحة من يجرى هذا التشويه؟!	15
.7	حسبناكم ساهرين!!	19
.8	مازلنا عند كلامنا.. (حسبناكم ساهرين)	31
.9	خطوة عملية أخرى نحو ضمان حقوق الصحفيين في كوردستان	33
.10	اجتماعات موسعة	35
.11	من اجل قانون متكامل	37
.11	معالجة الخلل	39
.13	هل نتعظ من خسارة فتح!؟	41
.14	أوقفوا هذه المهازل في مطار بغداد الدولي	43
.15	من اجل كوردستان وشعبها	45
.16	كلمات وفاء في عيد الصحافة الكوردية..	49
.17	دفاعاً عن حرية الصحافة... دفاعاً عن الصحفيين	51
.18	خطوتان إلى الإمام	53
.19	ارحموا الناس في الأرض يرحمكم الله في السماء	55
.10	اسألوا صداما عن مصير الصحفي "دارا توفيق"	57
.11	احفظوا أسماءهم لكي لا ينجو من العقاب	59
.11	تحية إلى الصحافة السريانية في عيدها الـ(157)	61
.13	غياب قسري أم جهل بالمهمة الإعلامية	63
.14	إلى أصدقائنا الأمازيغ.. من القلب نحبكم	65
.15	حرية الصحافة بين مسؤولية النقابة ومهمة الصحفي	67

.16	مراسلون بلا حدود	71
.17	بعد مرور مائة وتسعة أعوام.. ما الذي يتعين علينا أن نتعلمه الآن..؟	73
.18	خطوة أخرى الى الأمام	75
.19	من أجل مؤتمر نوعي آخر	77
.30	ورقة أولى: بعض ذاتي..	79
.31	ورقة أولى..	83
.31	التفكير مع الديمقراطية ضد الديمقراطية..	87
.33	معروف جياووك..	91
.34	خواطر صحفية	97
.35	نقابة صحفيي كوردستان.. التركيب الحزبي والمواقف المستقلة..	99
.36	ميثاق شرف	101
.37	ولعل في إرخائه ضرر	103
.38	من أجل معالجة الأخطاء ومحاربة الفساد	107
.39	لكي لا يعاد عار التاريخ	109
.40	هذه المناطق.. مغتصبة أم متنازع عليها!؟	115
.41	تعديل الدستور أم حنين العودة الى الفاشية المركزية!؟	117
.41	يا حق لم تبق لي صاحبا	113
.43	عاشق لعار التاريخ	117
.44	ماذا يقولون..؟	131
.45	رفقا بكوردستان وشعبها..	135
.46	في سبيل إعلام عابر للحدود..	139
.47	عالم يصغر..عالم يكبر	141
.48	تجارب، ودروس.. هل من مدكر..؟!	143
.49	جرعة تاريخ صغيرة لتنشيط الذاكرة	149
.50	الانتخابات.. لحظة تفكر ومناسبة للمراجعة..	153
.51	في الحاجة لتأسيس تقاليد للجدل والحوار في الصحافة الكوردستانية	159
.51	صحافة التحريض في العراق غياب الأفق الوطني والإنساني	163

.53	في الموت التراجيدي للفنان محمد عارف رفقا بالإنسان في بلادي..	169
.54	الأصدقاء في الكابينة السادسة.. إليكم مع المحبة	173
.55	أكتب شهادتي وأجري على الله	177
.56	ألسنا بحاجة الى وزارة للريف؟!	181
.57	لكي لا يلدغ شعب كوردستان من ذات الجحر أكثر من مرتين	185
.58	التجربة الكوردستانية في بحيرة رمال متحركة..	195
.59	معالجة الخطأ بالخطأ.. تغذية ارتجاعية	101
.60	مقعد على ضفة بحيرة ليمان..	105
.61	مقهى آخر.. طريق آخر.. يوم آخر..	119
.61	من ساسون حسقيل الى جلال عمرسام آغا.. وللتاريخ لسان	113
.63	التعريب والاستيطان وجهان لعملة واحدة	117
.64	حق تقرير المصير كما نفهمه.. لا كما يفهمه الآخرون..	131
.65	فن الممكنات	135
.66	لا وداع.. أيها الزملاء والأصدقاء	139
.67	حق تقرير المصير كما نفهمه.. لا كما يفهمه الآخرون	145
.68	فن الممكنات	149
.69	لا وداع.. ايها الزملاء والاصدقاء	153
.70	انقذوا تفاح برواري بالا.. انقذوا كوردستان	159
.71	مازلت احلم بالمسيح.. ومازلت اخجل	163
.71	ايها الزملاء والاصدقاء لاوداع	167
.73	في وداع لها	171
.74	انها جنازة لرجل	175

مقدمة الطبعة الثانية

في الطبعة الأولى من هذا الكتاب كنت تركت للزميل قاسم محمد علي مدير تحرير مجلة الصحفي التي تصدر ما تزال عن نقابة صحفيي كوردستان، وكنت أترأس تحريرها حتى منتصف عام 1011 تركت له كتابة المقدمة، نظرا لقربه من تقلصات الوجع التي شكلت المخاض الصعب لمعظم أوراق هذا الكتاب، وقد نشر معظمها على صفحات الصحفي مجلتنا العتيدة، التي احتفلت نيسان الماضي بصدور عددها المائة. ورغم اختلافي معه في نظرته إلى موضوعات هذا الكتاب حين كتب:"تمثل هذه الكتابات نوعا من مدونة لمنجزات نقابة صحفيي كوردستان. إنها التاريخ الحي للنقابة مكتوبا ليس بالحبر، ولكن بمداد من القلق والعرق والانفعال" فقد احترمت رغبته في كتابة المقدمة، وحريته في إبداء الرأي فيها. ومن حقي الآن وأنا أصدر الطبعة الثانية من الكتاب ان أحرر أوراقه من سطوة المتن الأول، وأن أطلقها في هامش الفضاء الأوسع.. لقد كانت أوراق الكتاب أكبر من مجرد مدونة رسمية نقابية باردة، كانت خلجات ذات واعية وحساسة متورطة في زمن هيمنت فيه البلادة، والغلاظة، والفساد، والخطأ والكذب الغالب، وبات طريق الحق فيه موحشا، والشجاعة خائفة والصواب متلفت بلا نصير. ربما كان من الأسلم أن تطبع حروف هذا الكتاب بالحبر الأحمر.. لأنها صرخات تنبيه وتحذير من المآلات التي يدفع إليها ذوو السلطة والمال في بلادنا من ضياع القيم النبيلة الوطنية والقومية والإنسانية، ودعوة مجتمعنا للتمسك بكل ما هو حي وأصيل ونقي في تاريخنا وثقافتنا، بالمبادئ التي كانت سائدة قبل هذا الزمان الردئ، حين اختلط الحابل بالنابل، وضاعت الحدود بين الأسود والأبيض، وغاب الحس القومي والوطني والديني لدى بعض من شرائح في مجتمعنا، وهم ماضون بإصرار لا يلوون على شيء غير إشباع رغباتهم وأنانياتهم المتضخمة.. وهي فضح وتعرية لساسة العراق الجدد في استمرارهم على نهج النظام السابق في معاداة الشعب الكوردي، وإزالة آثار التعريب والترحيل في كوردستان.

أوراق من حقيبتي كانت جرس إنذار للمسؤولين في كوردستان من مختلف المستويات والاتجاهات الذين نسوا أو تناسوا المهام الكبرى التي تشغل بال الشارع الكوردستاني، ووضعوا في مقدمة أولوياتهم العربة أمام الحصان، ونذير من خشية أن نخسر وطنا وتجربة والحكيم تكفيه الإشارة. أضفت إلى متن الكتاب في طبعته الثانية ثمانية مواضيع، وجدت من الضروري درجها لتتكون عند القارئ صورة أفضل عما يدور في ذهني من افكار وتصورات وأسئلة حيال بعض الأمور الراهنة.

في الوقت الذي نفدت فيه أعداد الطبعة الأولى لم أجد بدا من التفكير بإصدار طبعة ثانية منه أكثر اكتمالا لأضعها بين يدي الأصدقاء القراء، الذين وجدوا في الكتاب اصداء لما يمور في دواخلهم من هواجس وآلام وتساؤلات.

فرهاد عوني
شباط 4102

ندوب في جسد الكتابة

قاسم محمد علي

تمثل هذه الكتابات نوعا من مدونة لمنجزات نقابة صحفيي كوردستان. إنها التاريخ الحي للنقابة مكتوبا ليس بالحبر، ولكن بالقلق والعرق والانفعال، وهي كتابة ترفع بلا شك نسبة الأدرينالين بالدم، وربما يفسر ذلك بكيفية ما، ما يعاني منه الزميل فرهاد من أمراض تتصل بالقلب، وتؤشر مستوى عاليا من الانفعال. في واحد من لقاءاتنا في هيئة تحرير مجلة الصحفي، ناقشنا الطريقة التي يتعين أن تأخذها كتابات رئيس التحرير، هل ينبغي أن تناقش القضايا التي تهم النقابة، أم تختص بالموضوعات التي تشتغل عليها المجلة، قال الزميل رئيس التحرير.. "هو كل ذلك، لكن المختلف في كتاباتي هنا هو الذاتية، أنا لا أريد أن أطل على قراء المجلة بالزي الرسمي، بوصفي نقيبا لصحفيي كوردستان، ولكن أرغب أن أستقبلهم بالروب والبيجامة كما لو كانت المجلة بيتي، وآخذهم إلى غرفة الاستقبال، وأتبادل معهم حديثا صادقا من القلب، فيه الكثير من الدفء والحرص والحميمية، بعيدا عن الأقنعة التي تفرضها السياقات الرسمية للعمل الصحافي والإعلامي والنقابي، أنا في المجلة فرهاد عوني الإنسان بصوته ذي النبرة العالية، ومخاوفه الكثيرة ومشاغله وهواجسه المهنية والنقابية والإنسانية". بوسعي القول أن شكل الكتابة في (بالقلم العريض ومن حقيبتي)، بما توفرت عليه من صدق مع الذات، تشبه الكتابة في لحظة عري. من يبحث عن الندوب في جسد فرهاد عوني سيجدها في هذه الكتابات، ندوب كثيرة لجراح بعضها التأم، والكثير منها ما يزال ينز بالألم. ندوب تسجل للمسيرة الوعرة والصعبة التي اجترحتها الصحافة الكوردستانية، الطرق الجديدة التي ابتكرتها، والتحديات المتصلة التي ما تزال تواجهها. إنها التاريخ حاضرا، التاريخ بنكهته الحقيقية، بدمه الحار المتدفق لا ميتا متحفيا كما يقدمه المؤرخون. إنها شهادة مركبة، شهادة على الحقبة الزمنية التي سطرت فيها، وشهادة على تطور البنية الفكرية للزميل فرهاد. ها نحن نشير عرضا ومن غير قصد إلى الفارق بين التاريخ في الصحافة، والتاريخ في كتب المؤرخين، لكننا لا نتحدث عن أي تاريخ، إنه تاريخ الصحافة، أي أن هذه الكتابة نوع من تأريخ التاريخ.

يبدو الزميل فرهاد عوني في هذا الكتاب منفردا ليس عن غيره من المفكرين والكتاب حسب، بل عن نفسه في كتابات أخرى، فهو هنا لا يخضع فهمه للأمور لأي منهج مسبق، بل يتركها تجري في تدفق ذاتي، واسترسال حر، وهي بذلك تشبه تداعيات ذهن أثناء المشي. هي كتابة وليدة لحظتها، لا تحفل كثيرا بالبراهين والأدلة والآنية في تناول موضوعاتها، بل تتمحور حول الأسئلة التي تتبلور في الذهن في انبثاقات مفاجئة الواحدة بعد الأخرى، أي أنها تعبر عن آنية ذاتية، وزمن شخصي، أكثر من تعبيرها عن حركة الزمن العام في تحققه التاريخي.

وهي واحدة من مدونات الصحافة الكوردستانية، لأن كاتبها لم يأت إلى الصحافة من باب الاحتراف المهني، أو التحصيل الأكاديمي، أو أنه كأي نقيب فاز في الانتخابات بمصادفة ما، أو أنه امتطى موجة أوصلته إلى قيادة النقابة.. إن الصحافة بالنسبة للزميل فرهاد مثل الهواء لن يطيق من غيرها احتمال لحظة عيش واحدة. لذلك لم تكن النقابة في حياة الزميل فرهاد عوني إلا تتويجا لنضال مهني وسياسي وثقافي وصحافي، فقد شغل الزميل قبلها مواقع قيادية ومفصلية كبيرة في أهم المؤسسات الصحافية الكوردستانية، ولن تكون النقابة بالنسبة إليه وبالقدر ذاته نهاية الطموح. إن الصحافة مثل الحياة لا أحد في وسعه أن يأمرها بالتوقف عن الجريان. والصحافي الحقيقي لا يمكنه الخلود يوما إلى الراحة، مرددا ها هنا نهاية الرحلة، سيقول ربما هي نهاية مرحلة، وما دام فيه نفس حي، سيبحث أبدا عن بدايات وإضافات جديدة.

المشهد اليومي المألوف لفرهاد عوني في مكتبه الرسمي وهو يمارس عمله الصحافي والنقابي، يبدو لي جديرا بالتأمل والاستدلال، فأنت لا تراه إلا محاطا بأكداس الصحف والمجلات التي تصدر في كوردستان، وفي منطقة الشرق الأوسط والعالم باللغتين العربية الكوردية، متراكمة على طاولة الاجتماعات الكبيرة التي يلذ له الجلوس إليها لغرض القراءة والمتابعة والكتابة أحيانا، وهو يقلب صفحاتها، ويؤشر من غير كلل أو ضجر على بعض الفقرات التي تلفت نظره، وتثير لديه الأسئلة، أو تستفزه. التلفزيون في غرفته قطعة أثاث عادية، قلما رأيت ضوءا في شاشته، لأن الزميل فرهاد في انصرافه حد الاستغراق والغرق في الصحافة المطبوعة ينساه في منطقة سهو . لقد شكلت هذه الصحافة بالنسبة للزميل فرهاد نوعا من عشق أو حلم ، حلم لذيذ

يمارس سطوته على مخيلة الزميل النقيب، ويتمثل في سلوكه اليومي، ونشاطه المهني والنقابي. هل سيأتي على الزميل فرهاد يوم يتحرر فيه من حلم الصحافة وعشقها..؟ إنني من خلال مرافقتي له في العمل عبر أربع سنوات، أنطوي على شك كبير، في إمكان حدوث ذلك، وستكشف الأيام القابلة مقدار عمق تجذر هذا الحلم في مخيلة الزميل، ومدى سطوته عليها.

مسامير

ابتداءا من هذا العدد تدخل جريدة "الصحفي" عالم مهنة البحث عن المتاعب كصوت آخر ليس بالضرورة أن يتشابه مع الأصوات الأخرى من حيث المحتوى لأنها تسعى أن تكون متميزة بقدر الإمكان من حيث معالجتها لقضايا الساعة في وطن كان مهددا في الماضي بتغيير هويته القومية لكنه يرنو اليوم إلى المستقبل بعزيمة لا تقهر، وبإرادة صميمية، ومع هذا فإن تجربتنا الكوردستانية لا تخلو من النواقص في الهياكل الإدارية والسياسية والاقتصادية والثقافية.

ولكي نساهم في تقوية تلك الهياكل بما يخدم المسيرة الوطنية نحو الهدف المنشود اخترنا لهذه الزاوية اسم "مسامير" مسامير من نوع آخر تسهم في معالجة النواقص وتقوية الهياكل لا زعزعتها، وكل ما نرجوه من مواطني بلدنا مسؤولين (حكوميين أو حزبيين) ومن مختلف المستويات أن تتسع صدورهم لدقات (مساميرنا) وأن يتحملوا بعض الألم جراء النواقص أو ردم الثغرات وترك الأمور بيد بعض الناس الذين لا تهمهم من مشاكل الوطن سوى ما يعود عليهم بالنفع الذاتي وكأنهم في واد والوطن في واد آخر.

وهنا على "الصحفي" المساهمة في تشخيص النواقص ووضعها أمام أنظار السادة المسؤولين وأن لا يكتفي بإثارتها مرة واحدة (لأن في الإعادة إفادة)، وإن "مسامير" ترحب بطرح القضايا العامة والسبل الكفيلة بمعالجتها بأساليب وطرق بناءة بعيدة عن التجريح والتشويه والإثارة وأن تكون هذه "المسامير" فعلا من النوع الذي يشخص الخلل من أجل المعالجة وتقوية الهياكل.. والله من وراء القصد.

لماذا تأخر تنفيذ قانون صندوق تقاعد صحفيي كوردستان؟

في أواسط ثمانينات القرن الماضي شعت أغنية كان الناس يرددونها كلما شعروا بخيبة أمل في تطبيق أو تنفيذ بنود قانون ما مرت عليه أعوام، وكان مطلع تلك الأغنية:

العبرة مو بكثرة السفن العبرة بالعبارة

وعند شرح معاني كلمات الأغنية تظهر أن كثرة السفن الراسية على ضفاف أو نهير ليس باستطاعتها أن تنقل الناس الى الضفة الأخرى من النهر ما لم يكن هناك العبّار أو السفّان الذي يقود السفن ويوصل الناس الى بر الأمان.

يا سادة يا كرام ربما تسألوني عن سبب استذكاري لتلك الأغنية وفي هذا الوقت بالذات وما هو الغرض من ذلك؟

أقول لكم بصراحة كما عاهدتكم ان سبب استذكاري يعود إلى كون معاني تلك الأغنية تشبه تفاصيل قصة (قانون صندوق تقاعد صحفيي كوردستان).

فهذا القانون العتيد تم إعداده وصياغته من قبل مجلس نقابة صحفيي كوردستان وتم تقديمه الى وزارة الثقافة في حكومة إقليم كوردستان بتاريخ 1000/1/9 بكتاب رسمي يحمل الرقم (35)، وبعد أخذ ورد بين الجهات المعنية والمداولات التي جرت معنا صدر القانون من قبل برلمان كوردستان بالرقم (13) لسنة 1001 في 1001/10/31، ومنذ ذلك الزمن وبعد مرور أكثر من خمسة سنوات لم ينفذ هذا القانون رغم تأكيد المادة (11) من القانون على تنفيذه حيث نصت المادة المذكورة على ما يلي: (ينفذ هذا القانون اعتبارا من تاريخ نشره في وقائع كوردستان).

وفعلا تم نشر القانون المذكور في الجريدة الرسمية لحكومة إقليم كوردستان (وقائع كوردستان) في عددها المرقم (11) الصادر في 1001/10/31.

ونتساءل ويتساءل معنا المعنيون بالموضوع وكذلك عوائل الصحفيين الشهداء والمتوفين منهم والذين شرع هذا القانون من أجلهم أساسا: ترى من المسؤول عن عدم تنفيذ هذا القانون الذي لا يكلف ميزانية الحكومة قدر ما يصرف على كتابة اللافتات

وتعليقها من قبل وزارة الثقافة في إقليم كوردستان عند إقامة مهرجاناتها السنوية لا سيما أن القانون المذكور يشير الى (أن ممثل وزارة الثقافة يرأس هيئة صندوق تقاعد الصحفيين) علما أنه منذ صدور القانون وحتى يومنا هذا تسنم حقيبة وزارة الثقافة ثلاثة وزراء اثنان منهم من الأسماء المعروفة في مجال العمل الصحفي.

نكرر تساؤلنا عن أسباب تأخر تنفيذ هذا القانون حتى يومنا هذا؟!

وننتظر الإجابة..

ينص البند (5) من المادة (19) (الحقوق والالتزامات) من قانون نقابة صحفيي كوردستان رقم (4) لسنة 1998 الصادر من برلمان كوردستان على ما يلي:

(يجب إخبار النقابة بأي شكوى تقدم ضد الصحفي وفي غير حالة الجرم المشهود لا يجوز استجواب الصحفي أو التحقيق معه بجريمة منسوبة إليه متعلقة بممارسة مهنته إلا بعد إخبار النقابة بذلك).

وفي أكثر الأحيان تتم مراعاة البند المذكور من قبل السلطات التحقيقية تنفيذا للمادة (16) من القانون المذكور والتي تنص على: (لا يعمل بأي نص يتعارض مع أحكام هذا القانون)، والمادة (16) التي تنص على: (على الوزراء المختصين تنفيذ أحكام هذا القانون).

ولكن في بعض المرات يحدث تجاوز على هذه المادة وربما يعود السبب في ذلك الى عدم إطلاع البعض على القانون المذكور الصادر من البرلمان بالرغم من نشره في الجريدة الرسمية.

وهنا ينبغي على جميع وزارات حكومة الإقليم إشعار دوائرها ومديرياتها بنصوص القوانين التي تصدر من السلطة التشريعية حتى لا تترك المجال للاجتهادات الخاصة والتي تفسر على غير الغرض الذي شرع من أجله هذا القانون. ومن ناحية أخرى هناك موضوع آخر على صلة مباشرة بالجهة التي تحاول النقابة حمايتها من أية تجاوزات وهو موضوع توقيف الصحفي على ذمة التحقيق هنالك عرف أو قانون عام ينص على أن (المتهم بريء حتى تثبت إدانته) وما دام المتهم بريء وخاصة عندما يتعلق بموضوع توقيف صحفي ما وعلى ذمة التحقيق في القضايا الخاصة بنشر خبر يخص شخص ما أو جهة معنية وعندما يتم إخبار النقابة من قبل السلطات التحقيقية باستدعاء الصحفي للتحقيق ويعامل معاملة أصولية ويتم توقيفه على ذمة التحقيق ينبغي على دوائر الشرطة عدم معاملة الصحفي كمجرم عادي أو زجه في السجون والمعتقلات المخصصة مع أصحاب السوابق والمجرمين العاديين الذين صدرت بحقهم أحكام قضائية وأخذت درجتها القطعية لأن التساوي بين صحفي متهم بنشر خبر غير صحيح وبين مجرم غارق في الإجرام في الحبس بين جدران معتقل واحد أمر ينبغي إعادة النظر فيه.

إن وزارة الداخلية وهي المعنية بهذا الأمر يجب أن تنتبه الى ذلك، وذلك بتخصيص ردهات المعتقلات على أسس سليمة وأن يصار التمييز بين مجرم ومتهم وبين متهم في جريمة عادية ومتهم آخر كصحفي مثلا يزج في السجن بناءا على أمر توقيف صادر من السلطات التحقيقية.

لسنا هنا بصدد تبرئة أحد كائنا من كان من أية تهمة قبل التحقيق لأن القانون هو الحكم والحد الفاصل، ولكن التمييز في المعاملة يجب أن يكون على أسس عادلة ومقبولة أيضا.

قبل أيام احتفلنا نحن صحفيي كوردستان ومعنا شريحة واسعة من مثقفينا بالذكرى (107) لصدور أول صحيفة كوردية، وأقيمت عدة احتفالات في محافظات كوردستان شاركت فيها المؤسسات الإعلامية والصحفية كل على طريقته الخاصة، وتم تكريم عددا من الصحفيين والمؤسسات الإعلامية ودور النشر من قبل هذه الجهة أو تلك.

وحسنا فعلنا لكن احتفالنا بهذه المناسبة التاريخية وبهذه الطريقة ووفق ما رآه كل منا مناسبة يجعلنا نطرح تساؤلا خاصة ونحن على أعتاب عهد جديد يشهد المزيد من ترسيخ حرية الصحافة وهذا التساؤل مشروع ويتلخص باقتراح موجه للمعنيين بالأمر وهو:

لماذا لا يتفق جميع الذين يهمهم تكريس يوم للصحافي الكوردستاني وهو اليوم الذي صدرت فيه أول صحيفة كوردية لتمجيد رواد الصحافة الكوردية من أسرة بدرخان المناضلة الذين عملوا وناضلوا وكافحوا وذاقوا الأمرين من أجل الكورد وكوردستان قبل أكثر من قرن في ظرف لم يكن هنالك مثل هذا المد القومي وهذا الوعي بمقتضيات مصلحة الكورد وكوردستان موجودا بالشكل الذي نراه الآن، وبعيدا في المكان عن بلاد الكورد، هناك في ديار الغربة استطاعت الأسرة البدرخانية أن تقدم العطاء للصحافة الكوردية بواسطة أبنائها البررة من أمثال مقداد وعبدالرحمن بك، حيث لم تستطع عاديات الزمن ولا الظلم والغبن الذي ألحق بشعبنا أن تمحو من ذاكرتنا ووجداننا ذلك العمل الخلاق والأثر التاريخي الفذ.

إذا لماذا لا نعمل ابتداءا من اليوم على توحيد جميع الجهود وكل الطاقات لإقامة كرنفال كوردستاني مسؤول استذكارا لدور الرواد واحتفالا بالمناسبة وتجديد القسم الوجداني غير المكتوب الذي ينص على: ((المجد لرواد الصحافة الكوردية)).

نعم لحرية الصحافة والصحفيين وللدفاع عنهم، ونعم لتوحيد الجهود لتنظيم كرنفال كوردستاني على مدى (3) أيام (11،11،13) نيسان من كل عام تحت لواء نقابة صحفيي كوردستان التي تضم معظم طلاب مقداد بدرخان.

والمجد لله في العلا وعلى الأرض السلام..

لن ألوم أحدا لكني ربما أعاتب والعتاب يأتي دائما من باب المحبة، ولهذا قررت أن أعاتب والعتاب هذه المرة موجه أولا إلى زملائنا الصحفيين وثانيا إلى المؤسسات الصحفية والإعلامية في كوردستان ولا سيما مسؤولي تلك المؤسسات.

أما لماذا العتاب!؟

والجواب هو أنه بناءا على ما جاء في قانون نقابة صحفيي كوردستان ومقررات مؤتمراته، فقد دأب مجلس النقابة على الاهتمام بفتح دورات تأهيلية حول السلامة المهنية للصحفيين، ومواضيع صحفية متنوعة منها (إعداد الخبر) و(التصوير الفوتوغرافي) وغيرهما وذلك بالتعاون مع الفدرالية الدولية للصحفيين IFJ من خلال استضافة الخبراء في هذه المجالات والمساهمة في أعمال ورشات العمل Work Shop التي أقيمت في العاصمة الأردنية عمان والعاصمة البلجيكية بروكسل، حيث تلقى المساهمون فيها بمعلومات قيمة وتم صرف مبالغ ليست بالقليلة من الفدرالية الدولية للصحفيين.

كل هذا لكي يقوم ممثلو النقابات الصحفية في العالم المشاركون في مثل هذه الدورات بنقل تجاربنا إلى صحفيي بلدانهم وخاصة في المناطق المضطربة كالعراق مثلا.

لكن الذي يدعو للأسف عدم استجابة بعض المؤسسات الإعلامية للمساهمة عبر صحفييها في مثل هذه الدورات في الوقت الذي لا يكلفهم ذلك شيئا من المصاريف المادية، وكذلك قلة حضور الصحفيين ولا سيما في الدورة التي أقيمت في حديقة مقر النقابة خلال الأيام 8-11/ أيار 1005، رغم الاستعدادات المسبقة وتبليغ الصحفيين والمؤسسات الصحفية بموعد إقامتها بالإضافة إلى عدم إيلاء الصحافة لتلك الدورة اهتماما يذكر في وقت أقيم فيه الدورة من أجل سلامة الصحفيين في كوردستان عند قيامهم بأعمالهم الصحفية.

ليس دفاعا عن النقابة وإنما عن الحقيقة..

لن تكون كلماتي هنا دفاعا عن النقابة التي أثبتت حضورها في الساحتين المهنية أولا والسياسية ثانيا بقدر ما هي توضيحا لأمور ربما كانت خافية عن البعض أو ربما يتجاهلها البعض الآخر وهم أدرى بدور النقابة في الدفاع عن حرية الصحافة أولا وضمان حقوق الصحفيين ثانيا، ولكن في حدود القانون الذي يحكمنا جميعا وبدون تمييز وبعكسه ستكون الكارثة قد حلت دون رحمة وسيتضرر من جرائها المجتمع وسيحدث ما لا تحمد عقباه.

خلال الشهور الثلاثة الأخيرة شهد مجلس نقابة صحفيي كوردستان عدة تجاوزات على المواطن الصحفي وعلى أجهزة الدولة وعلى حزب سياسي موقّر، وكان للنقابة دورها المؤثر في حلها وإنهائها (واعتذر عن ذكر الأسماء).

وكانت الحالة الأولى عندما دخلنا مباشرة على الخط لمناصرة زميلين من أعضاء النقابة وقد تم إيداعهما التوقيف ولم ننفك عن المهمة إلى أن تم إطلاق سراحهما وقد كنا أقوياء بمواد القانون، وفي الحالة الثانية أصبحت النقابة وسيطا بين رئيس تحرير صحيفة وحزب سياسي له وزنه في الساحة السياسية عندما أصبحت القضية أمام المحاكم وكان العتب على الصحيفة التي نشرت خبرا يتهم ذلك الحزب دون مستند وكانت النتيجة بعد التدخل من قبلنا الاعتراف بالخطأ والتجاوز من قبل رئيس تحرير تلك الصحيفة مما حدا بذلك الحزب للتنازل عن حقه مشكورا وعاد الصفاء بين أهل الخير.

وكانت الحالة الثالثة (محاولتي الشخصية) بقرار من مجلس النقابة الذهاب الى المحاكم والتوسط شخصيا من أجل إطلاق سراح صحفي كان موقوفا على ذمة التحقيق، وكانت تهمته قاسية حيث كانت تتلخص باتهام (أحد حماة نزاهة القضاء والعدالة) في بلادنا بأقسى التهم، ولكن جهودنا حالت دون بقاء الزميل الصحفي أكثر من ساعة في التوقيف بعد تدخلنا المباشر.

ومن باب التذكير نقول: ان البند "5" من المادة "19" ينص على (يجب إخبار النقابة بأي شكوى تقدم ضد الصحفي، وفي حالة الجرم المشهود لا يجوز استجواب الصحفي أو التحقيق معه بجريمة منسوبة إليه بممارسة مهنته إلا بعد إخبار النقابة بذلك). والبند "7" من المادة "10" ينص على: (لا يجوز للصحفي القيام باستغلال الكلمة المكتوبة أو المذاعة استغلالا خاصا للمنفعة الشخصية الضارة بالغير أو انتحال صفة أو فكرة الإساءة الى الآداب والنظام العام).

والبند "8" من نفس المادة ينص على: (لا يجوز للصحفي القيام بتضليل الجمهور بالمعلومات غير الصحيحة وتصوير الوقائع تصويرا غير أمين أو نشر وقائع غير مؤكدة).

ومن باب التأكيد نقول:

أولا: إن عمل النقابة كأي منظمة أو نقابة أخرى من كوردستان محكوم بقانون مكتوب صادر من أعلى سلطة تشريعية وهي (برلمان إقليم كوردستان) أو مجاز من قبل وزارة الداخلية بموجب قانون الجمعيات.

ثانيا: مجلس النقابة ولجانها وفروعها يعملون وفق شعارها المركزي الذي ينص (من أجل ترسيخ حرية الصحافة وضمان حقوق الصحفيين في كوردستان).

ثالثا: إن النقابة بقدر ما هي مناصرة لحرية الصحافة وحقوق الصحفيين فإنها ملتزمة بالخط الوطني والانتماء للوطن والدفاع عن مصالح شعب كوردستان وأمن مواطنيها وعندما يدافع مجلس النقابة عن صحفي زج به في التوقيف العام مع مجاميع من المجرمين وأصحاب السوابق في ردهة واحدة تقوم عندها القيامة الى أن يطلق سراحه دون أن يكف عن انتقاد أجهزة وزارة الداخلية على هذا الإجراء الخاطئ.

ومن جانب آخر عندما ندافع عن الصحفي كواجب مهني بموجب القانون لا نعتبر أنفسنا ولا نعتبر النقابة طرفا معاديا للسلطة السياسية في كوردستان ونجدد القول مرة أخرى بأننا جزء من شريحة مناضلة عملت وناضلت من أجل الوصول إلى ما نراه الآن على الساحة السياسية في كوردستان.

ومن أجل كوردستان وشعبها نقف مع الحق والقانون وننتقد الإجراءات السلبية ونخالف الآراء والاجتهادات التي تسيء إلى المجتمع (أفرادا، أحزابا وسلطة سياسية) من دون حق.

ونقول أخيرا للذين يحاولون الإساءة إلى عمل نقابة صحفيي كوردستان بدون وجه حق وبعيدا عن الحقيقة ومن منطلقات ذاتية ومصلحية صرفة (قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون).

لمصلحة من يجرى هذا التشويه؟!

قدم الدكتور إبراهيم الجعفري البرنامج السياسي لحكومته إلى الجمعية الوطنية في 1005/5/31، ونظرا لكون البرنامج المذكور لم يحتو على العديد من الأمور والمسائل الهامة والمصيرية التي تهم إقليم كوردستان وتطبيق المادة (58) من قانون إدارة الدولة للفترة الانتقالية وعلاقة الحكومة المركزية بإقليم كوردستان وحكومته الوطنية، فقد أثار ذلك وما يزال قلق الشارع الكوردستاني لأننا كنا ننتظر أن يختلف البرنامج السياسي للحكومة الحالية عن جميع البرامج السياسية منذ تأسيس الدولة العراقية وحتى اليوم.

والسبب معروف للجميع وهو كون الحكومة جاءت نتيجة اتفاق القوى التي فازت في الانتخابات العامة والتي جرت في 30 كانون الثاني 1005، كما جاءت على ضوء الأسس والمبادئ المتفق عليها بين الائتلاف الوطني العراقي الموحد والتحالف الوطني الكوردستاني لعمل الحكومة العراقية الموقعة بين الطرفين في 1005/4/8، لكن ومع هذا كان البرنامج السياسي مخيبا للآمال ومن المؤمل معالجة النواقص والثغرات على ضوء ورقة عمل اللجنة الخاصة بمناقشة البرنامج السياسي برئاسة مجلس الوزراء وعلى ضوء الملاحظات التي أبداها الزملاء في التحالف الكوردستاني والكتل السياسية الأخرى.

وقد أقر الدكتور إبراهيم الجعفري رئيس الحكومة بوجود تلك الملاحظات ووعد بتعديلها في جلسة الجمعية الوطنية ليوم 1005/6/14 التي انعقدت خصيصا لمناقشة البرنامج الحكومي.

هنا لا بد من التذكير بأن عمل الجمعية الوطنية العراقية يسير وفق ضوابط النظام الداخلي وتعقيداته في إصدار القرارات بموافقة الأكثرية أو الأغلبية البسيطة أو وفق مبدأ التوافق كما جرت العادة في بعض الأحيان، وإن مناقشة موضوع كالبرنامج السياسي تحتاج إلى فترة لا تقل عن اسبوعين، حيث قدم السيد رئيس الوزراء برنامجه يوم 1005/5/31، لكن مناقشة البرنامج قد تمت يوم 1005/6/14، ومن خلالها

تشكلت لجنة خاصة بدراسة البرنامج حيث تبلورت الأفكار والمقترحات الجديدة والجيدة لمعالجة النواقص فيه.

وهكذا (ففي النهاية طرح الدكتور حسين الشهرستاني أحد نواب رئيس الجمعية الذي كان يدير الجلسة مقترح التحالف الكوردستاني الذي ينص على دمج ملاحظات اللجنة الخاصة وملاحظات الكتل السياسية ومداخلات الأعضاء وإضافة ذلك إلى البرنامج الذي نال ثقة الأغلبية البرلمانية مع امتناع عدد من أعضاء التحالف الكوردستاني عن التصويت، طرحه للتصويت عليه.

إن كتابة هذه المقدمة كانت ضرورية تنويرا لعمل الجمعية الوطنية وكذلك مناقشة البرنامج السياسي للحكومة العراقية والتي خرج منها التحالف الكوردستاني منتصرا بتوضيح ملاحظاته أمام الرأي العام تجاه الثغرات والنواقص الموجودة في البرنامج السياسي للحكومة.

كما أبدى بعض أعضاء الجمعية الوطنية في التحالف الكوردستاني بحسب ما توفر لهم من الوقت للكلام آراء جريئة وملاحظات قيمة وانتقادات صريحة وقوية لبرنامج الدكتور الجعفري، إلا أن بعض الأقلام وبعض الزملاء في كوردستان وجهوا في وسائل الإعلام انتقادات لاذعة لا مبرر لها للتحالف الكوردستاني وكأنهم أحرص على مستقبل شعبنا الكوردستاني من أعضاء التحالف أو كأن البرنامج السياسي أعد من قبل أعضاء التحالف الكوردستاني بنواقصه وثغراته، حيث وصل الحد بالبعض الى التشكيك في مواقف أعضاء الكتلة الكوردستانية ووطنيتهم واصفا إياهم بالمنتفعين والركض وراء المصالح.. وأصحاب الأقلام المذكورة يعرفون (من هم المنتفعون؟!).

نقول لهؤلاء بأننا لا ننكر ضعف أداء الواجب البرلماني من قبل البعض من الإخوة والأخوات في قائمة التحالف الكوردستاني لأسباب عديدة منها تجربتهم الأولى في مثل هذا النمط من العمل الوطني ولكن الأكثرية من أعضاء التحالف الكوردستاني واعون لعملهم الوطني المبني على الخلفية السياسية في حب الكورد وكوردستان رغم المخاطر المحدقة بهم وهم يمارسون واجبهم الوطني الشريف في أجواء معقدة جدا متحملين أخطاء غيرهم في تصحيح ما وقعوا فيه من مطبات وهم غير آبهين بما يصيبهم من ضرر ولو على حساب حياتهم وهم مخيرون.

ونقول لزملائنا المنتقدين ان صدورنا مفتوحة لكل انتقاد وملاحظات بناءة تساهم في إغناء التجربة الكوردستانية وتحافظ على الكيان الكوردستاني ومستقبل شعب كوردستان بدون تردد، ولكن التشكيك بوطنية الآخرين والإساءة الى السمعة الوطنية أمر لا يمكن السكون عليه وخاصة حين يأتي من أناس ليس لهم في سجل الوطنية والتضحية مثقال ذرة من الخير للكورد وكوردستان، وينطبق عليهم المقولة الشهيرة (فاقد الشيء لا يعطيه).

في الوقت الذي نجدد العهد لشعبنا الكوردستاني بأننا ساهرون على درب الوطنية وعدم المساومة على المصلحة العليا لشعبنا حتى ولو كلفنا حياتنا وإننا مؤمنين بقوله تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون).

حسبناكم ساهرين!!

القانون الذي صدر من برمان إقليم كوردستان برقم (4) لسنة 1998 والخاص بنقابة صحفيي كوردستان والذي كان هدية من برلمان الإقليم الى صحفيي كوردستان في الذكرى المئوية لميلاد أول صحيفة كوردية، حيث تشكلت بموجبه النقابة التي أصبحت أول تنظيم مهني تجاوز التقسيم الإداري لكوردستان، حيث ضمت النقابة معظم صحفيي كوردستان باختلاف قومياتهم واتجاهاتهم السياسية والدينية والمذهبية.

كما أصبحت أول نقابة تخطت حدود كوردستان والعراق من خلال قبول عضويتها في الفدرالية الدولية للصحفيين، وأصبح لها فروع في كافة محافظات إقليم كوردستان، وكذلك في الموصل ولها مكتب فعال للعلاقات الخارجية.

لكن هنالك نوع من التلكؤ في أروقة رئاسة مجلس الوزراء الموقر وعدم اهتمام بمسألة في غاية الأهمية وهي عدم بعث الروح في القانون الذي صدر من برلمان إقليم كوردستان سنة 1001 والخاص بصندوق تقاعد الصحفيين رغم مضي أربع سنوات على تشريعه، ومع كثرة تأكيداتنا خلال هذه الفترة، ورغم ان القوانين والقرارات التي تشرع من برلمان إقليم كوردستان تلزم الوزارات المعنية بتنفيذها.

وإنني على يقين بأن السيد رئيس مجلس وزراء إقليم كوردستان (إدارة أربيل) لا يقبل كما هو معروف عنه بتأخير تنفيذ القرارات وفق أمزجة بعض موظفي مجلس الوزراء ولا سيما تأخير تنفيذ هذا القانون الذي يشمل عددا محدودا جدا من الصحفيين الشهداء والمتوفين وربما لا يصل العدد الى أكثر من عشرين حالة.

ورغم تأكيداتنا الشفهية والتحريرية نأمل أن لا يتأخر أكثر من ذلك لأن عوائل هؤلاء الصحفيين (الشهداء والأموات) ينتظرون كما أنتظر أنا الإسراع في التنفيذ من قبل (رئاسة مجلس الوزراء–لجنة احتساب الخدمة) التي تم توجيه كتاب لها من قبل وزارة الصناعة–مديرية الديوان العامة–الإدارة برقم (1104) في 1005/4/6 الخاص باحتساب الخدمة الصحفية لي والتي أكد عليها صراحة تعميم السيد وزير المالية

والاقتصاد بهذا الصدد والمعنون إلى كافة الوزارات والدوائر غير المرتبطة بها بموجب الكتاب المرقم 3518/14/9 في 1004/4/19.

علما بأنني قد وقعت شخصيا على العديد من الكتب الصادرة من قبل مجلس نقابة صحفيي كوردستان إلى الوزارات المختلفة، حيث تم تمشية الكثير منها وبقي قسم آخر في أدراج مكاتب بعض موظفي الإدارة والحسابات في بعض الوزارات حيث المزاج الشخصي والتفسير اللاقانوني يسيطران على النص القانوني الذي نورده هنا من باب (في الإعادة إفادة).

فقد ورد في المادة (19) الفقرة (1) من قانون نقابة صحفيي كوردستان الصادر من برلمان إقليم كوردستان ما يلي: (تضم مدة العمل في الصحافة لأغراض العلاوة والترفيع والتقاعد في حالة تعيينه في أية وظيفة كانت).

وكل ما أرجوه أن لا يتكرر اسلوب عمل ومزاج (محمود أفندي) في التعامل مع المخاطبات الرسمية والذي سأروي قصته للقراء الأعزاء في العدد القادم.

مازلنا عند كلامنا.. (حسبناكم ساهرين)

في العدد السابق وعندما اخترنا لعمودنا عنوان حسبناكم ساهرين كان غرضنا انتقاد بعض ممارسات موظفي الدولة وخاصةً الكبار منهم وأصحاب الدرجات الخاصة والبعض من المدراء العامين وآخرين من موظفي مجلس الوزراء ما يتسبب بتأخير معاملات المواطنين ومخاطبات الدوائر والنقابات والاتحادات المهنية.

وقد ذكرنا على سبيل المثال تأخر تنفيذ القانون الصادر من برلمان كوردستان قبل ما يقارب من أربع سنوات القانون الذي يخص شريحة هامة من المجتمع الكوردستاني وهم الصحفيين الذين يشملهم ذلك القانون (قانون صندوق تقاعد الصحفيين) وقد وعدتُ القراء الأعزاء بسرد أسلوب عمل ومزاج (محمود أفندي) في التعامل مع المخاطبات الرسمية لعل في سردها منافع لأولئك الذين لا يلتزمون بتنفيذ القوانين والتعليمات الصادرة من المراجع العليا من أول وهلة عندما يستلمون الكتب الرسمية ويضعونها في أدراج النسيان.

(محمود أفندي) كان موظفاً في إحدى دوائر الدولة في مدينة من مدن كوردستان وعندما كان يذهب إلى دائرته صباحاً مشياً على الأقدام يلتفت يساراً ويميناً منتقداً هذا وذاك من المارة بصوت مسموع دون أن يبالي بمواقفهم منه وعندما كان يصل إلى دائرته ويلج إلى غرفته ينادي بصوته الخشن مستخدمه (عبد القادر) قائلاً:

شكو شماكو منو الميت منو المتزوج منو المكسور الركبة، هات البريد أمامي، عندئذ فما كان من عبد القادر المسكين إلا أن يضع الأوراق أمامه وينسحب إلى إحدى زوايا الغرفة انتظاراً لمفاجآت محمود أفندي الذي كان يباشر عمله الشاق بإخراج نظارته من علبتها الجلدية ويمسحها بأول ورقة من البريد الذي كان أمامه وهو جالس على كرسيه الخشبي ويبدأ بسحب الأوراق ورقة ورقة وينظر بطرف من إحدى عينيه من وراء النظارة إليها.

وخلال دقائق محدودة يتأملها ومن ثم يدعكها ويرميها في سلة الأوراق المهملة ويكرر العملية وعندما يتدخل عبد القادر المسكين بحركة ما أو كلام معين ليمنع مديره

محمود أفندي من الاستمرار في عمله الضار، كان الأفندي يسحب سيكارة من العلبة المعدنية ويضعها على يسار شفتيه ويخاطب مستخدمه بكلامه:

–خمسون مرة قلت لك قبلاً لو كانت تلك الأوراق والكتب الرسمية مهمة فستأتي التأكيدات بشأنها بعد فترة!.

خطوة عملية أخرى نحو ضمان حقوق الصحفيين في كوردستان

كما هو معلوم للجميع ان نقابة صحفيي كوردستان دأبت منذ تأسيسها قد دأبت على ترجمة شعارها المركزي (من أجل ترسيخ حرية الصحافة وضمان حقوق الصحفيين في كوردستان) وتفعيل القوانين والقرارات التي صدرت في هذا المجال كي تبقى هذه الشريحة المثقفة فعالة داخل المجتمع الكوردستاني بالشكل الذي يساعدها في تأدية رسالتها وعملها المهني والوطني كما هو معروف عنها باعتبارها استمرار لنهج رواد الصحافة الكوردية والكوردستانية منذ عشرات السنين.

ومن منطلق ضمان حقوق الصحفيين أعدت النقابة مشروعا متكاملا يخص مسألة تقاعد الصحفيين تمت دراسته خلال شهور عدة من قبل لجنة مختصة مشكلة بقرار من مجلس النقابة مكونة من أعضاء المجلس وزملاء من الصحفيين القانونيين من أعضاء النقابة وذلك في أواخر عام 1000.

وقدم المشروع إلى حكومة إقليم كوردستان عن طريق وزارة الثقافة لكونها الجهة الأقرب في التعامل مهنيا مع نقابة صحفيي كوردستان، حيث كان ولا يزال وزير الثقافة (الأسبق) عضوا في النقابة.

وبعد أخذ مشورة وملاحظات دائرة التدوين القانوني تم تشكيل لجنة خاصة بقرار من مجلس الوزراء من نقيب صحفيي كوردستان وممثلين عن وزارتي الثقافة والمالية لدراسة مشروع القانون مرة اخرى ومن ثم قدم مجلس الوزراء كما هو متبع المشروع إلى برلمان كوردستان في 1001/10/9، وقد نوقش المشروع من قبل برلمان كوردستان في جلسات عدة وصدر أخيرا كقانون باسم (قانون صندوق تقاعد الصحفيين في كوردستان) تحت رقم (13) في 1001/10/11 (نص القانون كما هو منشور في جريدة "وقائع كوردستان" في العدد (11) في 1001/10/31).

فبفعل بعض الملابسات التي أعقبت صدور القانون قبل أربع سنوات وأدت إلى عدم تفعيله إلا قبل أيام إثر لقاء نقيب صحفيي كوردستان مع سيادة رئيس حكومة إقليم كوردستان (إدارة هولير) بتاريخ 1005/8/11 فأمر سيادته مشكورا ديوان رئاسة مجلس الوزراء الموقر بالإيعاز إلى وزارة الثقافة باعتبارها رئيس هيئة التنفيذ (للسبب

الذي ذكرناه مقدما) لتفعيل القانون وبأسرع وقت، فقامت وزارة الثقافة وعلى عجل بإصدار الأوامر الإدارية تنفيذا للأمر الرئاسي.

والآن أصبح قانون صندوق تقاعد الصحفيين قيد التنفيذ بعد مرور أربع سنوات على تشريعيه وبعد عدة تأكيدات ومحاولات متواصلة من قبل نقابة صحفيي كوردستان، والمهم في الأمر إن الصحفي الذي لا يرتبط بقانون الخدمة المدنية أو ليس خاضعا لاستقطاعات صندوق التقاعد المدني يشمله القانون، والأهم من ذلك إن الشهداء والمتوفين من الصحفيين الكوردستانيين يشملهم القانون، وإن الجهة التي تحدد المشمولين هي نقابة صحفيي كوردستان وبعد تحديدها تحولها إلى الهيئة المكلفة بتنفيذ القانون في وزارة الثقافة.

وبهذه المناسبة تقدم نقابة صحفيي كوردستان شكرها وتقديرها لرئاسة حكومة الإقليم الموقرة وإلى المزيد من العطاءات ضمانا لحياة أفضل للصحفيين وترسيخا لحرية الصحافة في كوردستان.

اجتماعات موسعة

في الاجتماع الموسّع الثاني الذي ضم أعضاء مجلس نقابة صحفيي كوردستان وسكرتير وهيئات فروعها في محافظات كوردستان (كركوك، السليمانية ودهوك)، وكذلك هيئات فرعي بغداد والموصل وسكرتير مكتب العلاقات الخارجية ورئيس وأعضاء لجنتي المراقبة والانضباط واحتياطيها في يوم الجمعة المصادف 1005/9/9 كتقليد تسير عليها هيئات النقابة بمبادرة من مجلسها وذلك بهدف جمع شمل جميع الزملاء الصحفيين المنتخبين في الهيئات واللجان المركزية في مكان يخصص لهذا الغرض وفق أسلوب منظّم يبدأ بعرض التقرير العام والذي يتضمن نشاطات وعمل مجلس النقابة وتقريرها المالي وتقارير الفروع، بالإضافة إلى تقريري لجنتي الانضباط والمراقبة ومكتب العلاقات الخارجية على الزملاء الحاضرين ومناقشتها ودراسة المعوقات والمشاكل التي تعترض مسيرة النقابة سواءً كانت في المرحلة السابقة والمراحل القادمة بروح ديمقراطية وشفافة.

ولا يخلو الاجتماع بطبيعة الحال من توجيه الانتقاد إلى المجلس من قبل الحاضرين، وكذلك الملاحظات التي يبديها الزملاء في المجلس لتقارير هيئات الفروع بعيدة عن التعصب أو التشنج، حيث يتبارى الكل في تقديم أفضل الطروحات وإبداء الملاحظات وتقديم الاقتراحات بهدف تطوير خدمة النقابة لجمهرة الصحفيين الكوردستانيين على هدى المبادئ التي وردت في قانون النقابة الصادر من برلمان كوردستان في 11 نيسان عام 1998، وكذلك النظام الداخلي للنقابة والعمل من أجل تنفيذ وتطبيق شعارها المركزي (من أجل ترسيخ حرية الصحافة وضمان حقوق الصحفيين في كوردستان).

التقليد الذي يسير عليه مجلس النقابة في عقد مثل هذه الاجتماعات الموسّعة والتي تتناول شؤون وشجون الصحفيين من خلال التقارير المقدمة من المجلس وهيئات الفروع واللجان المختلفة ومناقشتها بأسلوب ديمقراطي والشعور بالمسؤولية الوطنية فهي بادرة من المجلس وأصبحت تقليداً للمراجعة ورسم المهام المهنية والتفاعل مع حركة المجتمع باعتبارنا جزءا هاما من بنية المجتمع المدني والذي يعمل من أجل

عصرنة المجتمع عن طريق ترسيخ المفاهيم الديمقراطية واحترام حرية الرأي وترسيخ حرية الصحافة فهي والله (أي هذا التقليد) وسيلة تستحق الاحترام ومبادرة نرجو من الاتحادات والنقابات الكوردستانية الاستفادة منها بقدر المستطاع لكي تلعب نقاباتنا واتحاداتنا المهنية والجماهيرية والديمقراطية دورها المطلوب وصولاً إلى الغايات التي ننشدها جميعاً والتي تتمثل في أن نرى كوردستاننا وقد أصبحت واحة الاستقرار وبقعة الديمقراطية في منطقة الشرق الأوسط.

من اجل قـانون متكامل

أنهت اللجنة المشكلة المتكونة من مجلس نقابة صحفيي كوردستان وزملاء قانونين يمارسون مهنة الصحافة كل من موقعه واعضاء في نقابة صحفيي كوردستان مراجعة النص المعد اصلاً من قبل زملاء وقانونين متمرسين كمسودة مشروع لتنظيم الحياة الصحفية في كوردستان واللجنة المشكلة قد بدأت اجتماعاتها في مقر نقابة صحفي كوردستان في اربيل العاصمة منذ 1005/5/15 حيث عقدت اجتماعات عديدة بغرض مراجعة وتعديل وتدقيق وتشذيب الفقرات والمواد لكي يتلاءم القانون مع الوضع الراهن حيث كثُر اصدار الصحف والمجلات وفتح محطات الاذاعة وقنوات التلفزة والفضائيات والحالة مستمرة بفضل مناخ الحرية السائد في كوردستان واحترام الرأي، ولكن وكنتيجة لهذه الحالة قد تحدث مشكلة هنا أو هناك بين صحفي والمواطن وبين الصحفي وبعض المؤسسات الحكومية بسبب عدم وضوح الرؤيا حول (حدود الحرية) وكذلك لعدم وجود قانون في كوردستان لحد الآن بسبب عمر التجربة الفتيه في كوردستان يعالج هذه النواحي والتي تتطلب تشريع قانون ينظم اسس العمل الصحفي باللغتين العربية والكوردية في جميع وسائل الاعلام تكريساً للمبدأ القائل بأستحالة تحقيق الديقراطية في بلد لا تتمع الصحافة والصحفيون فيه بالحرية ولا يمكن تحقيق العدالة بدون قانون ينظم العلاقات بين الشرائح المختلفة كقانون تنظيم العمل الصحفي والذي يتطلب من الجميع صحفيين وكتابا و مثقفين وأجهزة الدولة المعينة (المحاكم والأجهزة الأمنية ودوائر الشرطة والمواطنين لكي يطلع الكل على مواد القانون بعد نشرها وأغناءها بملاحظاتهم واقتراحاتهم قبل عرضها على البرلمان، حتى لا يبقى مجال بعد تشريع القانون لتوجيه الأنتقاد واظهار النواقص وسيكون لنا عودة عند نشر مسودة المشروع في العدد القادم.

معالجة الخلل

أيام وتجرى الانتخابات وهنالك قوائم تمثل مكونات الشعوب العراقية تتنافس على مقاعد البرلمان والبالغة عددها (175) مقعداً، حيث يشكّلون كيان البرلمان الجديد الذي مهمته سن مشاريع القوانين وتعديل الدستور والغلبة فيه للكيان الأكثر عدداً أو المجموعة التي حققت تحالفات فيما بينها بحيث تصبح الكتلة الأكثر نفوذاً في اختيار المناصب السيادية والموافقة على تسمية رئيس مجلس الوزراء وكل هذا يتحقق بمدى مساهمة الناخبين المسجلين في الانتخابات والتوجه إلى صناديق الاقتراع السري.

وفيما يخص إقليم كوردستان فالكل مدعوون إلى المساهمة في هذه العملية المصيرية بصرف النظر عما يقال هنا وهناك بوجود تقصير وفساد إداري وتلكؤ في الأداء الحكومي وعدم الرضا عما يجري في الساحة السياسية وعدم تلاحم الإدارتين في إدارة كوردستانية واحدة لكي تقف بوجه الرياح العاتية التي إذا وصلت تخوم كوردستان ستعيث فيها خراباً ودماراً وإرجاع القديم إلى قدمه.

ولكي تبقى كوردستاننا قوية وصامدة بوجه الأطماع القديمة والجديدة ومن أجل المحافظة على هذا الوليد الذي انتظرناه سنينا وعقودا، ولأجل أن تعود كركوك وخانقين وسنجار وغيرها من القصبات والقرى المغتصبة إلى أحضان كوردستان يحتم علينا الواجب القومي والوطني والأخلاقي التوجه إلى صناديق الانتخابات بالرغم من انتقاداتنا وملاحظاتنا وتشخيصنا جملة من الأخطاء التي كانت وما تزال تحدث هنا وهناك والتي تسببت في حدوث الإرباك والتردد لدى الكثيرين من أبناء شعب كوردستان، وأدت في النهاية إلى بروز ظاهرة سلبية والمناداة بها علناً من قبل البعض على صفحات بعض الجرائد التي تصدر في كوردستان إلى مقاطعة صناديق الاقتراع وعدم المشاركة في الانتخابات لأنهم كما يقولون (لن تغير من الموضوع شيئاً).

ولكن وكما هو معلوم بأن نتائج الانتخابات هي التي تقرر إلى حد كبير مصير بلادنا وشعبنا في العراق وسط (بحيرة الرمال المتحركة) وهي أكبر من وجود بعض النواقص والخلل في التجربة الكوردستانية والتي لا تخلو منها حتى المجتمعات الأوروبية ناهيك عن دول أخرى متقدمة في أرجاء المعمورة.

هل نتعظ من خسارة فتح!؟

في الثلث الأخير من ستينيات القرن الماضي وأثناء دراستنا الجامعية في بغداد، وبحكم عملنا السياسي في قيادة اتحاد طلبة كوردستان، زاملنا الكثيرين من مناضلي القيادات الطلابية في اتحادات (اليمن الديمقراطية، السودان، الأردن، أريتريا)، والقيادات الطلابية للحركات السياسية الفلسطينية (فتح، الجبهة الشعبية والجبهة الشعبية الديمقراطية).

وقد كان التعاطف واضحاً من قبلنا ومن قبلهم على قضيتي شعبينا باعتبارهما شعبين يعانيان من الظلم والتجزئة، وكانوا يمدونا بالتأييد والمساعدة وخاصةً في القضايا الفنّية كطبع البيانات واستنساخها في مقراتهم.

وكانت لحكومة فتح بقيادة الراحل ياسر عرفات (أبو عمّار) وقياديه التاريخيين الدور الريادي والطليعي في قيادة الشعب الفلسطيني، وكان عدد من شبابه في بغداد أثناء التظاهرات يرددون هتافات في غاية التعالي والثقة اللامتناهية بالأنفس كـ(الله أكبر يا عرب بس فتح بالمعركة) لأن حركة فتح فعلاً كانت بطلة الساحة لأسباب معروفة، وقد ولدت بعد سلسلة من النكسات التي مرّت بها الحركة الوطنية الفلسطينية منذ حرب عام 1948 والتي أدت إلى هزيمة نكراء للجيوش العربية والى نزوح كبير للفلسطينيين من أراضيهم متجاوزين الحدود إلى أراضي دول الجوار كالأردن وسوريا، وكذلك استقرار قسم كبير منهم في دول الخليج والعراق ومصر والى بقع أخرى من أرض الله الواسعة.

ومنذ ذلك الوقت مرّت الحركة الوطنية الفلسطينية بمراحل صعبة، حيث كان الساسة العرب يتاجرون علناً بقضيتهم من خلال الكيانات والمنظمات التي شكلّت لصالحهم كواجهة لهم داخل حركة الشعب الفلسطيني، ولكن ومع ولادة فتح في منتصف الستينيات في القرن الماضي وبروز قادته التاريخيين ياسر عرفات وزملائه من طلاب (المعركة حتى النصر) دخلت القضية مرحلة جديدة عبر النضال المسلّح ومعارك سياسية ودبلوماسية في غاية التعقيد، حيث وصلت إلى مرحلة متقدمة وانتهت

في هذه المرحلة بإجراء انتخابات عامّة في المناطق التي انسحبت منها إسرائيل والتي أصبحت محررة ومزاولة الفلسطينيين سلطتهم الوطنية فيها.

في السادس والعشرين من الشهر الماضي جرت عملية الانتخابات العامّة، وكانت النتيجة خسارة فتح صاحبة القضية الأساسية فيها مقابل انتصار حركة حماس، وهنا نتوقف لحظة بصدد تبيان أسباب فوز حماس على حركة فتح بقدر ما تهمنا الأسباب والعوامل المعروفة لخسارة فتح والتي تتمثل في رأينا بـ:

أولاً: تغيير طبيعة حركة فتح من حركة جماهيرية فعّالة ذات قاعدة عريضة إلى إطار سلطوي بعيد عن هموم الناس وبالتالي خلق شرخ واسع بينها وبين الذين كانوا يوماً رأس الرمح للحركة بسبب الفساد الذي أوجدته السلطة اللعينة.

ثانياً: غياب القائد التاريخي الكاريزمي المتمثل بشخص ياسر عرفات، الذي كان ربّان السفينة بالرغم من المآخذ التي سجّلت عليه في هذه المسألة أو تلك، وكان عرفات رحمه الله بإمكانه وبحكم موقعه ودوره القيادي لم الشمل وتوحيد الصفوف بين الفرقاء المتنازعين، حيث إن غياب القائد يشكّل خطراً في مرحل التحرر الوطني.

ثالثاً: الأمراض التي أصابت فتح والتي حملت معها منذ البداية أسباب التقوقع ومن ثم الخسارة وبالتالي ترك الساحة مرغماً وهذه الأمراض تتمثل في نسيان الدور الموكّل له بسبب مغريات النصر والاعتماد على العناصر الفاسدة والمتذبذبة والانتهازية والتي تؤثر ليست على الجانب المرئي من طبيعة الحركة وإنما تنخر كالديدان داخل جسمها بحيث تعيقها عن الحركة وتؤدي إلى انحراف المسار وتغيير الشكل والجوهر.

ياسادة ياكرام..

العوامل التي أدّت إلى خسارة فتح لم تكن الأولى في تاريخ الحكومات الوطنية الأصيلة، ولن تكون الأخيرة والأسباب معروفة، ولكي لا نصاب مستقبلاً بما أصيبت به فتح من هذه النكسة الأليمة علينا كأشخاص ومنظمات وأحزاب وطنية وحكومة وطنية كوردستانية أن نتعظ وأن ندرس الأسباب ونشخّص العوامل لكي نمنع الخسارة ونصون التجربة إذا أردنا أن لا نكون هامشيين ونبكي على الأطلال ونستذكر الأمجاد، علينا أن نعرف إن التاريخ لن يرحم أحداً حتى ولو كان يوماً ذا شأن عظيم.

أوقفوا هذه المهازل في مطار بغداد الدولي

في العاشر من شهر شباط الماضي حجزنا أنا وزميلي (مصطفى صالح كريم) بطاقات سفر (مرجّع) من السليمانية–بغداد إلى القاهرة والعودة بنفس الترتيب من القاهرة–بغداد–السليمانية في 1006/1/11 وعلى الخطوط الجوية العراقية مدفوعة الثمن بمقدار (600 دولار) نقداً بغرض الحضور والمشاركة في الندوة المقامة من قبل الفدراسيون الدولي للصحفيين يومي 11،1006/1/11 في العاصمة المصرية (القاهرة) ضمن وفد نقابة صحفيي كوردستان وبمشاركة زملائنا في نقابة واتحاد الصحفيين العراقيين من أجل الوصول الى إقرار ميثاق مهني واجتماعي للصحفيين العراقيين.

في يوم العودة من القاهرة المصادف 1006/1/11 وصلنا الى مطار بغداد الدولي في الساعة السادسة مساءً على أمل استمرار الرحلة من بغداد الى السليمانية، في الساعة السابعة من مساء اليوم نفسه وبعد نزول الرّكاب الحاجزين إلى بغداد وصعود الحاجزين من بغداد الى السليمانية بالإضافة الى المجموعة التي كنّا من ضمنها والبالغة عددها تسعة مسافرين الآتين من القاهرة والمتجهين إلى السليمانية عبر بغداد، أعلمونا بأن طائرة السليمانية قد غادرت في الساعة السادسة إلاّ عشر دقائق وما علينا إلاّ البقاء في مطار بغداد بسبب الأوضاع غير الآمنة على طريق المطار الى مركز بغداد، ولشرح وضعنا واجهنا أحد المسؤولين علماً بأنه (لا يوجد بالأساس مسؤول في مطار بغداد الدولي بحلول المساء) وقال لنا بالحرف الواحد: (ليست باستطاعتي أن أعمل شيء لكم)، وحينما أبرزنا بطاقات السفر والتي تحتوي على ساعة وتاريخ السفر والعودة وإقلاع الطائرة قال لنا هذه المرّة: (إخوان ما صار شيء ابقوا هذه الليلة وغداً نسفركم) عندها لم يبق لنا في اليد حيلة وتوكلنا على الله وبقينا تلك الليلة الباردة على أرائك وكراسي المطار دون بطانيات وبدون شيء اسمه الشاي والعشاء وحتى أي وسيلة للراحة والنوم.

وفي الساعة السابعة من صباح يوم 1006/1/11 أخرَجَنا الحرّاس بطريقة غير ودية وعلى أمل الإقلاع بقينا يوماً آخر حيث لم تكن ثمة طائرة، وفي اليوم الثالث ووسط

الحوادث المؤسفة والدامية أفرج الله علينا بطائرة عزيزة أقلعت في الساعة الثالثة والنصف لعصر يوم 1006/1/13.

فكان المفروض أن نصل السليمانية مساء يوم 1003/1/11 فلم نصلها إلاّ يوم 1006/1/13، فأنا لست بصدد تأخير وصول الطائرة الى المكان المقرر حسب الحجوزات المثبتة في بطاقات السفر لأنه وكما هو معلوم تحدث مثل هذه الحالات لكن الشركة المسؤولة عن الطيران تقوم عادةً بإعداد وترتيب فنادق قريبة من المطار للمسافرين الذين يصادفون هذه العراقيل، وتقوم الشركة المسؤولة بتوفير جميع الوسائل ووسائط النقل للوصول الى الطائرة ساعة اقلاعها، ولكن الخطوط الجوّية العراقية وفي مطار بغداد الدولي بالذات وهي الجهة المسؤولة لن يشعر المرء بوجودها أصلاً ولا تعير الحد الأدنى من الاهتمام بالمسافر الذي يقع في مثل هذه المطبات، ولن يجد المرء أثر لظل مسؤول حتى للأستفسار منه، وإن حركة دخول وخروج المسافرين من قاعة المسافرين الى الطائرة تشبه بحركة (كراج النهضة) فضلاً عن خطورة طريق المطار، وأخيراً فإن المسافر المضطر للسفر على الخطوط الجويّة العراقية وفي مطار بغداد الدولي عليه ضبط أعصابه والاتكال على رحمة الله سبحانه عزوجل فقط لأن وزارة النقل في الحكومة العراقية غائبة لغياب الأمن والاستقرار في ربوع العراق الدامي.

من اجل كوردستان وشعبها

لا يختلف اثنان في كوردستان على ان صيانة هذه التجربة التي ولدت بعد قرن من التضحيات الجسام التي رافقت القضية الكوردية ابتداءً من تشكيل الدولة العراقية الحديثة التي لم تعر اهتماماً بقرارات هيئة عصبة الأمم التي اشترطت ضمان حقوق الكورد اذا أراد العرب العراقيون الإبقاء على الخارطة المرسومة للدولة العراقية وإلى أواخر أيام حكم عار البشرية (صدام حسين) الذي لم يكف عن الظلم حتى في منامه تجاه قومية هي جزء من أمة مجزأة ألحقت أراضيها قسراً ووفق شروط معينة بالدولة العراقية في منتصف عقد العشرينيات من القرن الماضي.

وأراد الدكتاتور الأرعن وفق مخيلته المريضة وشخصيته السادية إبادة الكورد وتدمير كوردستان، وقد لا يختلف معنا أحد إن صيانة هذه التجربة واجب مقدس ولا تقبل تفسيراً آخر وإن صيانتها تستلزم من جانب آخر تحقيق ترسيخ مفهومين والعمل على تطويرهما بكل ما لدينا من إرادة وطنية.

أولهما تعزيز المبدأ الديمقراطي في التعامل بين أجهزة الدولة في حكومة إقليم كوردستان ومواطنيها، وترسيخ حرية الصحافة والمحافظة على حرية وكرامة الصحفيين التي هي جزء أساس من الحرية العامة والتي لا يمكن تحقيقها وإيجاد حالة من الارتباط الروحي بين الدولة ومواطنيها بدون توفير مناخ الحرية وضمان ممارستها ضمن القوانين العامة والابتعاد عن الإيذاء والإساءة الى كرامة حملة الأقلام والصحفيين، وعدم التعامل معهم من قبل الأجهزة المختصة (الآسايش والشرطة) كالتعامل مع الإرهابيين والمجرمين العتاة ومعاملة الصحفيين (وإن اختلفت معهم أجهزة الدولة في الرأي او في تفسير أسباب الحوادث التي تحدث هنا وهناك وكذلك نتائجها وآثارها السلبية) معاملة حضارية وإنسانية وشفافة لأن إخلاص الصحفي لقضية شعبه ومصير التجربة لا يقل في حده الأدنى عن إخلاص أفراد الشرطة والآسايش والأجهزة الخاصة، لكن كما هو معلوم تختلف المفاهيم والرؤية والتقييم من إنسان الى آخر وكذلك بين أفراد الأجهزة المذكورة وبين المواطنين الاعتياديين والمثقفين منهم وبين

الصحفي الذي يسجل وفق رؤيته الخاصة ما يراه وينقله الى الرأي العام الذي لا ضير فيه إن كانت النوايا الحسنة.

أما المسألة الثانية فإنها تتمثل في الالتزام بالقوانين المرعية وعدم وقوع الصحفي الكوردستاني في المطبات التي لا تخدمه وبالتالي لا تخدم وطنه وتجربته والتي هي تجربتنا في وطن خرج منذ سنوات من أقسى امتحان خاضه مع أعتى دكتاتور في التاريخ ونال شهادة الحياة منتصراً على حملات الأنفال والإبادة الجماعية والغازات الكيمياوية وتغيير الواقع القومي، وعدم الاستعجال من قبل الصحفي في الوصول الى مصاف الدول المتقدمة حضارياً خلال لمحة من البصر وبإتباع سياسة (حرق الزمن والمراحل) لأن الفاكهة التي لم تأت في أوان نضوجها تبقى غير ناضجة لا تهضم ولا تفيد الجسم مطلقاً.

إن السنوات الخمسة عشرة التي مرت على التجربة لم تكن (سنوات عافية)، وقد عانينا خلالها نتيجة سياسات خاطئة من مطبات قاتلة لولا انتصار إرادة الخير والخوف من ضياع الوليد والحرص المشترك على مستقبل التجربة، وربما اتخذت الأحداث مشارا آخر، لكن مع هذا ظهرت في السنوات الأخيرة علامات بوادر إيجابية في التجربة الكوردستانية في مجالات عديدة منها قبول الرأي الآخر وولادة الصحافة الأهلية والمستقلة التي تؤدي رسالتها وتوجّه انتقادات بعضها جارحة للمشاعر وتؤذي الوجدان، لكن وما دامت الحرية موجودة ونمارسها فيجب على الكل (الدولة بجميع أجهزتها، المواطن، الصحفي) ترسيخ المفاهيم الصحيحة للحرية واحترام تقاليد المجتمع وإن يظل القانون سيد الموقف وإن يكون القضاء صاحب حل الإشكالات إن وجدت هنا وهناك وأن لا ينسى الصحفي بأنه مواطن أولاً وذا اتجاه وطني مخلص ثانياً ولا يريد لشعبه إلا الخير والتقدم، ويمارس عمله الصحفي بكل حرية، وعلينا جميعاً الحفاظ على هذه التجربة وتطويرها وترسيخ مفاهيم الديمقراطية والحرية فيها.

وعلى أجهزة الدولة أن تعامل مثقفي وصحفيي بلادنا معاملة إنسانية وشفافة بقناعات ديمقراطية وان لا تتعامل مع الصحفي بمنطق وعقليات الأجهزة القمعية السابقة.

وعلى زملائنا الأعزّاء من الصحفيين وحملة الأقلام الشريفة جميعاً أن يكونوا بمستوى المسؤولية الملقاة على عاتقهم تجاه الشعب والوطن وإن يمارس الجميع الحرية كاملة، لكن بالابتعاد عن التجريح والتشهير والإثارة وعلينا احترام القوانين والعمل من أجل تطوير تجربتنا القومية من خلال ممارسة التعامل الديمقراطي وترسيخ المبادئ والديمقراطية وحرية الصحافة.

كلمات وفاء في عيد الصحافة الكوردية..

تحتفل الأسرة الصحفية في كوردستان بعيد الصحافة الكوردية في كل عام الذي يقترن بيوم ميلاد أول صحيفة كوردية في التاريخ 1898/4/11 بعيداً عن بلاد الكورد، حيث احتضنت مدينة القاهرة عدداً من أفراد الأسرة البدرخانية المناضلة التي لجأت إليها نتيجة ممارسات الحكم الشمولي العثماني الذي حرّم على الكورد وغيرهم القراءة والكتابة بلغة الأم وقمع تطلعاتهم القومية بأسم الدين زوراً وبهتاناً، مما حدا بمثقفي شعبنا التطلع نحو خارج الأسوار العثمانية للبدء في تعزيز أسس المشروع الحضاري والقومي للكورد وذلك بإصدار أول جريدة بأسم "كوردستان" تخلدت في سفر التاريخ.

في الوقت الذي نحتفل بهذه المناسبة العزيزة على القلوب ينبغي على صحفيينا استذكار الظروف التي ولدت فيها "كوردستان" من متاعب ومشاق ومصاعب كلها من أجل إرساء الكلمة الكوردية أولاً وإيصال صوت الشعب الكوردي الى خارج بلادهم الممزق والمحتل وإعلام الصديق والعدو بأن باع المثقفين الكورد طويل وإنهم مستمرون في نضالهم القومي رغم المحن وعاديات الزمن ولا يأبهون بالتضحيات رغم حجمها ولا يملون من طول المسيرة رغم صعوبتها وإنهم جادّون ومستمرون الى أن تتحقق الأماني بالمساهمة في بناء كيان قومي مبني على الديمقراطية وحرية التعبير والصحافة واحترام حقوق الإنسان وجعل الصحافة في كوردستان رسالة ومهمة قومية إنسانية للدفاع عن كل ما هو حق وكل ما يساهم في بناء الصرح الحضاري بعيداً عن الأفكار الضيّقة وإثارة الغرائز وروح الاستعلاء وتدجين الصحفي والصحافة بشكل يؤدي الى حرف مسيرتها ورسالتها المقدسة تلك الرسالة التي تمّ تدشين كلماتها الكوردية الأولى من قبل الراحل مقداد بدرخان وشقيقه عبد الرحمن بدرخان اللذين ينعم روحهما في جنات الخلد لأنهما أحبا وطنهم وجريدتهم "كوردستان".

دفاعاً عن حرية الصحافة... دفاعاً عن الصحفيين

تنفيذاً لبنود متعددة من قانون رقم 4 لسنة 1998 والخاص بقانون نقابة صحفيي كوردستان وتطبيقاً لشعار النقابة المركزي (من أجل ترسيخ حرية الصحافة وضمان حقوق الصحفيين في كوردستان) وانسجاماً مع الأهداف المركزية للفيدراسيون الدولي للصحفيين IFJ دأبت نقابة صحفيي كوردستان على التمسك بالأهداف وبمضمون بنود قانون النقابة وشعارها المركزي الدفاع عن حرية الصحافة وإيجاد المناخ الملائم للكل بدون تمييز عند ممارسة مهنة الصحافة في مناخ تسوده الحرية والأجواء الصحيحة داخل إطار قانون عصري يكفل الحرية للكل ودون التجاوز على الحرية الشخصية والانشغال بالمهاترات التي لا تخدم أحداً وفي مقدمته الصحفيين أنفسهم، وتجسيداً لهذا المبدأ كانت النقابة متمثلة بمجلسها وبفروعها الخمسة ولجانها حاضرة بهذا الشكل او بآخر في أروقة المحاكم ودوائر الشرطة وفي أحايين أخرى تكليف المحاميين للدفاع عن الصحفي سواء كان موقف الصحفي صحيحاً او كان على خطأ.

وتلافياً للإشكالات التي تحدث هنا وهناك وقد كثرت مع الأسف في المدة الأخيرة بادر مجلس النقابة الى تشكيل لجنة خاصة، وكلّف سكرتير النقابة ومسؤول لجنة الانضباط وبمساندة المجلس وهيئات الفروع للتواجد في ساحات الخصومة (دوائر الشرطة وأروقة المحاكم) لكي يكونوا الدرع الواقي بوجه التجاوزات التي قد تحصل لتقييد حرية الصحافة والصحفيين.

وعلى الصحفيين سواء كانوا أعضاء او غير أعضاء في النقابة إخبار اللجنة الخاصة او مجلس النقابة او هيئات الفروع عن كل ما يصدر من تجاوز على الصحفيين، وكذلك ندعو الشريحة المثقفة وفي مقدمتها الصحفيون بالتعاون مع اللجنة المشكلة والمكلفة بإعداد (مشروع قانون تنظيم العمل الصحفي في كوردستان) وإغنائه بملاحظاتهم وإخراجه كقانون مدني عصري ينظّم العمل والحياة الصحفية في بقعة صغيرة من هذا الكون وهي "كوردستان" التي بقيت الى الآن دون كيان سياسي وبالتالي من غير قوانين خاصة تعالج النواقص لمجتمع يخطو خطواته الأولى نحو التمدن وبناء هيكل عصري يضمن الحرية للجميع.

خطوتان إلى الإمام

في الثامن والعشرين من شهر أيار الماضي دشنت نقابة صحفي كوردستان مرحلة جديدة من حضورها في الساحة الدولية بعد رفع عضويتها من مشارك إلى عضو عامل (Full Member) في الفيدراسيون الدولي للصحفيين (IFJ) ضمن قرارات اللجنة التنفيذية فيه وبهذا تكون نقابتنا النقابة الوحيدة (لشعب بلا دولة) التي أصبحت العضو العامل من بين 115 نقابة ومنظمة صحفية في IFJ والذي يضم في إطاره نصف مليون عضو في مختلف بلدان العالم.

إنها خطوة في غاية من الأهمية وتطور نوعي في العلاقة مع مركز صحفي عالمي ستنعكس ايجابياتها على مجمل قضية شعب كوردستان التي تحتاج إلى مثل هذه الخطوات لنقاباته ومنظماته المهنية والمدنية والتي تشكل زخماً قويا في سيره نحو غد أفضل وبناء مرتكزات قوية لاستقلالنا الوطني إضافة إلى مردوداته المهنية والمعنوية لصحفيي كوردستان اجمع ونقابتهم التي تحاول جاهدة منذ ربيع عام 1000 الظفر بعضوية IFJ.

والخطوة الثانية الأخرى تخص الصحفيين هم قبل غيرهم والتي تتمثل في التعديلات والتنقيحات التي طرأت على (مشروع قانون العمل الصحفي في كوردستان) بعدما أبدى جمع من الصحفيين والإعلاميين اراءً ومقترحات بشأن المشروع واغنائه والتي تمت مناقشتها من قبل اللجنة المكلفة بأعدادها وأجرت جملة من التعديلات وحذفت فقرات منه بشكل يتماشى مع روح العصر وخصوصية المجتمع الكوردستاني ومتطلبات العمل الصحفي وترسيخ حرية الصحافة (نص المشروع مع المقدمة بصيغته الجديدة منشور في الصفحتان 6،7 وباللغتين الكوردية والعربية) ولكن مع هذا نؤكد أن الصيغة الجديدة ليست بالصيغة النهائية للمشروع ففي المرحلة التالية ستعقد اجتماعات واسعة في فروع النقابة مع الصحفيين بغرض مناقشة المشروع واغنائه ومن ثم تنظيم سيمينار عام في أربيل لنخبة من الصحفيين لإقرار المشروع بصيغته النهائية قبل تقديمه إلى برلمان كوردستان.

ارحموا الناس في الأرض يرحمكم الله في السماء

خلال الأعوام الأخيرة وخاصة في السنتين الأخيرتين ارتفعت الإيجارات في مدينة أربيل العاصمة بصورة خاصة، ومراكز المحافظات الكوردستانية بصورة عامة ارتفاعا مجنونا وأصبح كالنار في الهشيم لا يرحم أحدا بسبب ما يعزوه بعض الاقتصاديين إلى كثرة الطلب على العقارات بشقيها السكني والتجاري.

ويلجأ أصحاب العقارات إلى مختلف الأساليب الملتوية وغير الملتوية ومنها اللجوء إلى القضاء من أجل طرد مستأجريهم بلا رحمة ضاربين عرض الحائط بكل المقاييس الاجتماعية ودون مراعاة أبسط المفاهيم الإنسانية، والدولة ساكتة ومتفرجة دون حراك وكأن أمر مواطنيها لا يعنيها.

صحيح هنالك عشرات الألوف من قطع الأراضي توزع على المواطنين ولكن ماذا يفعل المواطنون من ذوي الدخل المحدود بها من دون تأمين قرض من المصرف العقاري وتوفير مستلزمات البناء بأسعار معقولة، والإسراع بتزويد تلك المناطق بالماء والمجاري والكهرباء والطرق.

وبينما يعاني أكثر الصحفيين من هذا البلاء الذي ينزل عليهم كالصاعقة نرى الوزارة المعنية غائبة عن معالجة مثل هذه الظاهرة الخطيرة.

فيا معشر الصحفيين اكتبوا عن هذه الظاهرة الخطيرة التي تهدد مجتمعنا وتتسبب في ازدياد الاستياء من قبل شريحة المستأجرين (المظلومين) والمغلوبين على أمرهم، واطلبوا من برلمانكم المنتخب بدراسة هذه الظاهرة التي تنتشر يوميا كالسرطان، ويا رئاسة حكومة إقليم كوردستان الموقرة عالجي أمرها واستعيني بالمختصين والاقتصاديين والقانونيين من جامعات كوردستان بالسرعة الممكنة لوضع الدراسات والقوانين المطلوبة لغرض وضع الحلول الضرورية من أجل أولئك الذين يطاردهم جشع المستغلين المنفلتين من كل القيود القانونية والاجتماعية.

اسألوا صداما عن مصير الصحفي "دارا توفيق"

في الحادي والعشرين من شهر آب الماضي عقدت المحكمة الخاصة جلسات عديدة لمحاكمة (صدام حسين) وبعض من أعوانه على ارتكابهم جرائم عمليات (الأنفال) السيئة الصيت، والتي راح ضحيتها مئات الألوف من أبناء كوردستان الآمنين رجالا ونساء شيبا وشبانا وأطفالا رضع، ذهبوا إلى محرقة الموت (الهولوكوست) في أقذر عملية إجرامية ارتكبت بحق الإنسانية جمعاء، بالإضافة إلى استعمال السلاح الكيمياوي ضد كوردستان وشعبها، كل ذلك بنية القضاء على شعب من خلق الله سبحانه وتعالى، يعيش كبقية الشعوب على أرض المعمورة (لتعارفوا) حدث ذلك بدافع من الفكر الشوفيني البعثي العربي حيث سيق أكثر من 180,000 إلى مختبرات السلاح الكيمياوي وجرت إذابتهم في أحواض التيزاب والمقابر الجماعية وسط سكوت عربي وعالمي. وقد أصبحت كلمات (الأنفال) و (المؤنفل) و (التأنفل) مصطلحات مرادفة لعمليات (الإبادة الجماعية) للكورد في الثلث الأخير من القرن الماضي.

وهنالك عمليات أنفالية أخرى بحق أشخاص سيقوا إلى مصير مجهول حيث لم يعرف لحد الآن ماذا حلّ بهم أمثال الصحفي (دارا توفيق) رئيس تحرير جريدة (التآخي) في الفترة ما بين (1971–1974) ورئيس تحرير أول جريدة كوردية يومية في التاريخ، حيث لم يعثر لحد هذه اللحظة على أي أثر له ولا نعرف كيفية أنفاله وسبب تأنفله، ولكن وكما أخبر (فاضل البرّاك) مدير الأمن العام ومدير المخابرات العامة في النظام المقبور عائلة الفقيد (دارا توفيق) بعد اختفائه عن الوجود في 1980/10/6 بأيام عندما واجهوه حيث قال لهم بالحرف الواحد (لا نعرف مصير دارا ولا نعرف ماذا حلّ به لأن قضيته عند الرئيس صدام حسين).

لذا فإن من واجب هيئة الإدعاء العام المطالبة بأسم صحفيي كوردستان ومثقفيها وجميع الأخيار من العراقيين استنطاق (عار البشرية صدام حسين) في الجلسات القادمة لمحاكمته عن مصير (دارا توفيق).

احفظوا أسماءهم لكي لا ينجو من العقاب

في غفلة وغياب الحد الأدنى من المفاهيم والمبادئ الإنسانية بأبسط صورها، انتهك المجرم الوحش (جعفر الحلاّوي) وزميله الأكثر وحشية المدعو (حجاج) أعراض بعض الفتيات الشريفات من أبناء شعب كوردستان عقب حملات عمليات الأنفال الإجرامية والتي راح ضحيتها عشرات الألوف من أبناء شعبنا في زمن طاغية العصر وعار البشرية صدام حسين، وذلك في معتقل (نقره سلمان) الرهيب في ذلك الزمن الرديء، حيث كان الطاغية مكرما معززا من القطبين الرئيسيين وبعض الأوساط الحاكمة في أوروبا وسط سكوت عربي وإسلامي (العالمين العربي والإسلامي) وعلى كافة المستويات بتأثير من المصالح الاقتصادية والسياسية وكوبونات النفط السيئة الصيت والتي كانت تباع وتشترى بها الضمائر والمبادئ في سوق النخاسة السياسية، حيث جعلت من المجرم صدام (ظل الله) بنظر الذين باعوا ضمائرهم وحللوا استعمال السلاح الكيماوي، وسيقت أعداد هائلة من سكان قرى وأرياف كوردستان الى محرقة الموت في صحراء السلمان وعرعر والحضر وأماكن أخرى من أرض العراق، حيث لا يزال قسما كبيرا من المقابر الجماعية مجهولة ولم تصلها الأيادي بسبب مرتكزات الأساليب الفاشية (دولة المنظمة السرية).

يا أبناء شعب كوردستان.. في تاريخنا المعاصر هنالك كثرة من الجلادين والقوادين أجرموا بحق شعب كوردستان حيث أبادوا بالجملة أناسا أبرياء وأحرقوا الأخضر واليابس ودمروا الجوامع والكنائس ومزار الأولياء الصالحين، وظلت ذاكرتنا محتفظة بأسماء من اقترفوا الجرائم بحق كوردستان وشعبها أمثال (صديق مصطفى) (زعيم صديق) و(بدرالدين علي)، و(طه الشكرجي)، و(غانم مصباح)، و(ملازم محسن)، و(رائد طه)، و(بارق الحاج حنطة)، و(عبدالعزيز العقيدي) وآخرون على شاكلة هؤلاء السفلة والذين لن ينجوا من عقاب الله في يوم الآخرة حتى وإن نجوا من عقاب الشعب في الدنيا.

ولكي لا ننسى أسماء بعض من الوحوش الكاسرة كما سجلت أسمائهم وأفعالهم المشينة والدنيئة في أقوال شهود محاكمة صدام وأعوانه في قضية الأنفال بحق الفتيات الكوردستانيات الشريفات، احفظوا في ذاكرتكم وضمائركم وسجلوا أسماء:

المجرم جعفر الحلاّوي، المدعو حجاج، وآخرون من جلادي الأنفال الذين أساءوا إلى الدين والوطن والإنسانية والشرف وكل ما يحمله الإنسان الشريف من القيم.

تحية إلى الصحافة السريانية في عيدها الـ(157)

احتفل الزملاء العاملون في الصحافة السريانية ومعهم مثقفو القومية الآشورية بذكرى مرور (157) عاما على ولادة أول صحيفة مكتوبة بالسريانية (زهريرا دبهرا) في مدينة (اورميه) بالقسم الشرقي لكوردستان (كوردستان إيران) على أيدي (شموئيل بادل فال كندي وايليا ملا باش)، وذلك تحقيقا لطموحات شعب تعرض للظلم والاضطهاد كسائر شعوب المنطقة، وبما ان المثقفين يشكلون رأس الرمح في التصدي للممارسات الخاطئة والتي تلحق الضرر والأذى بتطلعات شعوبهم، فلقد انبرى (المثقفان الآشوريان المار ذكرهما) باعتبارهما من الملمين بقضية الشعب الآشوري وما لحق بهم من أذى الى التفكير بإصدار هذه الجريدة التي شكلت اللبنة الأولى في إرساء البنية التحتية لطرح حضارة الناطقين بالسريانية والتي وصلت في ظل التجربة الكوردستانية الى مراحل متقدمة، هنالك صحافة متنوعة ومحطات إذاعية وقنوات تلفزيونية وأحزاب قومية والمشاركة في هذه التجربة التي ولدت لتخدم الجميع وبدون استثناء، والتي تدعونا أيضا الى حمايتها بكل جدية من خطر العابثين وفرق الموت ودعاة صهر القوميات وإنكار حقوق الآخرين تحت واجهات كاذبة والتي هي بالأساس تخدم الشر والأشرار.

تحية إلى الصحافة الآشورية في عيدها السنوي والى العاملين في هذا الحقل (حقل الثقافة والإعلام) والذي ينبغي أن يكون رسالته المحبة والتآخي والتسامح والصداقة بين الشعوب قاطبة.

غياب قسري أم جهل بالمهمة الإعلامية

شهد العام المنصرم عدة فعاليات مختلفة على الصعيدين الإعلامي والصحفي وفي غاية من الأهمية في العواصم الثلاث القاهرة، طهران وعمّان. ففي الأولى كانت المناسبة مخصصة لشؤون وشجون الصحفيين العراقيين والكوردستانيين وبإشراف الفدراسيون الدولي للصحفيين IFJ حيث شاركت نقابة صحفيي كوردستان بوفد وعلى أعلى المستويات لأن المناسبة كانت تتطلب حضور نقابتنا بهذا الحجم ولأن أحد أطراف المنصة (المنبر) كان من حصة نقابة صحفيي كوردستان وجرت فيها مناقشات وحوارات ومرات عديدة مشاحنات حارة بيننا وبين الآخرين.

وفي الأول من أيار الماضي كانت نقابتنا الوحيدة في الحضور من العراق بدعوة من الزملاء من (انجمنى صنفى روزنامه كرانى ايران) أي التنظيم النقابي لصحفيي الجمهورية الإسلامية الإيرانية والمناسبة كانت تكريم الصحفي الإيراني اللامع (أكبر كنجى) بعد إطلاق سراحه من السجن في طهران وزملائه الأربعة وهي مناسبة في غاية الأهمية أيضا كونها تسجل تكريم صحفي خارج من سجن النظام وعلنا وبحضور عشرات من مراسلي الصحف وأشهر القنوات الإعلامية.

وكان الوفد الكوردستاني هو الوحيد الذي كان مدعوا الى المنصة لإلقاء كلمة كما وتم تكريم الصحفيين الخمسة من قبل نقابتنا بإهدائهم مجلدات أنيقة كانت تحوي الأعداد الكاملة لأول جريدة كوردية صدرت في 11 نيسان عام 1898 باسم "كردستان" وكان لها صدى واسعا بين أشهر الصحف الإيرانية.

والمناسبة الثالثة كانت لقاء عمّان يومي 18-1006/11/19 الذي خصص لدعم الصحفيين في العراق ومساعدتهم للخروج من أزمتهم والجمع بين الصحفيين الكوردستانيين وزملائهم العراقيين بإشراف الفيدراسيون الدولي وبدعم الاتحاد الدولي للنقابات العمالية الحرّة وبمشاركة اتحاد الصحفيين العرب (تفاصيلها منشورة في هذا العدد).

والذي كان موضع الاستغراب والتساؤل من قبلنا وأعضاء تلك الوفود هو غياب الإعلام الكوردستاني بكافة قنواته وعلى اختلاف الاتجاهات (وهم كثر) في هذه

المناسبات التي جرت في عواصم مهمة من دول الجوار التي توجد فيها حسب علمنا مكاتب للأحزاب الكوردستانية يصرف عليها شهريا عشرات الألوف من الدولارات وتملك ما تملك من الأجهزة والكاميرات والكوادر الإدارية ولكن الذي ينقصهم وهذا بيت القصيد الوعي الإعلامي، وأهمية الإعلام في عالمنا اليوم والذي باستطاعته جعل الأبيض أسودا وعسى أن يتفهم مديرو الفضائيات الكوردستانية ومسؤلو المكاتب الإعلامية وعمدة مكاتب الأحزاب ومكاتب حكومة إقليم كوردستان أهمية الإعلام ونتمنى أن يكون غيابهم في هذا الجانب (قسريا) من جانب تلك الحكومات لا أن يكون جهل بالمهمة وهم أدرى بها !؟

إلى أصدقائنا الأمازيغ.. من القلب نحبكم

في نهاية الشهر الماضي وعلى اثر دعوة الفدرالية الدولية للصحفيين IFJ حضرنا اللقاء الذي جمعنا مع أكثر من 15 نقيبا او سكرتير عام او ممثلي النقابات الصحفية في العالم العربي وإيران والمملكة المتحدة (التفاصيل منشورة في الصفحات (1، 1، 3، 4) وكانت الكلمات والمناقشات التي جرت في اللقاء متسمة مرات بالصراحة ومرات أخرى بدرجة أقل من الشفافية عندما كانت الأمور تتعلق بحرية الصحافة وأوضاع الصحفيين في العالم العربي، فلم تكن هناك تجربة سلمت وخلصت من الانتقاد ونشر الغسيل إلا ما ندر.

التجربة الوحيدة التي لم توجه إليها أصابع الاتهام هي التجربة الكوردستانية على الصعيد الإعلامي والصحفي، ولكن وعندما أبلغ المجتمعون بأن نقابة صحفيي كوردستان أعدت مشاريع قوانين النقابة وقانون صندوق التقاعد للصحفيين في كوردستان والمشروع الثالث المعدّ من قبل النقابة هو مشروع قانون العمل الصحفي في كوردستان لم يظهر على محياهم أثر مسرة لنجاح نقابة زميلة على الصعيدين المهني والدفاع عن حرية الصحافة وضمان حقوق الصحفيين، ولم يعلق أحدهم على هذا الإنجاز ولكن وعندما كانت المناقشات جارية بصدد التوصيات ضمن البلاغ الختامي حيث اقترحتُ إضافة إقليم كوردستان بجانب العراق (أربيل بجانب بغداد) لفتح مكاتب للدورات الصحفية المهنية انبرى أكثر من ممثل نقابي عربي للاعتراض على إضافة كلمة كوردستان وكأن كوردستان هي البقعة المسؤولة عن الفواجع والانتكاسات والانكسارات التي وقعت في الوطن العربي والأمة العربية في الوقت الذي لا يجدون حرجا عندما يتذكرون بطولات صلاح الدين الأيوبي ودور علماء الكورد في إغناء الثقافة العربية.

وخلاصة القول لم أجد قلبا وعقلا مفتوحا بقدر ما كنا ننادي ومنذ الأربعينيات من القرن الماضي (بالإخوة العربية والكوردية وتحطيم مؤامرات الاستعمار على صخرتها)، وأقول والأسف يملأ قلبي وعقلي عندما أتذكر موقف بعض من زملاء (مهنة البحث عن المتاعب) وكأن تلك (المتاعب) آتية من كوردستان لا من مكان آخر

وأستثني من ذلك الصديق الأمازيغي (البربر) الذي همس في أذني ونحن نتجاذب أطراف الحديث على طاولة في إحدى المطاعم الفاخرة في العاصمة الجزائرية عن الشؤون والشجون المشتركة بين الكورد والأمازيغ عندما قال لي: (لا تهتم يا صديقي فنحن وإياكم نعيش عصرنا الذهبي ربما تستغرب من كلمة "عصرنا الذهبي" فياصديقي الكوردي إن عصرنا الذهبي بدأ منذ خرجنا معا من امتحان "التعريب" الذي حاول مضطهدينا من الحكّام العرب وسط سكوت مثقفيهم صهرنا في بودقة "الأمة العربية"، فتحية (من كوردستان) الى هذا الإنسان الذي يزهو بنجاحه في امتحان (التعريب وبزوال عصر صهر الشعوب وإلى الأبد).

حرية الصحافة بين مسؤولية النقابة ومهمة الصحفي

بين آونة وأخرى تشهد الساحة الكوردستانية مساجلات صحفية وكتابات انتقادية، ينتج عنها ردود أفعال تختلف في المحتوى وفي الأسلوب بفعل اتساع مساحة حرية الصحافة في كوردستان، وظهور صحف ومجلات وقنوات إعلامية عديدة مستقلة او اهلية بالاضافة الى القنوات الاعلامية المختلفة للاحزاب والجمعيات والنقابات والاتحادات والإعلام الحكومي ووزارته، حيث لم تبق شريحة من شرائح المجتمع الكوردستاني بدون تغطية اعلامية، ناهيك عن وجود كثرة من المحطات الإذاعية والتلفزيونية تتسابق كلها في شغل مساحات العمل الإعلامي دون وجود قوانين ناظمة تضبط وتوجه نشاطاتها، كل هذا بفضل المناخ الذي أوجدته انتفاضة ربيع عام 1991.

وباستطاعتنا القول الآن أن هنالك ثورة في الساحة الاعلامية تنمو و تتطور الى الأمام وهذا ما يجعلنا متفائلين الى اقصى الحدود، ونفخر بها أمام العالم في المؤتمرات والاجتماعات التي تعقد هنا في داخل كوردستان وفي العواصم التي نلبّي دعواتها لحضور تلك الفعاليات باسم نقابة صحفي كوردستان.

هذه النقابة الفتية التي لم يتجاوز عمرها سنوات عشر استطاعت أن تأخذ مكانتها بكل جدارة في الساحتين الاقليمية والدولية، ويشار إليها بالبنان من حيث وحدتها الرصينة وطروحاتها العملية وحضور (كوردستان) معها بالإضافة الى هموم الصحفيين الكوردستانيين أينما حلت، لجهة المطالبة بفتح الدورات التنشيطية لمنتسبي النقابة، وكل ما يتعلق بتطور الأفق المهني والثقافي للصحفيين، على نحو يؤدي إلى تقدّم الصحافة في كوردستان،وتوسيع دورها، وترسيخ مكانتها وحريتها كقيمة عليا مكتسبة وإنجاز حضاري كبير.

ولكن كم نشعر بالأسف عندما نقول أن هذه التجربة الفريدة بما انطوت عليه من نتائج ومكتسبات للصحافة والصحفيين، تنتابها أحيانا بسبب البعض ممن تكتسحه حمى تقليد الآخرين، في ممارسات فالتة، غير منضبطة، ولا تضع حسابا لظروفنا وأوضاعنا التي مازالت هشة بفعل دسائس ومؤمرات الدوائر المخابراتية لبعض دول

المنطقة وغيرها وسعيها الدائم لخلق المشاكل ووضع العراقيل في طريق مسيرتها، والإجهاز عليها من ثم تحقيقا لأغراضهم المعروفة (بإرجاع القديم الى قدمه).

نقول والأسى يملأ صدورنا، عندما نرى ما وصلت إليه أقلام بعض كتابنا وبعض صحفيينا من مستويات متدنية ورديئة، لا تنسجم مع اخلاقيات المهنة، ولا تعنيها حرية الصحافة، ولا تهمها الظروف التي تمر بها كوردستان، بما تتطلبه منا من تكاتف، وتوحيد الصفوف وتسخير الأقلام، على اختلاف انتماءاتنا القومية والسياسية والدينية من اجل ازالة اثار النظام الدكتاتوري المنهار واعادة مدن وقصبات وقرى (كركوك وخانقين وسنجار ومخمور وشيخان)، وكل شبر من اراضينا المقدسة التي تم (تعريبها) وإلحاقها قسرا بمحافظات أخرى غير كوردستانية.

حرية الصحافة مصانة الى حد ما بفعل القوانين النافذة (قانون رقم 10 لسنة 1993 وتعديلاته وقانون رقم 4 لسنة 1998 وتعديلاته وقانون نقابة صحفيي كوردستان)، وبفضل ديمقراطية المجتمع الكوردستاني وتماسك مكوناته وأجواء الانفراج والتسامح التي تسودها، بيد أن ذلك لا يمنع حدوث مساجلات ومشاحنات وكتابات صحفية لا ترقى الى مستويات مهنية معقولة وتتسبب بالتالي في جرح مشاعر الاخرين والإساءة الى الآداب والنظام العام، ما يخلف بالتالي ردود أفعال مضادة كاللجوء الى المحاكم وتقديم الشكاوى كل هذا حدا بمجلس نقابة صحفيي كوردستان إلى تشكيل لجنة مختصة متكونة من اساتذه جامعيين ومحاميين متمرسين وصحفيين من أعضاء النقابة بالإضافة الى عضو اللجنة القانونية في برلمان كوردستان ومدير الدائرة القانونية في وزارة الثقافة لحكومة اقليم كوردستان، قامت بإعداد مشروع قانون تنظيم العمل الصحافي في كوردستان وتم تقديمه الى رئاسة برلمان كوردستان بتاريخ 1006/10/17 لغرض مناقشته وإقراره كمشروع ضامن ومعزز للحريات الصحفية المتحققة، ومنظم لحقوق الصحفيين والحدود المهنية التي ينبغي التزامها أثناء العمل، ومعين للأحكام والمواد القانونية التي لا يصح تجاوزها من قبل المحاكم، كما يقوم بمهمة تعريف كل الأطراف ذات الصلة " الصحفي، المواطن، أجهزة الدولة " بحدود مسؤولياته منعا للتجاوزات المحتملة من أي طرف كان على الأطراف الأخرى.

مسؤولية النقابة في وضع حد للتجاوزات التي تحدث هنا و هناك مسؤولية ادبية مثبتة في قانون النقابة وهي تعمل جاهدة من اجل تطبيق شعارها المركزي (من اجل ترسيخ حرية الصحافة و ضمان حقوق الصحفيين في كوردستان)، وان حرية الصحافة لاتعني التجاوز على حريات الاخرين و تجريح مشاعرهم، وانما تعني احترام القوانين السائدة في هذا المجال، و اتباع اسلوب النقد الموضوعي واظهار النواقص واماكن الخلل مقرونة بالدلائل و المستمسكات، وعندما نؤكد على المسؤولية الادبية للنقابة كونها ليست دائرة تنفيذية تملك قوة نظامية ولا تتمتع بصلاحيات قانونية لفض كل المشاكل و المنازعات، ومعظمها تقع خارج مسؤولية النقابة ومجلسها، ومع هذا فإننا لم نتخل لحظة واحدة عن مساعينا الدائبة لتسوية بعض تلك المشاكل برغم طابعها المتجاوز لحدود صلاحياتنا المثبتة في نظامنا الداخلي، وعندما تجد النقابة وجهات أخرى (أحزاب ودوائر تنفيذية) بسبب بعض الخروقات الصحفية التي تتمثل بنشر اخبار و مواضيع معينة تسئ الى هذا الطرف أو ذاك، تجد نفسها في مواجهة مسؤولياتها الوطنية والسياسية، فإنها لن توفر جهدا في حلحلة تلك المشاكل، وكان هذا دأبنا على الدوام، ولدينا أمثلة كثيرة لا داعي لذكرها في هذا المكان. ولكن مع هذا عندما تنبري بعض الأقلام (لا تتجاوز أصابع اليدين) لتشويه دور النقابة كونها على حد زعمهم(لا تقوم بإسكات هذا الصوت او ذاك ولا تضع حدا لكتابات بعض الصحفيين ومواقف بعض الصحف تجاه هذا الحدث او ذاك).

أقول لتلك الأقلام، بأن عليهم مراجعة قانون رقم 4 لسنة 1998 (قانون نقابة صحفيي كوردستان) المطبوع بثلاث لغات هي (الكوردية، العربية و الانكليزية)، أولا لكي يعرفوا حدود ومسؤوليات النقابة القانونية قبل ان يسودوا كتابتهم بالتهجم علينا، لان الكتابة عن حدث ما او موضوع معين من دون الإلمام بالحدث وبالموضوع وبالحدود القانونية والمهنية لمسؤوليات النقابة هي بحد ذاتها مصيبة، وحين تكون الإساءة مقصودة لغرض الإساءة وحدها فإنها تكون أعظم، وجوابنا على ذلك ما تقوله الآية القرآنية الكريمة (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) صدق الله العظيم.

مراسلون بلا حدود

في بادرة إيجابية أخرى تجاه صحفيي كوردستان، زار وفد صحفي كبير (فرنسي وسويسري) يرأسه الصحفي والنقابي اللامع (روبيرت مينار) رئيس منظمة (مراسلون بلا حدود) الذائعة الصيت ليس في البلدان الأوروبية وحدها وإنما على الصعيد العالمي والذي لبّ هو وزملاؤه من الصحفيين والأكاديميين دعوة نقابة صحفيي كوردستان بالرغم من انشغالهم بمهام كبيرة وكثيرة.

وهذه الزيارة تدل دلالة واضحة على تخطي نقابة صحفيي كوردستان الإطار المحلي وصولا إلى مراكز الاهتمام بحرية الصحافة والدفاع عن الصحفيين وحضورها منذ أن أصبحت عضوا عاملا في الفيدراسيون الدولي للصحفيين ومن قبل كانت عضوا مشاركا، وتقييمها (أي النقابة) يليق بما وصلت إليها من مصداقية في تمثيل صحفيي كوردستان والدفاع عنهم وعن مثلهم العليا بترسيخ حرية الصحافة في كوردستان وضمان حقوقهم ومستقبلهم وإيصال صوتهم الى أية بقعة تجري فيها أمور الصحفيين وخاصة أمور الصحفيين وحرية الصحافة من بلدان الشرق الأوسط والعالم العربي، وهذا ناتج عن حقيقة كون نقابتنا فاعلة في حضورها وقوية في وحدتها وإيجابية في طروحاتها ومؤثرة في صلابتها وراسخة في المطالبة بحق أسر شهدائنا الصحفيين في الاستفادة من القوانين والتشريعات التي تصدر وتشرّع، وكذلك الاستفادة من منح ومساعدات النقابات والمنظمات ذات الأهداف الإنسانية لشهدائنا إضافة الى تقييمها ودعمها لمشاريع قوانين تعد وتقدّم من قبل نقابتنا بهدف المساهمة في ترسيخ التجربة الديمقراطية وفي مقدمتها حرية الصحافة والتي هي جزء حيوي من الحريات العامة والحياة الديمقراطية والتي لا يمكن أن نتقدم خطوة إلى الأمام بدونهما، وهذا ما أكّد عليه روبرت مينار على منبر الإعلام الكوردستاني عندما أشار إلى مشروع العمل الصحفي المعدّ من قبل نقابتنا والمقدّم إلى برلمان كوردستان واعتبره خطوة كبيرة إلى الأمام في حالة تشريعه وان كوردستان ستتقدم على (فرنسا) في هذا المجال إذا ما أصبح المشروع قانونا صادرا من برلمان كوردستان.

بعد مرور مائة وتسعة أعوام.. ما الذي يتعين علينا أن نتعلمه الآن..؟

الزمن كان رديئا والحاكمون على الشعوب والقوميات المختلفة المغلوبة على أمرها الرازحة تحت نير الحكم العثماني الجائر، كانوا قساة القلوب وغلاظ العقول، وكان موقع الكورد في تلك الإمبراطورية الجائرة متدن للغاية، في الدرجة الثالثة او الرابعة وربما أكثر، فلغتهم كانت منسية في المخاطبات والمدارس وممنوعة حتى في تبادل التحايا، لقد تبدلت أسماء أعداد كبيرة من المدن والجبال والسهول الكوردستانية وتحولت الى أسماء تركية في اثناء فترة حكم إمبراطوريتهم والتي دامت أكثر من خمسة قرون..

كانت حصة المثقفين الكورد من ظلم تلك الإمبراطورية رغم قلة عددهم في ذلك الزمن اكثر من غيرهم من بقية أفراد الشعب الكوردي بسبب الحصار المقيت والمتعدد الجوانب على مناحي الحياة عامة، والثقافة على وجه الخصوص..

وكانت كوردستان تعيش حالة متطرفة من الإهمال والتهميش والتجاهل للمشاعر والأماني والتطلعات القومية مقرونة بأبشع أنواع الظلم والاستبداد ناهيك عن تحريم وتجريم إصدار أي مطبوع بلسان القوم ما حدا بمتنوري البدرخانيين الكورد الى الهجرة خارج الإمبراطورية المقيتة، والسعي من هناك لكتابة أسفار التاريخ القومي وفصول الثقافة الكوردستانية..

هكذا صدرت جريدة " كوردستان " متغربة في القاهرة، وفي الإسم وحده ما فيه من دلالات الإعتزاز القومي والإنتماء الجغرافي الوطني والتحدي الحضاري لهمجية الإمبراطورية العثمانية، على أيدي البدرخانيين مقداد وعبد الرحمن..

ثمة دروس ينبغي ان نتعلمها من تلك التجربة..

أولها إن مشاعر الوطنية الكوردستانية قادرة على قهر كل صروف وتقلبات الزمن، وهي ملتصقة بالإنسان الكوردي مهما تقلبت فيه المنافي ونأت المواقع، وتناوبت عليه تراجيديات الظلم والإستبداد..

وثانيهما عمق الحس القومي لدى المثقف الكوردي، وإصراره على أداء دوره التنويري الوطني المستقل حتى لو تطلب منه ذلك ركوب المركب الصعب: التغرب والهجرة والنأي..

وثالثهما أهمية الدور الذي نهضت به جريدة كوردستان في التمهيد لبلورة فكرة كوردستان الوطن..

وأخيرا وليس آخرا الحاجة إلى إستعمال لغة التسامح مقرونة بشفافية متناهية من اجل إعلاء شأن الكورد وكوردستان..

رحم الله روادنا البدرخانيين ومن سار على دربهم الكفاحي القومي،الذين جعلوا من ضوء عيونهم في كهوف الجبال وأقبية السراديب المعتمة منارات لإستمرار المسيرة، مسيرة الصحافة الكوردية..

مجدا للثاني والعشرين من نيسان يوم الصحافة الكوردية..

خطوة أخرى الى الأمام

لم يتجاوز عمر نقابتنا سنوات عشر منذ صدور قانون تأسيسها في الثاني والعشرين من نيسان 1998، ولكنها خطت خطوات جادة وفي غاية الأهمية قياسا بهذه الفترة القصيرة خاصة في الظروف التي مرت بها كوردستان، فكانت حصيلة تلك السنوات من العمر تحقيق جملة من الانجازات تمحورت كلها حول تطبيق شعارها المركزي (من اجل ترسيخ حرية الصحافة وضمان حقوق الصحفيين في كوردستان)، حيث دأب مجلس النقابة منذ التأسيس وبشتى الطرق وحسب إمكانياته مع مراعاة الظروف الذاتية والموضوعية على العمل من أجل الوصول إلى أفضل النتائج فيما يتعلق بالشطر الاول من الشعار ببلورة المفاهيم الصحيحة عن حرية الصحافة المستندة على الواقع الكوردستاني، ومن ثم ترسيخها بقانون يحظى بالتطبيق والاحترام حيث تم إعداد مشروع حول تنظيم العمل الصحفي في كوردستان وهو مطروح الآن أمام البرلمان.

ومن جانب آخر وحول ضمان حقوق الصحفيين لا نريد تكرار عرض منجزات النقابة والتي أعلن عنها في حينها بالإضافة إلى إيصال النقابة الى شاطئ الفيدراسيون الدولي للصحفيين حيث بدأت المحاولة برسائل وجهتها النقابة إلى مقر الفيدراسيون الدولي في بروكسل من ثم كسب أصدقاء من نقابات صحفية في كل من بريطانيا وألمانيا، وجرى تشكيل لجنة لمؤازرتنا ثم قبولنا كعضو مشارك ومن ثم في النهاية منحنا العضوية الكاملة (عضو عامل) والمشاركة في المؤتمرات العامة للفيدراسيون وكان أولها المشاركة في مؤتمر الـ (15) للفيدراسيون (IFJ) عام 1003 في اثينا كعضو مشارك ولكن في المؤتمر الاخير و (الذي ستجد تفاصيل وقائعه في الصفحات الاولى)، شارك وفد كبير من نقابتنا في اعمال المؤتمر بملابسهم القومية الأمر الذي أضاف إلى المؤتمر لمسة رومانسية وكانت مشاركة فعّالة نتج عنها ترشيح ممثل نقابتنا الزميل شيركو حبيب سكرتير مكتب العلاقات الخارجية لعضوية اللجنة القيادية في الفيدراسيون والمسمى اللجنة التنفيذية للمرة الاولى لنقابة اتية في وسط

شعب ليس له كيان سياسي مستقل وليس عضوا في الامم المتحدة، ولكن مع هذا استطاعت النقابة كسب (115) صوتا من المرحلة الثانية بفارق (6) أصوات مع آخر الفائزين.

وعندما نقول خطوة اخرى الى الامام لا نعني باننا حصلنا على موقع من اللجنة التنفيذية ولكن الوصول الى مؤتمر الدولي وثم حق الترشيح وبالتالي الحصول على عدد الاصوات وسط هذه التيارات المتباينة ليس بالأمر السهل، المهم فقد فتحت لنا أبواب وسندخلها يوما اذا مااستمرينا في صيانة وحدتنا وتقوية صفوفنا وفي تمثيل جميع صحفيي شعب كوردستان تمثيلا حقيقيا.

من أجل مؤتمر نوعي آخر

كما هو منشور في الصفحة الأولى من "الصحفي" صدر بلاغ عن الاجتماع الدوري لمجلس النقابة يوم 11 من الشهر الحالي وكما جاء في الفقرة (3) فقد تقرر عقد المؤتمر الثاني في غضون الأشهر المتبقية من السنة الجارية لاختيار مندوبي المؤتمر بنسبة 8٪ من الأعضاء العاملين اي باستطاعة كل (11) صحفيا اختيار مندوب واحد لهم داخل المؤسسات الإعلامية بالشكل الذي يرونه وفي جو من الديمقراطية والشفافية وتحت إشراف لجان خاصة مشكلة وبالتنسيق والتعاون مع لجنتي المراقبة والتفتيش ولكن بشرط واحد فقط للأعضاء الذين يشاركون في اختيار المندوبين وكذلك الذين يرغبون في ترشيح أنفسهم لتمثيل الصحفيين في المؤتمر والشرط كما هو منصوص في قانون النقابة ونظامها الداخلي أن يكون الصحفي عضوا عاملا في النقابة ومجددا لهويته ولم تبق عليه أية التزامات مالية (أي دافعا للاشتراك السنوي).

أيها الزملاء الأعزاء يا صحفيي كوردستان.. المؤتمر هو مؤتمركم، النقابة هي نقابتكم ولا نريد هنا تعداد المنجزات على الصعيدين الداخلي والخارجي، ولكن المهم هنا أن مجلس النقابة ولجنتي المراقبة والتفتيش ولجان فروعها داخل كوردستان ومكتب العلاقات الخارجية كانوا ولا يزالون حريصين على أداء العمل النقابي بكل حياد وموضوعية بعيدا عن الأهواء والتسلط الحزبي، وفي سيرتها هذه تتميز النقابة عن جميع النقابات والاتحادات والمنظمات العاملة على الساحة الكوردستانية.. ونريد أن نبين هنا بأننا ربما كنا مقصرين أو عاجزين تجاه هذا الموضوع او ذاك ولم يكن عملنا النقابي بالشكل الأمثل في أداء المهمة ولكن ثقوا يا زملائنا الأعزاء بأننا كنا جادين ومخلصين في تطبيق قانون النقابة والسير على هذا النظام الداخلي، ولم يكن باستطاعتنا سد جميع الثغرات التي كانت تطال الصحفي وحريته وحقوق المواطنين والمجتمع بسبب عدم وجود قانون خاص ينظم العمل الصحفي في كوردستان وكما هو معلوم فقد تم إعداد مشروع قانون لتنظيم العمل الصحفي الذي هو الآن قيد المداولة بين السلطتين التشريعية والتنفيذية ومن المؤمل إنجازه قبل عقد المؤتمر.

ومن أجل الإعداد لمؤتمر نوعي آخر أي المؤتمر الثاني ينبغي على كل الزملاء الصحفيين المساهمة في انتخاب مندوبي المؤتمر في جو من الديمقراطية والزمالة الصحفية وبعيدا عن المنطلقات الحزبية الضيقة ولكي تبقى نقابتنا نقابة جميع صحفيي كوردستان وعلى اختلاف انتماءاتهم الدينية والمذهبية والقومية والسياسية تتطلب المحافظة على تركيبة المجتمع الكوردستاني داخل النقابة بأجلى صورها لكي تساهم النقابة بشكل مؤثر في خلق مجتمع مدني يحترم فيه حقوق الإنسان ويصان حريته.

ورقة أولى: بعض ذاتي..

اعتدت ألا أتدخل في شؤون الآخرين، لكنني أساهم في التخفيف من شجونهم وأحزانهم قدر ما يسمح لي الظرف والوقت، وشريحة الصحفيين تأتي في مقدمة أولئك "الآخرون"، إنهم بعض ذاتي، جزء من كياني، وعلاقتي بهم تتعدى حدود المزاج، إنها علاقة واجب مهني وإنساني وأخلاقي شخصي وصميمي حين حملوني في مؤتمراتهم مسؤولية قيادة نقابتهم ، قبل أربع سنوات، وحتى قبل ذلك منذ محاولات التأسيس الأولى، وعبر توليي إدارة مؤسسة (برايه تي) و (خه بات) الصحفية لمدة تقرب من سبع سنين...

"ورقة ثانية: محظوظون"

لشد ما يحزنني أن أجد صحفيا من أبناء جلدتي يسعى للإساءة إلى تجربتنا الكوردستانية، بما تمثله من وعود وآفاق، وبما حملته إلينا من مساحات للحرية واسعة، لم نكن نجرؤ على مجرد التفكير بها في أزمنة سابقة. من البداهة أن تتعدد وجهات النظر حول التطورات والأحداث، لكننا مهما اختلفنا يتعين علينا أن نتبارى في الحرص على صحة وسلامة وأمن هذه التجربة التي تلهف إليها الآباء والأجداد طويلا، وكنا لحسن الحظ الجيل الذي شهد ولادتها العسيرة وكحل عيونه بمرآها في زمن كان يشبه نوعا من المستحيل..

"ورقة ثالثة: أحلام مكبسلة.."

التهديد التركي باجتياح كوردستان كان شغلي الشاغل الذي ظل يؤرقني طوال الشهر الماضي، لكن الذي راعني فعلا وأثار إندهاشي أكثر من سواه، كانت تلك الدعوات الفانتازية العجيبة لإعادة العمل باتفاقية الجزائر المشؤومة عام 1975، والتي كانت استمرارا لسلسلة معاهدات واتفاقيات دولية كان الشعب الكوردي ضحية معادلاتها الإقليمية، والرؤى والمصالح الاستراتيجية الدولية التي مثلتها من مثل اتفاقية أرض رورم، وسعد آباد، وحلف بغداد والسنتو.، متصاممة عن الإيقاعات

الجديدة لحركة التاريخ المعاصر، ومتعامية عن رؤية التبدلات الهائلة في المشهد السياسي على الصعد كافة الوطنية والإقليمية والكونية. " قل تلك أمانيهم"، بل هي أحلام يقظتهم التي أدمنت الكبسلة، بعدما أفلتت الأمور من أياديهم إلى الأبد..

"ورقة رابعة: الأمازيغ.. كورد الجزائر"

ضمن مؤتمر نظمه الفيدراسيون الدولي للصحفيين في الجزائر للفترة 16-1007/1/18، حضره مندوبون عن النقابات الصحفية في الشرق الأوسط وبعض الدول الأوربية، التقيت وزير الإتصالات الجزائري الهاشمي جيار في فندق شيراتون ، حيث كنا نحضر مأدبة عشاء توديعية أقامها سيادته للمؤتمرين، وأهديته علبة حلاوة من السما كنت أحملها بالمصادفة، لكن غير المتوقع كان ذلك التركيز لعدسات الكاميرات على الوزير الجزائري وهو يتسلم الهدية مني، وإلى جانبي في تلك اللحظة كان يقف زميلي شهاب التميمي نقيب الصحفيين العراقيين..

" ... سيادة الوزير هذه علبة (من السما) نوع من الحلويات الطبيعية، تجمع من أوراق أشجار البلوط في جبال كوردستان، كوردستان الوعرة الصعبة الجميلة قادمة الآن إلى العصر بعد أن حطمت كل محاولات الإلحاق والمسخ والمحق والمحو والتذويب.."

لحظة التوديع فوجئت بيد أحد الصحفيين الجزائريين تربت على كتفي، وعندما التفت إليه صافحني بحرارة، وهو يقول: لقد عبرت كلماتك عن بعض ما يضيق به صدري من كلام، فأنا أمازيغي، ونحن نحسب أنفسنا (كورد الجزائر)..

"ورقة أخيرة: أحزان ليست ذاتية.."

خارج سياقات العمل اليومي، انتهيت هذا الشهر من قراءة ثلاثة كتب وهي على التوالي: (مذكرات سليمان زرار بك دركلة) باللغة الكوردية، و (الشرق الأوسط.. المعلوم والمخفي)

لبريماكوف و (وسنوات الخوف العراقي) للكاتبة والصحفية اللبنانية هاديا سعيد. وعلى الرغم من استمتاعي بقراءتها بيد أنها سببت لي بعض الحزن، لكنه لا يشبه

طبعا حزن الشاعر بدر شاكر السياب " أي حزن يبعث المطر" لكنه حزن يأتي من قلق خفي وعميق، هواجس ومخاوف تحذر منها قراءات بعض الاستر اتيجيين للأحداث، لكن ثقتي بقدراتنا كشعب برهن بقوة التجربة على جدارته العالية في صناعة وابتكار مستقبله غالبا ما تبدد بعد حين هكذا أحزان..

ورقة أولى..

على عتبة كل مؤتمر جديد ينتابني هذا القلق العذب المعذب والخلاق، وأنهمك في خطوات التحضير متفكرا بكل صغيرة وكبيرة، متهجسا من كل شاردة وواردة، متحسبا لأسوأ ما يمكن أن يحدث، ذلك دأبي في كل المؤتمرات التي ساهمت في التحضير لها، طيلة أربعة عقود، إلى جانب رفاق العمر والدرب من الزملاء والأصدقاء.. إنه الحرص الزائد على الإنجاز الأحسن والأفضل والأكمل الذي يرفع الرأس دائما ويريح الضمير..

ولم يرتبط هذا الحرص يوما بالموقع الذي أشغله.. نقيبا، محررا، مراسلا، قائدا أو رفيقا في منظمة حزبية، ولا بمرحلة عمر.. شابا لاهثا محلقا على سلم الصعود، أو متثاقل الخطى والأجنحة تحت وطأة كهولة لا أود أن أعترف بها..

هذه الأيام ونحن نقترب من موعد انعقاد المؤتمر العام الثاني لنقابتنا أجد نفسي أكثر حرصا على أن يكون مكتملا من كل النواحي، مستوفيا لكل الشروط، وأكثر تفاؤلا تاليا بأن يكون مؤتمرنا الثاني هذا حدثا كبيرا ومفصليا في تاريخ الحركة النقابية الكوردستانية..

لقد كان قدري أن أنتسب إلى هذه المهنة، وأن أكون جزءا من شريحة الصحفيين النابضة، المحركة، والمحرضة، والطليعية، والمغيرة.. وهي ربما سميت بمهنة المتاعب لهذا السبب بالذات.. وإنني لفخور بهذا الإنتماء..

لقد كنت طيلة عملي في الصحافة والنقابة سباقا إلى كل ما يرفع من شأن هذه المهنة، ويعزز مكانة الصحفيين في المجتمع..

وسأبقى ثابتا على هذا النهج ما استطعت إلى ذلك، وفي أي موقع سأكون..

ورقة ثانية..

قانون تنظيم العمل الصحفي الذي استغرق إعداده وتعديله وإغناؤه ووصوله إلى قاعة برلمان كوردستان ما يقارب الثلاثة أعوام، لم يجد طريقه إلى النور، بالكيفية التي تطلعنا إليها، بوصفه قانونا ناظما وموجها للعمل الصحفي في الإقليم، ومكسبا آخر إلى جانب المكاسب الكبيرة التي تحققت للصحفيين هنا والتي تحولت لدى كل الصحفيين إلى شكل رفيع من الالتزام المهني والإنساني والأخلاقي تجاه كوردستان الوطن والكورد أمة وشعبا.

الذي حدث في البرلمان فاجأنا تماما، لأنه مثل خروجا لم نكن نتوقعه أبدا على الخط السياسي العام للإقليم النازع إلى تكريس وتوسيع مساحات الحرية للعمل الصحفي، والحريات عموما، ضمن الالتزام الذاتي المهني والوطني والأخلاقي..

لقد تعرض المشروع في البرلمان إلى التقزيم بنحو أفقده نضارته وفتوته، وبدلا من أن يدفع باتجاه المزيد من الإبداع والتقدم والتحرر، تحول إلى قانون كسيح كاسح مكسح..

إن الصحفيين شريحة مثقفة تعي تماما حدود حريتها، وحدود مسؤولياتها، ويفترض بأي تشريع أن يراعي هذه الخصوصية، ويتجه إلى توسيع مساحة الحرية المسؤولة والمنتجة والمبدعة لدى هذه الشريحة، بدلا من فرض منطق الوصاية والإخضاع المدمر للذات وللروح..

إن الثقة بضمائر الصحفايين، وثقافتهم، ومهنيتهم، ووطنيتهم، ونضجهم، وقدرتهم على تحمل المسؤولية، وحبهم لبلادهم لا ينبغي أن تكون محل مزايدة من لدن أي كان..

ومهما يكن فإننا نقابة وصحفيين سنبرهن دائما على وطنيتنا ومهنيتنا وحبنا لبلادنا حتى في أسوأ الأحوال، وسنجد الوسيلة للتعبير عن ذلك في أقسى الظروف..

ورقة أخيرة..

طيلة شهرين ومجلس النقابة يعمل ليل نهار في التحضير للمؤتمر من كل الوجوه. ذلك لأننا نسعى إلى أن يكون مؤتمرنا هذا مختلفا عن المؤتمرات السابقة، لقد بذل جهد كبير خاصة في إعداد التقرير العام الذي أعده المجلس بشقيه الإداري والمالي، والذي غطى نشاطات النقابة عبر أربع سنوات هي المسافة الزمنية الفاصلة بين المؤتمر الأول وهذا المؤتمر لكي يطلع الزملاء مندوبو المؤتمر ومن خلالهم الزملاء أعضاء النقابة، لقد حاولنا توفير أعلى درجات الأمانة والموضوعية في صياغة هذا التقرير، وتسجيل ما للنقابة وما عليها فيه، وهو الآن بين أياديكم أيها الزملاء..

لست أذكر من القائل : ويل لأمة لا تقول للمحسن أحسنت وللمسيء اسأت..

هي إذا دعوة لمناقشة التقرير مناقشة هادئة متحضرة وموضوعية..

التفكير مع الديمقراطية ضد الديمقراطية..

حدث ذلك، ويحدث في بعض الأحيان..

إذ يؤدي الحرص المبالغ فيه على انضباط التجربة البرلمانية والديمقراطية والمجتمعية عموما إلى نتائج معاكسة تماما..

وفي هذا التصنيف والتوصيف يمكن فهم موقف المشرع الكوردستاني من مشروع قانون تنظيم العمل الصحافي في الإقليم..

فقد مكث ذلك المشرع طويلا متلبثا ومترددا عبر مداولات مستفيضة مرهقة بين توسيع مساحة المسئولية الفردية للصحافي من خلال إعطائه المزيد والكثير من الحريات، وبين تضييق أو حتى إلغاء تلك الحريات ورفع أية مسئولية عنه عبر تقنين وتسكيك (من سكة) آلي لمسارات عمله الذي سيجعله يفقد تاليا روحه الإبداعي والإنساني..

وقد كان اختيار المشرعين جانب الانضباط في القانون مرتبطا ربما بأوضاع أمنية وسياسية تتسم بالوعورة والخطورة والتعقيد، يجتازها الإقليم الآن في هذه اللحظة الصعبة..

هكذا أنتج التفكير والقلق على الديمقراطية موقفا آخر..

هل ثمة مفارقة ما..؟

أبدا، ثمة منطق قوي ينتظم هذه العملية الفكرية.. فقد لا تصلح تلك الوصفة المعروفة التي تتلخص بأن حل الإشكالات التي تنتج عن ممارسة الديمقراطية لا يمكن إلا بالمزيد من الديمقراطية، قد لا تصلح في مجتمعات لا تتوفر على الحد المقبول والمعقول من الثقافة الديمقراطية، بل قد تنقلب إلى كارثة في بعض الحالات.. لكن

عندما يتعلق الأمر بشريحة طليعية، أمامية، قائدة ومؤثرة من طراز الصحفيين والإعلاميين، أعتقد أن المعالجة يجب أن تكون مختلفة تماما..

(ها آنذا أضبط نفسي متورطا في ذات المقلب..)

عندما يتعلق الأمر بشريحة مهمتها الأولى إعادة صناعة وصياغة الرأي العام، وتشكيل صورتنا في العالم عبر اتصالية إعلامية واسعة وعريضة فإن ذلك يستوجب التفكير أطول وأعمق بكل تأكيد..

إن توسيع مساحات الحرية لهذه الشريحة، يعني من بين أمور كثيرة أخرى، تموقعها في مفصل المسئولية التاريخية إلى جانب أعضاء البرلمان، وأجهزة الدولة الأخرى، على صعيد الدفاع عن التجربة الكوردستانية بأفقها القومي والإنساني، المحلي والكوني. وتحولها إلى جيش من المثقفين يقاتل في أكثر تخوم التجربة صعوبة ووعورة وطلائعية..

وبسبب من الطابع الأمامي التقدمي لهذا الجيش، فإن دوره يتطلب منه قدرا هائلا من الإبداع والتجدد الدائمين، لا يمكن أن يتحقق إلا في ظلال الحريات الواسعة التي يجب أن يضمنها أي تشريع قادم..

ولكن عندما أعلن كاك مسعود أنه لن يوقع على قانون يحد من حرية الصحافي والإعلامي تحققت واكتملت المفارقة..

ذلك بأن رئيس الإقليم لحظة اخترق ببصيرته وحسه الثوريين ظلمات الخوف والتشكيك والحذر فإنه إنما أوقد نجمة للحرية في أفق كل صحافي وإعلامي ستظل تسطع وتنير إلى الأبد..

بكم ولكم..

تتعدد مصادر وأسباب القلق التي تؤرقني هذه الأيام، وتتنوع، لكنها تنتج بالقدر نفسه من التعدد والتنوع شعورا بالغبطة لما تحمله من علامات ودلالات..

وتقف ضخامة القرارات والتوصيات التي خرج بها المؤتمر الثاني والتي تعيّن على المجلس الجديد الالتزام بتنفيذها على رأس تلك المصادر. إن من يقرأ تلك القرارات والتوصيات سيظن أن المجلس الجديد يمتلك قدرات وصلاحيات مجلس الوزراء. هكذا يرى المؤتمرون والصحافيون عموما نقابتهم، كبيرة وقادرة على إنجاز أصعب المهام..

وإنها لكذلك بالفعل..

إنها كبيرة بكم، ولكم، ومن أجلكم أيها الزملاء والأصدقاء..

روح المشاركة..

هم واحد لازم النقابة منذ تأسيسها وحتى ما بعد المؤتمر الثاني، أن تبرهن على جدارتها في تمثل وتمثيل عنوانها بوصفها نقابة صحفيي كوردستان الجميلة، ذات التكوين الإثني والثقافي والفكري والسياسي المتعدد والمتنوع والمتفتح في ظل الحريات العريضة التي تحرص القيادة التاريخية للإقليم على استمرارها وازدهارها.. وفي قاعة المؤتمر، وخلال أيامه الثلاثة، كانت النقاشات والانتقادات الجريئة، الموجعة والمتوجعة أحيانا، قد أشاعت الدفء في تلك القاعة الباردة، لقد كانت خير تعبير عن الحرية الواسعة التي فرضها أو تمتع بها الزملاء، وأروع تجسيد للتعدد في الآراء والرؤى، والجدية العالية والمسئولة لدى أعضاء المؤتمر..

لقد كان ذلك النقد وتلك المجادلات، رغم الانفعالات العابرة، مبعث رضا عميق في نفسي، لأنها تدل على الحرص على تحقيق الأفضل، وتعبر عن روح المشاركة في المسئولية والعمل..

أتمنى أن أجدها لدى الزملاء على الدوام، وفي كل مفاصل وأنشطة النقابة..

معروف جياووك..

لـدى قراءتـي في كتـاب (كوردسـتان الجنوبيـة 1916-1939 /دراسـة تاريخيـة سياسـية) للـدكتورة سـروة أسـعد صـابر الصـادر عـن دار (سـردم) للطباعـة والنشـر، انتابني حزن عميق عند الفصل الثاني منه، حزن على رموز وصانعي تاريخنا الذين يتعرضون للتجاهل والضياع في كثير من الأحيان، ولا ينالون قسطهم الذين يستحقونه من البحث وتأشير أدوارهم في سياق التطور التاريخي لأمتنا..

و(معروف جياووك) واحد من تلك الرموز والشخصيات..

إنه شخصية كوردية معروفة، لكنها مغمورة الآن، كان أدى دورا هاما قبل وبعد إبرام معاهدة عام 1930 لتثبيت الحقوق القومية للشعب الكوردي عندما كان عضوا في مجلس النواب العراقي، داعيا إلى الإعتراف الكامل بحقوق هذا الشعب، وساهم بجدية في تأسيس نادي الإرتقاء الكوردي في العاصمة العراقية في أربعينات القرن الماضي مع مجموعة من المتنورين والمخلصين لقضايا لشعبهم. وعلى الرغم من ولعنا بالتاريخ، ونزوعنا إلى تمجيد وتخليد رموزه، ذهبت الريح بهذا الرجل إلى أدراج النسيان، فلم يعد يذكره أحد. لقد حرم معروف من كل إشارة وتنويه، فلم يتذكره إلا المؤرخ والأستاذ الفاضل د. كمال مظهر أحمد عندما كلف الزميل آزاد عوبيد أحد طلابه في الدراسات العليا بإعداد أطروحته للماجستير عنه، وتبدأ رحلة التعب مع الزميل عوبيد الذي بذل الكثير من الجهد في البحث عن أية معلومة أو مصدر يمكن أن يساعده في إكمال أطروحته، بنحو يكشف جانبا من أزمة التأرخة والتأريخ الكوردستاني..

في هذه اللحظة خجولا يجيئني الحزن..

فبينما تكثر المدائح على الأحياء منحدرة إلى حد العار والإبتذال، تضيع من تاريخنا بغير اكتراث صفحات من نور، وتتبدد على أرصفة النسيان وجوه وخطى مهدت وعورة الدرب لنا وللأجيال القادمة من الكورد..

وفي الوقت الذي نال فيه زرياب الموصلي حصته من كرنفالات وزارة الثقافة في حكومة الإقليم، استطاع الزميل عوبيد بشق الأنفس أن يكمل أطروحته للماجستير عن جياووك..

"عين الناس وصوتهم.."

ما أكثر ما كتب عن الفساد الإداري المستشري في مختلف مفاصل ومرافق المجتمع، لكنني لم أعثر على ريبورتاج واحد يتناول هذه الظاهرة في هذه الوزارة أو ذاك المرفق، كتابات كثيرة عامة تدور في مجال نظري تنظيري لا يسمن ولا يغني من جوع..

ودار منذ أيام بيني وبين أحد الزملاء الصحافيين حديث عن هذه الظاهرة، كان الزميل يتحدث بألم وتوجع حديث المتيقن عن أحد الوزراء، من ذوي المكانة والحظوة، الذي لا يعرف شيئا عما يدور في وزارته، والذي تصل تكاليف وجبات غداءاته مع مرافقيه إلى عشرين مليونا شهريا.

وعندما طالبت الزميل بالكتابة عن هذه الممارسات وفضحها، تذرع بالخوف من لومة اللوام..

قلت له: إذا كنت تملك من المستمسكات ما يكفي لإدانة هذه الظاهرة، فإنك مطالب صحفيا ووطنيا وإنسانيا وأخلاقيا بالكتابة عنها، إنها سرطان مفزع يقتل الخلايا الحية..

أجابني مستسلما: خليها على الله!!

الصحافي بحكم وضعه وتميزه يرى ما لا يراه الآخرون، إنه عين الناس، وهو صوتهم لذا فإنه مسئول أمامهم.. والصحفي الذي لا يتحرر من مخاوفه، ولا يمتلك الجرأة على المواجهة، لن يكون ابنا بارا لهذه المهنة، وربما لا يستحق شرف حمل رسالتها المقدسة..

"قانون العمل الصحفي.."

للمرة الخمسين نجتمع ونناقش، نحذف ونضيف، وتتحول مواد وبنود قانون العمل الصحفي إلى مادة صحفية دسمة. وباستمرار نسأل ونتساءل ونبرر ونوضح..

القانون الذي بدأ فكرة في الرؤوس أصبح موادا وفقرات شكلت أساسا لمشروع قانون رضخ إلى التعديل أكثر من مرة.. ودائما ما يتعرض مجلس النقابة إلى الانتقادات

بسببه، من غير مسوغ معقول، سوى سهولة توجيه النقد، وإثارة الاعتراضات ما دمت بعيدا على مقعد المسئولية..

وهكذا وجد القانون طريقه إلى أروقة البرلمان، حيث خضع إلى عملية قيصرية، أدت إلى إثارة مشاعر خيبة الأمل والإحباط لدى الصحافيين، بسبب تقييده لحرية الصحافة بدلا من تنظيمها..

وأعيد كرة أخرى إلى البرلمان للمراجعة قبل المصادقة عليه من لدن رئاسة الإقليم..

وفي ضوء قرارات وتوصيات المؤتمر الثاني للنقابة اجتمعنا مرات ومرات مع الصحافيين، اختلفت الآراء، وتعددت المنازع والأهواء، وأصبحت عبارة (الآداب والنظام العام) هوس الجميع وشغلهم الشاغل وكأننا نعيش لذاتنا، في بعد زمني آخر خارج الإقليم والمجتمع الكوردستاني، وبعيدا عن هاجس الخوف على التجربة الكوردستانية التي بذلنا في سبيلها الأرواح والأعمار وضوء العيون..

الكرة الآن في ملعب البرلمان.. إننا نترقب ما سيتم إقراره، وكلنا أمل وتطلع إلى أن نجد لدى أعضاء البرلمان التفهم لحاجتنا إلى قانون يجسد القدر الكافي من الحرية، اللازمة لممارسة صحفية مهنية منتجة ورفيعة..

سامحهم الله

(1)

عندما يحتاج المرء الى شراء الأدوية من الصيدليات وخاصة إذا كان من ذوي الأمراض المزمنة كالضغط والسكري وأمراض القلب المختلفة يتحير (الله لا يحير عبده) لما يصادفه من الأمزجة المختلفة لدى الصيادلة في تحديد الأسعار وتباينها بين صيدلية وأخرى، والمريض المسكين يدفع الضريبة قسرا وهذا ليس مجرد انطباع عابر ولكن لكوني من رواد الصيدليات الدائمين فقد لمست شخصيا وبالعين المجردة كيف يلعب بعض الصيادلة بأسعار الأدوية دون أي وازع إنساني أو أخلاقي، وعدم وجود أي تسعيرة أو رقابة ولو بحدودها الدنيا فاقم كثيرا المشكلة، والمسألة تخص بالأساس نقابة الصيادلة. مرة، في عمان عاصمة الأردن احتجت علبة دواء، أدهشني أن كل علبة من علب الدواء مكتوب عليها بخط واضح سعرها بالدينار الأردني وختم نقابة الصيادلة الأردنيين. الأمر الذي يجعل المرء مطمئنا ليس إلى السعر فقط، ولكن صلاحية الدواء.فعسى أن تقلد نقابتنا الفتية النقابة الأردنية رحمة بالإنسان وصحته في كوردستان.

(1)

احتفل شعب كوردستان بجميع مكوناته القومية والسياسية والدينية بعيد نوروز رأس السنة الكوردية وبداية أول يوم من فصل الربيع مستذكرا نهاية حكم الطاغية (ضحاك) على أيدي أحد أبناء الكورد الكادحين (كاوه الحداد) وأصبح هذا العيد رمزا وعيدا وطنيا لأبناء الأمة الكوردية أينما كانوا، ولقد شهدت كوردستان منذ بداية ثلاثينيات القرن الماضي صور متعددة للاحتفال بهذا اليوم المجيد كإشعال النار على قمم الجبال في ليلة العيد والخروج الجماعي من المدن إلى أحضان الطبيعة الكوردستانية بالملابس القومية الزاهية. في فترات من الحقب السوداء كانت المجاميع من أبناء الأمة يحتفلون سرا داخل البيوت، وأصبح بمرور الزمان ونتيجة الكفاح الشاق والطويل عيدا رسميا يحتفل به أنباء الشعوب العراقية من غير الكورد أيضا ولكن ومن مفارقات القدر أن المالكي رئيس الوزراء العراقي هنأ الشعب العراقي بعيد الربيع دون ذكر كلمة (كورد، كوردستان، نوروز) وكأن ذكر هذه الكلمات سيقوض

(وحدة الأراضي العراقية) مما أثار استغراب البعض من الزملاء الذين سمعوا نص البرقية العتيدة ولكن ثقوا أيها الزملاء بأنني لم أكن مستغربا عند سماعي نص البرقية لأنني وقد خبرت السيد المالكي عن قرب يوم كانت تضمنا قاعة (المجلس الوطني العراقي)، وكان يستخدم بإصرار في إحدى جلسات المجلس كلمة "الميليشيا"، المقززة إلى نفوسنا، في الإشارة إلى البيشمركة حماة شعب كوردستان مما أثار غضبي وقد جابهته بكلمات كانت قاسية وشديدة الوقع على مسامعه، حيث لم تبق له أية حجة يتذرع بها عدا إدعائه بأن واحدا من (جماعتنا) قد تفوه بها.

(3)

النجاح والسقوط، الصعود والنزول، درجات إلى القمة وأخرى إلى الدرك. مصطلحات يتداولها الناس عندما تظهر نتائج الامتحانات في المراحل الدراسية المختلفة أو عندما يجابه السياسي حالات التقدم إلى الأمام أو العودة إلى الوراء. هذه المصطلحات وغيرها قد تساهم في انشراح الصدور او تفضي إلى عقد تؤدي بالمرء أحيانا الى اختلاط الأوراق لديه، وضبابية الرؤية وعدم تقييم الظواهر من منطلقات صحيحة مبنية على براعة في التحليل وتشخيص الأسباب والعوامل المختلفة ذاتية كانت او موضوعية. وإنه لمما يثير الحزن والرثاء لدي سلوك البعض من الزملاء الذي لا ينفك يهاجمني ليس لدواع مهنية وموضوعية، ولكن نتيجة احباطات ذاتية تعكس خيبته في تحقيق أي إنجاز عبر عملية الانتخابات الأخيرة، سواء على مستوى المؤسسة الإعلامية، إما على صعيد المؤتمر العام أو الكونفرانسات الفرعية، وهو أمر يقع خارج مسئوليتي في النقابة. لست بصدد الرد على ما نشره وينشره بعض الزملاء في الصحف من انتقادات تفتقد الحد الأدنى من اللياقة المهنية، وروح الزمالة النقابية، فضلا على خروجها الواضح على ميثاق الشرف المهني الذي نحرص على التمسك به، بدلا من الانزلاق إلى جدل عقيم، ومعارك ديكة لا تقدم ولا تؤخر.

أقسم بالله العزيز القدير إنني أشفق عليهم وأرثى لحالهم لأن تحاملهم أفقدهم القدرة على التمييز بين الأبيض والأسود وتشخيص الخلل الذي أفقدهم القدرة على التحليل في أسباب خروجهم إلى خارج دائرة عملهم النقابي ومع هذا أقول بقلبي ولساني سامحهم الله.

خواطر صحفية

(1)

احتفل الصحفيون بمرور عشر سنوات بعد المائة على صدور أول جريدة كوردية في التاريخ ("كردستان" 11/ نيسان عام 1898 في القاهرة)، صدورها بعيدا عن بلاد الكورد والسبب معروف ظلم العثمانيون الأتراك الذي كان مفروضا على الشعوب التي كانت رازحة تحت حكمهم الجائر. احتفلنا نحن معشر الصحفيين بدون برنامج منظّم ومرتّب يليق بهذه المناسبة الكبيرة.. معاهد وكليات الجامعات الكوردستانية كانت لهم في واديهم فعالياتهم واحتفالاتهم. وزارة الثقافة في الإقليم كانت في واد آخر تنفذ برنامجها للمناسبة، حتى بطاقة الدعوة التي وجهتها الى النقابة لحضور تكريم عدد من الصحافيين وصلت إلينا متأخرة بنحو مربك، عشية مساء الاحتفال. قسم من المؤسسات الصحافية لم تتذكر المناسبة. والغالبية العظمى من الصحف والمجلات وقنوات التلفزة ومحطات الراديو لم تكلف نفسها بالحضور الى مقر مجلس النقابة عشية الاحتفال بتلك الذكرى مساء 4/11 لنقل وكتابة تقارير حول تكريم مجلس نقابتنا عوائل شهداء الصحافة في كوردستان ولم تكلّف نفسها أيضا مشقة نشر وإذاعة بيان نقابة صحفيي كوردستان في المناسبة وكأن عيد الصحفيين والصحافة الكوردستانية لا يعنيهم لا من قريب ولا من بعيد. وحتى البرقيات الموجهة الى صحفيي كوردستان من لدن فخامة السيد رئيس جمهورية العراق الفدرالي وفخامة السيد رئيس إقليم كوردستان أغفلت النقابة التي تضم بين دفتيها الأكثرية الساحقة من صحفيي كوردستان باختلاف اتجاهاتهم السياسية وانتماءاتهم القومية والدينية. ربما مثلت مناسبة الاحتفال هذا العام بيوم الصحافة الكوردستانية لحظة كشف وتشخيص لما يعانيه الجسم الإعلامي في كوردستان من أعراض الفوضى واللا انتظام، بدا أثناءها الجسم الإعلامي متفلتا، مفكك الأعضاء، عائما، لا وجه له، ولا اتجاه. إن للصحافة الكوردستانية عنوانا رئيسا، ولا أقول وحيدا، اسمه نقابة صحفيي كوردستان، حصل على اعتراف العالم، وشغل موقعا مميزا بين المنظمات والاتحادات والنقابات الإعلامية فيه، وليس من مصلحة الجسم الصحافي والإعلامي الكوردستاني تجاوز هذا العنوان أو إغفاله وتحت أية مبررات.

(1)

... سنعترف هذه المرة بأننا مقصرون، فعذرا للمرة المليون. ونشهد بأننا فعلنا ما بوسعنا فعله للارتفاع بالاحتفال إلى مستوى يليق بالمناسبة، ولكن الذي يشفع لنا أي (لنقابة صحفيي كوردستان) أن مجلس النقابة اضطر إلى استدانة مبلغ من المال من أحد الخيّرين لكي يحتفل مع أسر شهداء الصحافة الكوردستانية في أمسية متواضعة، بوجود قلة قليلة من كاميرات التلفزيون واقل منها من مراسلي الصحف ولا أحد من مراسلي محطات الإذاعة وكأننا نعيش في بلاد الغربة كما كان يعيش مقداد بدرخان عندما أصدر جريدته الأولى في التاريخ قبل مائة وعشر سنوات.

(3)

سياقه السيارة في مدينة أربيل تصبح في بعض الأحيان مجازفة حقيقية فالكل يتبارى والكل في عجلة من أمره، لا أثر للصبر بتاتا في سلوكهم وقواعد المرور غائبة في الوعي وفي الممارسة، فبالرغم من توسيع الشوارع وبناء الجسور والأنفاق فإن الخطر يحدق بنا نتيجة تهور ورعونة البعض من سواق المركبات الذين لا يردعهم كثرة أفراد شرطة المرور الذين لا ينفكون يسجلون المخالفات. ولكن المصيبة يا ناس ليست مخالفة سواق السيارات الخاصة والأجرة وهي لا تحصى ولا تعد، فهي ربما تهون، وإنما المصيبة هنا تصرف بعض سواقي المسؤولين الحزبيين والإداريين وخاصة سيارات الحماية التي لا ترحم وتخالف رغم أنف الشرطي والمواطن وكأنهم هم اخترعوا السيارات والطائرات (علما ان مخترعي السيارات والطائرات والكهرباء كانوا من أكثر الناس تواضعا وحبا للقانون والنظام) ولكن المخالفين في بلادنا يجدون في مخالفتهم لأنظمة السير سلطة يزهون بها وكأن شخصية الإنسان وحجم المسؤولية تقاس عندهم بمدى استهانته بمشاعر الآخرين ومخالفة القوانين والسير (في الأرض مرحا).

نقابة صحفيي كوردستان.. التركيب الحزبي والمواقف المستقلة..

كما ألزمنا المؤتمر الثاني للنقابة، وكما وعدنا المؤتمرين والرأي العام الكوردستاني، سنقوم خلال هذه السنة بنشر تقريرين عامين، أي بمعدل تقرير كل ستة أشهر، كإجراء يضمن تحقيق مستوى رفيع من الشفافية. في الأول من تموز سيصدر التقرير الأول، الذي سيتضمن تسجيلا دقيقا لواقع حرية الصحافة في كوردستان، مثبتا فيه كافة التجاوزات والانتهاكات التي تعرضت لها، من أي طرف كان، أحزابا ومؤسسات حكومية، وكذلك حرص التقرير على تأشير قيام البعض من الزملاء بالتجاوز على الآخرين بدوافع ذاتية أو شخصية للغاية، من دون مراعاة أي كان، ومن غير التحسب لعواقب الأمور ولوم اللوام. في هذا التقرير سيبرهن مجلس النقابة للمرة الألف، على حياديته ومهنيته العالية، واستقلالية مواقفه، في مواجهة اسطوانة الاتهامات المشروخة من كثرة تكرارها بصدد حزبية النقابة، رغم عدم نفينا لانتماء البعض منا إلى الأحزاب الكوردستانية المناضلة، منطلقين من كون هذه الأحزاب تناضل من أجل غد سعيد لكوردستان وشعبها وتسعى لتدشين مرحلة تثبيت وترسيخ الحريات، وحرية الصحافة أهمها. واستطرادا في هذا السياق نود أن نبين للجميع..

* إن مجلس النقابة يتخذ موقفا مهنيا مستقلا بمعنى الكلمة، ولن تثنيه الضغوطات الثقيلة، ولا الإدعاءات الفارغة عن السير على صراط مستقيم، وإن نشر تقريره العام المعد من قبل لجنة حماية الصحفيين يثبت موضوعية سلوك النقابة من الناحية المهنية، فهو لم يراع أحدا من المتجاوزين على حرية الصحافة وحقوق الصحفيين أيا كان وأينما وجد في كوردستان.

* لو التفتنا إلى الوراء قليلا في محاولة لتقديم جردة بسيطة بإنجازات النقابة في غضون عشر سنوات، هي كل عمرها المهني، سنجد الكثير مما يحسن تذكره والتذكير به..قانون صندوق تقاعد الصحفيين في كوردستان. احتساب الخدمة الصحفية لأغراض العلاوة والترفيع والتقاعد عند تعيين الصحفي في دوائر حكومة الإقليم. توزيع ما يقارب (800) قطعة أرض سكنية، وهنالك قوائم أخرى، ثالثة ورابعة، على لوائح

الانتظار بـ (189) و (611) صحفيا في طريقهم إلى الاستفادة من هذه الأراضي. مساعدة الصحفيين ماديا عند الحاجة في حالات المرض وغيرها. حصول أعضاء النقابة على الهوية الدولية للصحفيين (IFJ). وأخيرا وليس آخرا تمتع الصحفيين في كوردستان بحماية النقابة لهم وحسب إمكاناتها بموجب القانون في دوائر الشرطة والمحاكم، ولعب دور الوسيط عند حدوث مشاكل ومنازعات بين الصحفيين وبين الأحزاب والمواطنين، والسعي إلى تسويتها بأقل الأضرار. هذه الحقوق كلها شملت وتشمل الصحفيين في كوردستان، مستقلين وحزبيين، ومن كافة القوميات والأديان والأحزاب والجماعات السياسية، من غير الإخلال لحظة واحدة باستقلالية العمل المهني للنقابة، وبأي شكل كان. هذا هو طريق النقابة المهني المستقل الذي يخدم بشكل مطلق:

- حرية الصحافة في كوردستان.
- حقوق الصحفيين.
- التجربة الكوردستانية من خلال انتقاد الظواهر السلبية وكيفية تقويمها.

ولزملائنا الصحفيين الذين لا يملون ترديد الأقاويل والحكي الزائد على حزبية النقابة، ندعوهم بدلا من ذلك إلى مراقبة عملها، وتسجيل نقاط حزبيتها وانحرافها عن خطها المهني، لكي نقوم مسارها، ونكون ممتنين وشاكرين لهم حرصهم. أما إذا كانت الإدعاءات لمجرد الإدعاء، أو لحاجة في نفس يعقوب، فنحن ننصت إليها، ، ونتركها لحكم الزملاء والزمن والتاريخ.

ميثاق شرف

مثل الأعداد السابقة اشتمل هذا العدد على مواد متنوعة وجادة تتصل بشئون وشجون الصحافة والإعلام، ولكن الشيء الذي ميزه بنحو استثنائي هو احتواؤه على التقرير نصف السنوي للجنة الدفاع عن حقوق الصحفيين والحريات الصحفية في كوردستان والذي تم إعلانه أمام القنوات الإعلامية في رسالة موجهة إلى الرأي العام الكوردستاني والبرلمان والحكومة مسجلا الخروقات والتجاوزات التي حصلت هنا وهناك بالأسماء والتواريخ والأمكنة بالإضافة إلى ديباجة الملف والتي شخصت وحللت حال العمل الصحفي في كوردستان على ضوء الوقائع المسجلة بحيادية تامة، مدفوعة بموقف يتسم بالحرص من جانب النقابة على تحقيق شعار مؤتمرها الثاني:"من أجل ترسيخ حرية الصحافة وضمان حقوق الصحفيين في كوردستان" والعمل بوحي من روح ذلك المؤتمر، ومقرراته. ونتمنى..

أولا: أن يتفهم الجميع بأن نقابتنا أخذت على عاتقها وفق مسار مستقل أن تكون المدافع الأول عن الحريات الصحفية وضمان حقوق الصحفيين دون أية مواربة تسعى لمراعاة ومداراة المتجاوزين عليها من أي طرف كانوا، ومن أية جهة أتوا، لأننا كما أعلنا في السابق مرارا وتكرارا بأن في ذلك مصداقية استقلالية النقابة وجدارتها، ورسالتها المهنية والإنسانية، لذلك سجلنا في هذا التقرير كافة أشكال التجاوزات وأنواعها وأسماء المتجاوزين والمتجاوز عليهم والتي تشكل في مجموعها مؤشرا على وضع الحريات العامة والحريات الصحفية بشكل خاص.

ثانيا: إن تطور الصحافة واتساع وتنوع نطاقات العمل الصحفي والإعلامي في كوردستان، يشكل الملمح الأبرز في التجربة الديمقراطية الكوردستانية الفتية، لذلك تضع النقابة نفسها عبر هذا التقرير في خدمة تقدم وترسيخ هذه التجربة، وفي خندق الدفاع عن صورتها العصرية وصوتها الإنساني العميق، في مواجهة كل ما من شأنه تشويهها والإساءة إليها.

ثالثا: في الوقت الذي حذرنا فيه، ونحذر الذين في أجندتهم الاستمرار في التجاوز على الحريات الخاصة والعامة، نطلب من زملائنا الصحفيين، وفي المقدمة منهم أعضاء

النقابة، أن يكونوا على دراية بأن اليد الواحدة لا تصفق، بمعنى أن ضمان حقوق الصحفيين والدفاع عنهم وعن الحريات الصحفية يتطلب الالتزام من جانبهم بميثاق شرف الفيدرالية الدولية للصحافيين ببنوده التسعة والمنشور في وسائلنا الإعلامية وباللغات الكوردية والعربية، والذي تم إقراره كوثيقة من وثائق المؤتمر الثاني لنقابتنا، وهو يتضمن جملة من الإرشادات والضوابط التي تفرض على الصحفي وتفترض الالتزام بها.

فلنلتزم جميعا بالدفاع عن التجربة الديمقراطية الكوردستانية عبر الالتزام بميثاق الشرف الصحفي ليكن سلاحنا بوجه التجاوز والمتجاوزين.. وعلى الأرض السلام.

ولعل في إرخائه ضرر

كان في نيتي أن اكتب عن موضوعين آخرين بصدد ما يتعرض له بعض الصحفيين من تهديدات عبر الموبايل في الآونة الأخيرة وعن حادثة اغتيال الصحفي (سوران مامه حمه) في مدينة كركوك، تلك المدينة التي تعرضت من عقود وبالتحديد منذ تأسيس الدولة العراقية وإلحاق كوردستان الجنوبية قسرا (كوردستان العراق الحالي) بالدولة الحديثة إلى سلسلة من حوادث الاغتيالات على أيدي أبناء (الشقيقة الكبرى) عبر حكامه المختلفين في العهود المتعاقبة.

ولكن المستجدات على الساحة السياسية والتي تتعلق أساسا بكوردستان وشعبها حالت دون الكتابة عن الموضوعين المار ذكرهما فخطورة الوضع السياسي الذي تكشف الآن متمثلا بحالة التوافق الهش بين المكونات الأساسية القائمة، والكتل السياسية التي تشكلت عبر واجهات طائفية وسياسية، تضم بعضا منها بقايا وأوساخ النظام الفاشي المقبور حيث تظهر رموزه من خلال شاشات القنوات الفضائية الممولة هنا وهناك يلوحون بأيديهم على طريقة رموز النازية والفاشية مطلقين الكلام الجارح والمقزز جدا حول شعب كوردستان وقواه السياسية وطموحاته المشروعة.

إن ما جرى يوم 7/22 في جلسة مجلس النواب العراقي وما سبقه من تحضيرات لاختيار الممثلين وإعداد السيناريوهات وما أعقبه من ظهور البعض بخلفياتهم المشينة واستقوائهم بالتحالفات الجديدة والمكشوفة للرأي العام وتجمعهم تحت شعار (يا أعداء الكورد وكوردستان وطموحاتهم المشروعة أتحدوا) ناسين خلافاتهم وتناقضاتهم ومعاركهم الضارية على المواقع والمكاسب والتي راح ضحيتها عشرات الألوف من الناس الأبرياء الذين ينتمون الى هذه الطائفة أو تلك، وأدت الى تشريد عشرات الألوف من أبناء «الأمة الواحدة ذات الرسالة الخالدة» عبر عمليات التطهير الطائفي المذهبي

العشيري، في أزقة ومحلات المدن الكبيرة والقصبات، والتي لم تسلم منها غير مدن وقصبات إقليم كوردستان.

لم ترق لهم طبعا هذه الحالة الاستثنائية وبدأوا بشن حملة هستيرية محمومة وكأن الكورد مسئولون عن (الخلافات الشيعية والسنية) عبر التاريخ وأنهم يشكلون سدا منيعا أمام تحقيق الوحدة العربية من الخليج الى المحيط.. وأنهم –الكورد– أيضا مسئولون بالدرجة الأولى وبشكل قاطع عن رفع شعار (عاشت الإخوة العربية الكوردية إلى الأبد) والتلاحم المصيري بين الحركات والأحزاب الوطنية العراقية بشقيها الكوردي والعربي.. لأنه لا يوجد أساسا في قاموسهم السياسي أي معنى أو تفسير للإخوة وما يترتب عليها من معان واعتراف بالحقوق القومية المشروعة للشعوب التي جمعتهم قسرا يوما ما المشاريع والمطامع الاستعمارية، ولا يوجد أيضا في تاريخهم الدامي الطويل أي إشارة الى التعايش السلمي مع غيرهم من الأقوام والشعوب الأخرى عندما كانوا متمتعين ومتبخترين بقوتهم وقدرتهم، على العكس تماما كانت الحروب والغزوات والإبادة الجماعية واستعمال الغازات الكيمياوية وتغيير الواقع القومي والتطهير العرقي وتعريب أثار شعوب المنطقة تحت ذرائع دينية وقومية كانت وما تزال ديدنهم، شعاراتهم ومنطلقاتهم وحروبهم غير المقدسة وغير الشريفة والتي ينهى عنها سبحانه جل جلاله ورسوله المبجلين والأنبياء والصالحين والكتب السماوية وغير المساوية ومعاداة كل ما تذهب إليه الأفكار والنظريات الإنسانية منذ بدء الخليقة والى يومنا هذا.. ولكن ومع هذا فنحن الكورد لم نتعلم من تجارب التاريخ فبقينا على بساطتنا ولم نتعظ من اللدغات العقاربية في جحور أبناء (الشقيقة الكبرى) وتمثلت آخر تجاربنا في اندفاع قادتنا في الركضات الماراثونية نحو بناء عراق آخر عراق جديد عراق فدرالي عراق التسامح عراق خال من الاقتتال والتطهير العرقي وتعريب ما هو غير عربي.. والنتيجة كانت أن ظهر في بلد الحضارات والرافدين عباقرة آخر زمان، زعماء من أمثال محمود المشهداني وخلف العليان وأسامة النجيفي وصالح المطلك ووجوه أخرى تحت مسميات وواجهات لا تمت بصلة الى التآخي والدين المشترك والمفاهيم الإنسانية والوطنية.. على قادتنا الكورد أن يعترفوا بأنهم كانوا يعيشون حالة وهم وان انتقادات الشارع في كوردستان لهم كانت في محلها وان الارتخاء تجاه مصير شعبهم في لحظات

ضعف الآخرين وانهياراتهم الداخلية كان خطأ حيث وقف الكورد موقفا تاريخيا شريفا لحظة (الانهيار الكبير)، ومقابل هذا يهددنا البعض باستقدام قوات من الوسط والجنوب الى كركوك للمحافظة على ما بناه صدام حسين وما عمله من ترحيل وتهجير وتعريب وتبعيث فيها.. هنا أقول لقادتنا الكورد انتبهوا ووحدوا صفوفكم ولا ترخوا الحبل في المواقف تحت أية ذريعة كانت ولأي سبب كان لأن في إرخائه ضرر وكفى.. والله على ما أقول شهيد.

من أجل معالجة الأخطاء ومحاربة الفساد، ومن ثم تعبئة الشعب بوجه المخاطر

لا يختلف اثنان في وطني حول المخاطر التي تهدد التجربة الكوردستانية المتواضعة في حجمها لعدم عودة مدن وقصبات وقرى في غاية الأهمية الى أحضان كوردستان الأم، وهي المتجذرة في وجدان وفكر الإنسان الكوردستاني بوصفها رمزا للظلم والاضطهاد الذي تعرض له، ومظهرا من مظاهر الاغتصاب وتغيير الواقع الديموغرافي القومي الذي مارسه نظام صدام الفاشي في هذه البلدات والمدن والقصبات، ومن سبقه على دست الحكم من الحكام منذ تأسيس الدولة العراقية، وإلحاق كوردستان الجنوبية قسرا بهذه الدولة التي لم تراع يوما هي وحكامها المستبدون مشاعر وطموحات شعب عانى من ظروف التجزئة والاحتلال ومتمسك بقيم الوفاء والوطنية والأخوة الصادقة مع الشعب العربي في العراق، وتأكيدا لكل هذه المعاني الوطنية والإنسانية اختار الشعب الكوردستاني أن يكون جزءا من الجهد الذي يهدف إلى إعادة اللحمة الى الوطن العراقي لحظة أصاب هذا البلد الانهيار الكامل، في أعقاب التغيير، وسقوط النظام الفاشي. لكن المؤسف أن حكام العراق الجدد حين شعروا بالاستقواء بفعل عوامل متعددة، معظمها خارجي طبعا، أصابتهم حالة من النستولوجيا إلى الماضي، وراودتهم أفكار مستوحاة من مضامين اتفاقات ومعاهدات وميثاق (سعد آباد) وحلف بغداد ثم السنتو وأخيرا وليس آخرا اتفاق الجزائر الخياني، حيث تبادلوا الزيارات والتناجي سرا وعلنا بهدف تقويض منجزات شعب كوردستان التي حققها بدماء أبنائه وتضحياتهم الجسام وسط بحيرة الرمال السياسية المتحركة، وتحت سمع وبصر الأمم المتحدة ودول أوروبا وسيدة العالم بلا منازع أمريكا التي لا تلتفت إلا إلى مقتضيات مصالحها ونفوذها. وفي أكثر الأحايين على حساب الشعوب المضطهدة والمغلوبة على أمرها.

هذه هي الأخطار المحدقة بنا لكن الجبال ستظل دوما صديق الكورد في هذا العالم المناوئ، والجبال هوية ورمز ومكان أمة وشعب وإنسان، ولكي تصان هذه التجربة التي تحدق بها من كل الجوانب المؤامرات والأطماع والحسد، ينبغي تعبئة شعبنا

بوجه هذه المخاطر جميعا، والتمسك بالدستور الذي أقره 85٪ من أبناء الشعوب العراقية بأفقه الوطني والإنساني، ولكن معالجة الأخطاء الكبيرة منها والصغيرة ومحاربة الفساد أينما كان الذي سنحاول إلقاء الضوء عليهما في الحلقات التالية من حقيبتي بإذن الله تعالى، ينبغي أن يأخذ مكانه بين الأولويات، في هذا الزمن الرديء.

لكي لا يعاد عار التاريخ

(1)

الأخطار المحدقة بالتجربة الكوردستانية من كل الجهات والهادفة إلى تقويضها أو إفراغها من السمات الكوردستانية جغرافيا وقوميا على الأقل، هي الشغل الشاغل للدوائر صاحبة القرار في عواصم دول الجوار وبضمنها بغداد العاصمة التي أحببناها منذ أرسيت أول طابوقة في بنائها زمن الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، يوم كانت قبلة الدنيا وعاصمة المسلمين. ولم تداخلنا أية كراهية تجاهها حتى وقتما ضمت كوردستان الجنوبية الى الدولة العراقية في بداية العشرينيات من القرن الماضي قسرا، ولكن بغداد التي أحببناها من الصميم لم يكف حكامها العرب منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة، وإلى يومنا هذا عن السعي بلا هوادة لوأد حلم التحرر القومي الكوردي، بدءا بالحملات العسكرية بمساندة القوة الجوية البريطانية عشرينيات وأربعينيات القرن الماضي، مرورا باستعمال ترسانات السلاح الشرقي والغربي ضدها ومحاولة تغيير الواقع القومي، وعدم التردد في استعمال السلاح الكيماوي أبشع الأسلحة المحرمة دوليا وصولا إلى حملات الأنفال والتهجير وإتباع سياسة التعريب المقيتة وليس انتهاءا طبعا بعد سقوط النظام الفاشي بسياسة التمسك بنهج المقبور صدام حسين الذي تمثل الآن ويتمثل بالحرص على إبقاء كل ما ارتكبه من مظالم وفواجع وكوارث بحق شعبنا، التي أصبحت جزءا من تاريخ جريمة وبربرية لا نظير لها، نبذها العالم بلا رجعة، التمسك بها بصفتها مكاسب وطنية.

أقول للذين يداخلهم الغرور لهذا السبب او ذاك أن يفكروا مائة مرة قبل أن يقدموا على أية حماقة تجاه كوردستان وشعبها لأن نار الكورد حارقة، عظامهم قاسية ولحمهم مر. وكم مرة تسبب الكورد، كما برهنت تجربة التاريخ، في سقوط العروش والنظم الدكتاتورية.

(1)

في الحلقة السابقة من (من حقيبتي) المنشورة في العدد 43 من مجلة (الصحفي) قلنا (ولكي تصان هذه التجربة التي تحدق بها من كل الجوانب المؤامرات والأطماع والحسد ينبغي تعبئة شعبنا بوجه هذه المخاطر جميعا)، إذن التعبئة الشعبية أمر في

غاية الأهمية ولن تتقدم عليها في هذا الوقت بالذات أية مهمة أخرى، إنها إجراء احترازي بوجه المتربصين بنا من كل الألوان، ولكن التعبئة يا سادة يا كرام ينبغي أن تبنى على أسس متينة، من أول مستلزماتها رضا الشعب عن السلطة السياسية والشعور بالانتماء الوطني والقومي إلى التجربة والأرض عن طريق ترسيخ العدالة الاجتماعية بين طبقات وشرائح المجتمع الكوردستاني التي أزدادت حساسيتها بشكل غير عادي تجاه الممارسات السلبية للسلطات من الداخل والتحركات والأفعال السرية والعلنية للذين وقعنا معهم اتفاقيات ثنائية وثلاثية ورباعية.

(3)

السؤال هنا هل ان هذه المقدمات والمستلزمات متحققة عندنا الآن لكي ننخرط فورا في عملية التعبئة الشعبية..؟ أقول (كلا) وقلبي ينفطر من الوجع.. ربما ستكون هذه ألـ(كلا) مصدر ازعاج وغضب لصناع القرار في بلادي، ولكن كما يقول المثل الكوردي (الصديق هو الذي يبكيك) أقول قولي هذا وفي نفسي إحساس بأن الأوان لم يفت بعد، ربما جاءت متأخرا بعض الشيء، ولكن السكوت لم يعد ممكنا، قولوا عني ما شئتم، أعترف أنني دافعت عن أخطاء بدون قناعة وسكت عن فساد بدون راحة ضمير وغضضت البصر عن التعقيدات والروتين والضحك على الذقون في أروقة بعض الوزارات والمديريات العامة ودوائرهما. ولكي لا تخدش سمعة التجربة الكوردستانية تحاشينا النظر الى الأخطاء والتجاوزات التي كانت ترتكب من غير رادع بحق المواطن بشتى الأساليب الديماغوجية المفتقدة الإنصاف والعدالة، بدءا من داخل هيئات ديوان مجلس الوزراء ووزارات حكومة إقليم كوردستان وسكرتاريتها الى أصغر مرافق ومفاصل الدولة وكأن المواطن قطعة حجر جامدة فاقدة للأحاسيس والمشاعر. وصناع القرار على كافة الأصعدة غافلون أو متغافلون عن كل ما يجري وكأن تعاسة المواطن الكوردستاني وعذابه قدر أبدي مكتوب عليه من السماء وعليه أن يرضى بنصيبه وأن يشكر الله سبحانه عز وجل راضخا مستكينا، ولا يرفع نظره أبدا إلى الناس اللي فوق، لأنهم من طينة أخرى. إن هؤلاء المواطنين هم مادة التجربة الكوردستانية،مفرداتها ووقودها، أداتها وسلاحها ويفترض أن يكونوا هدفها، وغايتها

النهائية، المفتوحة على المستقبل. على أكتاف المناضلين من عامة الشعب نهضت التجربة، ومن تضحياتهم تغذت واستمرت، تقدمت وازدهرت وانتصرت. هؤلاء المواطنون الذين يزداد عددهم والتفافهم عند المجاهرة بنقد الأوضاع العامة وسلبياتها، وتتسع الهوة يوميا بينهم وبين قيادة الإقليم والأجهزة الحكومية والحزبية، ربما شكلوا أخطر مؤشر على هشاشة التجربة، والمنطقة الرخوة التي يمكن أن يتسلل منها الأعداء. ربما جاءت بعض هذه الانتقادات من دوائر متربصة وكارهة، ولكن كما يقول المثل (لا دخان بلا نار)، فالأخطاء موجودة والفساد نما حتى أصبح ظاهرة، ومراعاة المواطن واحترام حقوقه أصبحت مادة وموضوعا لمشاهد هزلية يتحدث بها علنا سواق التاكسيات وأصحاب المحلات الصغيرة وجمهور عريض من الطلبة والشباب ناهيك عن عامة الناس وشريحة المثقفين، اما المناضلون القدامى من الشرائح والأعمار المختلفة فيتحسرون على أيام لم يكن فيها بجيوبهم دينارا واحدا ولكنهم كانوا مشبعين بالمبادئ والأفكار القومية والوطنية الصادقة التي جعلتهم يدافعون عن شرف هذه الأمة المجزأة وأرضها المقسمة ويضحون الى درجة الاستشهاد وأمنية استقلال كوردستان لا تفارق شفاههم لأن العدالة الاجتماعية كانت متحققة بينهم، (ولو أنها كانت نوعا من الشراكة في الفقر) وكان لمعاني الوطنية والقومية فعلها الساحر في النفوس بنحو جعلت رجال (البيشمركه) يقدمون على الهجوم بأسلحة بدائية بسيطة على دبابات العدو كما حدث أبان ثورة أيلول الكبرى.

إذن لكي تصان سلامة التجربة الكوردستانية ويبقى أمل المواطن الكوردستاني من أقصى موطنه وإلى أقصاه قويا وراسخا، يتعين على القيادة إعادة النظر وبدون تأخير بكل ما هو موجود حزبا وحكومة وبرلمانا ومنظمات مهنية وشعبية وصحف ومجلات ووزراء وأصحاب الدرجات الخاصة والمستشارين، والابتعاد عن سياسية الترضيات الخاطئة وخلق المناصب والدوائر من أجل عين هذا وذاك لأي سبب كان ومحاسبة المقصرين والمفسدين والمنحرفين والمتكبرين، ونبذ الاستعلاء والغرور وجعل المسؤولية الحزبية والحكومية وظيفة عامة لخدمة الشعب، لا امتيازا خاصا، وفتح مكاتب مسؤوليها للمواطن بدون تعقيد وتخويف واختيار مستشارين جيدين وجديين يفيدون (لا يستفيدون)، وتطهير الوسط الإداري ابتداءا من مكاتب رئاسة الحكومة

والبرلمان والوزارات من الشرائح الطفيلية التي تنمو باستمرار وممارسات بعض الوزراء (يقصد هنا الوزير أو الوزيرة) من تصرفات استغلالية رخيصة والمكابرة حتى على المدراء العامين في وزاراتهم ناهيك عن المواطن الذي لا حول له ولا قوة، هذه الظواهر والتصرفات التي أصبحت موضع نقمة لدى قطاعات واسعة من الناس واستهجانهم المبرر يتعين استبدالها بوضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وإطلاق حرية التجارة وتحريم الرشاوى والقومسيونات وتفعيل دور الرقابة المالية التي أصبح ديوانها مقيدا ومكبلا، جثة بلا روح.

(4)

أتذكر للشاعر الراحل نزار قباني بيتا من الشعر كتبه اثر نكسة 5 حزيران عام 1967، التي خسر العرب بنتيجتها عشرات الألوف من أبنائهم، وعشرات الألوف من الكيلومترات المربعة من أراضي ثلاث بلدان عربية، قال مخاطبا الحكام والمحكومين:

ما دَخلَ اليهود من حدودنا

وإنما تسربوا كالنمل من عيوبنا

ولكي لا يتسرب النمل في جسد التجربة الكوردستانية عن طريق العيوب التي أصابتها والتي أصبحت ظاهرة للعيان يتعين عدم التفكير في الإقدام على خطوة ترقيعية لا تسمن ولا تغني من جوع، ينبغي البحث في كيفيات وآليات معالجة تلك النواقص معالجة جذرية، ثورية سريعة، وتصحيح تلك الأخطاء ومداواة العلل والخلل في الجسد والنفوس وردم الهوة التي تتسع يوما بعد يوم بين العالي والناصي أي السلطة السياسية والحزبية والإدارية وأبناء الشعب الكوردستاني التواقة الى الإصلاح والتقويم، وإيقاف فعل العملة الرديئة التي لا تني تطرد العملة الجيدة حتى تفرغ الإقليم من الناس الجيدين، في الوقت الذي لا يمكن الاطمئنان مطلقا إلى الرديء الذي يغير لونه كالحرباء بتغير الزمان والمكان.

إذن مطلوب من القادة والساسة صناع القرار في بلدنا أن يفكروا مليا من أجل إصلاح هذه التجربة والمحافظة عليها، وصيانتها من التداعي والضياع بفعل الأعداء المتربصين قبل فوات الأوان، والاعتماد على أبناء الشعب الغيورين والحريصين على

مستقبل هذه الأمة، إنهم أدوات الحلم الكوردستاني ومستلزمات بنائه، وأن لا يترددوا في اتخاذ القرارات الصائبة المبنية على الاستشارات العريضة والملاحظات الجادة التي تثار في الشارع الكوردستاني ومن الأصدقاء المخلصين لشعبنا والأصوات الخيرة التي تدعو الى الإصلاح في هذا الزمن الصعب، في هذا الزمن الرديء، ومن أجل أن لا يعاد علينا عار التاريخ من هذا الطرف أو ذاك في غفلة من الزمن ومنا تجاه ما يجري من حولنا من نوايا شريرة ومؤامرات قذرة وأساليب ديماغوجية ومشاريع في غاية الخسة والدناءة.. اللهم إني بلغت.. اللهم فأشهد.

هذه المناطق.. مغتصبة أم متنازع عليها!؟

في ذاكرتي أشياء وأحداث وأزمنة كثيرة، تتداعى اللحظة في حوار مؤلم، بين ماض قاس ظننته ذهب إلى غير رجعة، وحاضر يصر بصوت مرتفع على التأكيد بأن لا شيء تغير، بل أن الوضع الآن أكثر صعوبة بسبب تعقيدات جديدة دخلت في صناعة القرار.. سأسجل هنا شظايا ونتف مما يجري في داخلي من جدل وحوارات ومونولوجات ساخنة كما هي في كلمات من غير رتوش.

(1)

الزمان.. الآن: جريدة (آوينة) الكوردية في عددها (145) الصادرة يوم الثلاثاء 1008/10/18 في حوار مع الدكتور مكرم الطالباني، الوجه الشيوعي الكوردي المعروف، والوزير السابق الذي لعب دور الوسيط بين القيادة الكوردستانية في الجبال والرئيس العراقي السابق الدكتاتور صدام حسين منذ أواخر الثمانينات إلى ما قبل شهور من سقوطه، بهدف التوصل إلى نوع من التفاهم والاتفاق على صيغة حل لقضية شعب كوردستان. يقول د. مكرم في سياق مقابلة طويلة، بصدد المقارنة بين موقف الحكومة الحالية (حكومة المالكي) وموقف حكومة البعث السابقة من الكورد، "حسب رأيي الشخصي إن موقف الحكومة الحالية لا يختلف كثيرا عن منطلقات صدام حسين، إنها تتصرف وفق نهج الحكومة السابقة، وإن تغيرت المسميات. إنهم يطلقون على المناطق الكوردية مثل كركوك وخانقين وأطراف الموصل مسمى جديد: المناطق المتنازع عليها. في الحقيقة هذا المسمى بعيد عن الواقع لأن المناطق المذكورة هي كوردستانية وأن نظام صدام حسين قام باحتلالها".

(1)

الزمان.تشرين الثاني عام 1971: كنت سكرتيرا عاما لاتحاد طلبة كوردستان، حيث خولني مكتب سكرتارية الاتحاد جميع الصلاحيات للإشراف على الانتخابات الطلابية في محافظة كركوك، التي كان مقررا إجراؤها في ذلك الشهر، في عموم العراق،

وكانت هنالك قائمتان تتنافسان على مقاعد تمثيل المدارس الإعدادية داخل وخارج مدينة كركوك، وكان المسؤول عن تنظيمات الطلبة البعثيين آنذاك (أحمد العبيدي) الذي كان يقود مجموعة عمل خاصة كانت شكلت بأمر من صدام تقوم بتنفيذ كل ما يتطلبه الفوز بأكثرية المقاعد من أعمال، وبإشراف مباشر من غانم عبد الجليل محافظ كركوك آنذاك. وعندما احتدم الخلاف بيني وبينهم حول الإجراءات الإدارية التي اتخذت يومها ضد بعض الموظفين والعمال من الكورد العاملين في دائرة الكهرباء محطة دبس، ودوائر أخرى، بنقلهم إداريا إلى خارج المحافظة مع عوائلهم، ومن ضمنهم طبعا أبناؤهم الطلبة والذي كان سيؤدي إلى اختلال في التوازن، هددتهم بمقاطعة الانتخابات وإصدار بيان حول الموضوع متضمنا كل التفاصيل، عندئذ وبموجب توجيهات خاصة، تم سحبنا إلى بغداد للحضور أمام لجنة السلام التي كانت مشكلة من عدد من قادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني ومكتبه السياسي والقيادة القطرية لحزب البعث ومجلس قيادة الثورة، لحل المشاكل التي كانت تحدث بين الطرفين تنفيذا لاتفاقية 1970/3/11 . وقبل مثولي أمام اللجنة التقيت رفقة بعض زملائي من مكتب سكرتارية اتحاد طلبة كوردستان بالزميل كريم الملا الذي كان رئيسا للإتحاد الوطني لطلبة العراق. وللتاريخ أقول انه كان بعثيا من الصميم ولطيفا ومتفهما لقضايانا القومية، وذات خلق رفيع حيث جرى نقاش طويل وهادئ بيننا حول هوية كركوك تاريخيا وجغرافيا، وكذلك محاولات الحكومات العراقية منذ 1963 تعريب المدينة وأطرافها، والنيل من سكانها الأصليين من الكورد والتركماني، وفي النهاية، وعندما لم يجد شيئا يعزز به موقفه، قال لي نصا: ضع أطروحاتك في صفحة أخرى، فهذه لا تهمنا. فحسب توجيهات السيد النائب (المقصود صدام حسين) فإن البعث ربما لأسباب سياسية يتخلى يوما عن عروبة القدس، لكنه لن يتخلى عن كركوك بصرف النظر عن تركيبتها القومية. او كوردستانيتها كما تقول عندئذ وبكل هدوء قلت له (مبروك عليكم فكرة التنازل عن عروبة القدس ولكننا لم ولن نتنازل يوما عن كوردستانية كركوك وعندما كررت طروحات هذه أمام لجنة السلام بادرني سعدون غيدان عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الداخلية آنذاك بسؤال "من علمك هذه

الأفكار؟, فقلت له تربيتي العائلية أولا منذ صغر ولاحقا تربية الحزبية عندما انخرط في صفوف البارتي"[1].

(3)

وعندما سئل صدام حسين عن مبررات توقيعه اتفاقية الجزائر عام 1975 مع شاه إيران بوساطة جزائرية، أجاب بالحرف الواحد (أعطينا إيران نصف شط العرب مقابل القضاء على الجيب العميل (المقصود طبعا الثورة الكوردية بقيادة الزعيم الخالد مصطفى البارزاني). تاريخيا ومنذ إلحاق كوردستان الجنوبية قسرا بالدولة العراقية أوائل عشرينات القرن الماضي، دأبت الحكومات العراقية المتعاقبة على نهج سياسة شوفينية عدائية تجاه كوردستان وشعبها بأساليب وطرق مختلفة، قاسية أحيانا إلى حد التدمير، وأقل قساوة أو مرنة في الظاهر وعدائية في المحتوى والتنفيذ، لكنها صبت وتصب كلها في بوتقة سياسة صدام حسين الفاشي الذي شطب على شعار الأخوة العربية الكوردية، الشعار الذي كان أول من رفعه الحزب الشيوعي العراقي بتأثير أفكاره الأممية وبسبب وجود قادة كورد كبار في قيادة هذا الحزب. ورفعه في مرحلة أخرى الحزب الديمقراطي الكوردستاني، في نهاية الأربعينات شعارا يؤمن به إيمانا مطلقا.

(4)

واليوم عندما يجد المواطن الكوردي سواء في مدينة كركوك أو خانقين أو مندلي وزرباطية ومخمور وشيخان وسنجار ما تتعرض له مناطقهم من ظلم وغدر وسياسة شوفينية مقيتة، تمثل إهانة لمفاهيم الأخوة والصداقة والانتماء بين أبناء الشعوب والملل العراقية، عندئذ لن يجد المواطن الكوردي أمامه غير التحقير وإدانة هذا السلوك الشائن لدى من يسمي نفسه حاكم العراق بصرف النظر عن هويته السياسية ومعتقداته الدينية لأن المعتقد الديني الصحيح النابع من جوهر الإسلام والنازل عن طريق الوحي على سيدنا (محمد) صلع ينهى عن الاغتصاب كما ينهى عن الفحشاء والمنكر (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم), (ولا فضل لعربي على غيره إلا بالتقوى), (كلنا من آدم وآدم

من تراب). لم يشرع الوحي الإلهي الحق في اغتصاب حقوق الآخرين، ووضع اليد على ممتلكات الغير، كما فعل صدام حسين في الكويت، وقبلها في كوردستان وإيران، الأمر الذي أدى به في النهاية إلى هاوية السقوط ملعونا إلى جهنم وبئس المصير. وهنا أقول وأكرر إن الذي يسير على نهج صدام حسين الفاشي والمعادي لكل ما هو إنساني ولكل قيم السماء والأرض لا يختلف عنه بشيء ولو استخدم عبارات رنانة لكنها جوفاء خاوية من كل المعاني وقيم الحضارة وإثباتات التاريخ والجغرافيا، عبارات تختلف عن الجمل والمصطلحات التي كان يطلقها ملعون التاريخ بحق المدن والقصبات الكوردستانية، عبارات كالتي يطلقها بعض الساسة العراقيون اليوم من هذا الطرف أو ذاك كعبارة (المناطق المتنازع عليها)، إلى حد وصل بأحد أزلام الدكاكين السياسية أن يتفوه بكلمات لا تثير إلا الاحتقار والاشمئزاز من لدن الكورد تجاهه ومن على شاكلته، عندما قال "ليس للكورد موقع في كركوك"، هنا يتجلى الاغتصاب والاحتلال بأحقر صورهما ناهيك عن تقليد جاهل يسير على نهج صدام. وصدق من قال:

"الشعب الذي يستعبد شعبا آخر ليس حرا"

---

(1) هذا الموضوع منشور قبل سنوات تحت عنوان (من الذاكرة) في إحدى أعداد مجلة (كولان العربي).

تعديل الدستور أم حنين العودة الى الفاشية المركزية!؟

منتصف خمسينات القرن الماضي حين كنا طلابا في المرحلة الابتدائية وبالتحديد في الصف الرابع، كان ثمة درس نلتذ به ونستمتع كثيرا لأنه كان يجمع موضوعات متنوعة: قصص، محادثات، قصائد، أمثال وحكم، وكلها كانت باللغة الكوردية. وما أزال أتذكر قصة الثعلب الذي أقسم أمام حيوانات الغابة بأغلظ الأيمان أنه لن يعود الى مطاردة الديكة والدجاج، وعندما انبرى له أحد الكلاب ناعتا إياه بالكذب والمراوغة رد الثعلب (التاريخ سيثبت مدى إخلاصي وصدق توبتي).بعد مرور أيام على القسم اشتد الجوع بالثعلب وعندما لم يجد شيئا يأكله عاودته طبيعته الضارية المفترسة، وفي ليلة ظلماء اقترب رويدا رويدا وبهدوء الى حظيرة الدجاج تلك التي أقسم على أسوارها يمينه، عندها أنتبه إلى وجوده أحد الديكة وكان في نوبة حراسة قال له: (قبل أيام فقط أعلنت أيها الثعلب توبتك عن أكل الدجاج، وأقسمت على ذلك بأغلظ الإيمان وأشرف المقدسات، والآن ها أنا أقرأ في عيونك الغدر والدم، قل لي ماذا جئت تفعل هنا في هذه الساعة من الليل؟)، لما أيقن الثعلب بأن نواياه باتت مفضوحة قال للديك بصراحة: (أنتم فعلا حيوانات غبية كيف تصدقون ثعلبا يتوب عن أكل الدجاج؟، لقد كانت توبتي لحظة ضعف عابرة، وعندما استعدت قوتي فإنها لن تلزمني بعد).

في مؤتمر النخب والكفاءات الذي انعقد هذا الشهر في بغداد ألقى نوري المالكي حديثا جاء فيه مالم يكن منتظرا أو متوقعا منه من كلام ومواقف حسب رأي بعض الساسة الكورد والعرب كونه رئيسا للوزراء ويفترض أن تكون كلماته موزونة ومقيدة بالدستور. مضمون حديثه عن الدستور والفدرالية ومؤداه يفضح نوايا ومواقف يبدو أنها كانت مبيتة في تفكيره، وإلا بماذا يفسر كلامه الذي تنبعث منه رائحة الشوفينية المقيتة عندما يقول "أخشى أن تكون الفدرالية هي التي تصادر الدولة"، الفيدرالية المثبتة نصا وروحا في الدستور العراقي. الدستور الذي صوت عليه 85٪ من أبناء الشعوب العراقية وكان موضع إجماع وطني. لحظة يفكر المالكي بتغيير هذا الدستور فإنه إنما يحلم بالعودة الى زمن المركزية المطلقة ليضع بين يديه صلاحيات إصدار الفرمانات وتحريك الجيش وتوقيع الاتفاقيات وعقد المعاهدات وتحرير صكوك الغفران

وتحريم وتجريم وتحليل (من الحلال) ما يرغب به من أمور ويحول المؤسسات الدستورية الأخرى كمجلس الرئاسة والبرلمان ومجلس الوزراء إلى دمى يحركها متى يشاء وبأي اتجاه يريد مثلما كان سائدا في العهود السابقة. والأغرب من ذلك محاولة المالكي المس بالفدرالية ونعتها بالغموض والخشية منها، يبدو أنه نسي أو تناسى أن كوردستان وقت سقوط نظام صدام الفاشي كانت تنعم بقدر من الاستقلالية أكبر بكثير من الفدرالية الحالية. كوردستان التي استقبلته وأكرمته –المالكي ما غيره– يوم عودته الى بغداد عبرها. ترى هل كان يحلم يومها بأنه سيعتلي العرش في بغداد وينكر على الكورد حتى هذا القدر الذي لا يلبي طموح شعب كوردستان من الفدرالية..؟.

شعب كوردستان الذي خبر وامتحن أمثاله من الأسلاف الذين كانوا يعلنون توبتهم عن إيذاء الكورد مرة بعد أخرى ويقسمون (وما أكثر ما أقسموا) بأن لا يعودوا الى معاداتهم، ولكنهم عندما يشعرون بالاستقواء تتغير ألوانهم وتتبدل شعاراتهم ويتنكرون لما نادوا به يوم ضعفهم يوم كانوا مشردين في أرض الله الواسعة، والأخطر من ذلك كله، أنهم يسعون الآن إلى إعادة التجربة المرفوضة من لدن شعب كوردستان، تجربة إعادة هياكل ومفاصل تجنيد المرتزقة المقززة لكي يعيثوا مرة أخرى فسادا في الأرض.

وأما اتهام القاضي وائل عبد اللطيف عضو البرلمان العراقي وحامل لواء فدرالية البصرة الدولة العراقية بأنها قد (اصطبغت بصبغة كوردية) فإنه إنما ينم عن مدى ضيق أفق القاضي وائل عبد اللطيف وأسلوبه المستفز، ويدل على عدم تحرره من آثار تعاليم وشعارات وسياسات صدام حسين الرعناء التي نعتتها الشعوب العراقية بـ (عورة التاريخ والبشرية). ومن ينسى خطاب صدام حسين الشهير الذي أعلن فيه يوما أن للكورد حقان كونهم كوردا أولا وعراقيين ثانيا، وتحت هذه اللافتة عمل صدام على محو الكورد وإزالة آثارهم في أرض كوردستان بالأساليب والمحاولات المعروفة.

كل ما نرجوه أن لا ينقاد القاضي الوائلي وتحت مسميات وشعارات لا تخلو من العبث الى من سبقوه الذين كانوا يفكرون ويحللون الأمور بدلا عن الكورد أنفسهم وكأن الكورد قد تنازلوا لهم عن حق التفكير والتدبير واتخاذ القرارات المصيرية.. أقول لهم عودوا الى رشدكم ولا تتراجعوا عما قلتموه يوم كنتم في صفوف المعارضة بحق (الكورد

وكوردستان) ولا تحاولوا التقليد والعودة الى أساليب وسياسات النظام السابق مع الكورد، تلك السياسات التي كانت مفرطة وممعنة في مركزيتها، إنها سياسات عفا عليها الزمان، وبسبب قبحها وبشاعتها والظلم الذي نتج عنها لم تعد صالحة للعرض حتى في المتاحف، بإخلاص أقول لهم أفيقوا أيها السادة فلن تكون العودة إلى تلك السياسات محل ترحاب من الكورد ومعهم الكثير من الوطنيين من أبناء الشعوب العراقية، وستجابه باللعنة والعار والاحتقار وسحب البساط من تحتها الى الأبد.

يا حق لم تبق لي صاحبا

(1)

منذ منتصف ستينات القرن الماضي عندما كنت طالبا في الجامعة كنت معتادا حضور عروض المسرحيات الجادة في بغداد واستمرت معي هذه العادة لاحقا بعد زواجي حيث كنا (زوجتي وأنا) لن ندع عرضا مسرحيا واحدا يفوتنا. ويوم علمت وأنا في كويسنجق بأن مسرحية "الخان" للكاتب والممثل المسرحي الكبير يوسف العاني، تعرض على قاعة مسرح بغداد لم أتردد لحظة واحدة، سافرنا من فورنا الى بغداد لمشاهدة تلك المسرحية، وقد تم لنا ذلك وحضرنا المسرحية بمعية الصديق الكاتب والصحفي (حسب الله يحيى)، وقد بدأ عرض المسرحية بالمشهد التالي.

المكان: أحد خانات بغداد القديمة في سوق التجار.. بالات،كواني وصناديق خشبية قديمة مبعثرة، وعلى أحد رفوف الخان جهاز راديو كبير من الموديلات القديمة، الوقت كان صباحا. يدخل (حمال الخان) وكان يمثل شخصيته يوسف العاني، يبدأ بكنس أرضية غرفة الخان، يتوجه بعد لحظات نحو جهاز الراديو ويفتحه، ينساب صوت مؤثر لمعزوفة موسيقية على آلة القانون، ينصت الحمال بكل جوارحه الى المعزوفة وهو واقف في أحد أركان الخان الى نهايتها، عندئذ يتوجه الى الراديو ويقفله، يتفكر قليلا ثم يعود مسرعا إلى وسط الخان مقابلا جمهور المسرح ويصيح بأعلى صوته وهو يشير بيده اليمنى إلى الراديو (كل القوانين بالدنيا غلط ما عدا هذا القانون) حيث كان يقصد آلة القانون الموسيقية.

(1)

في كتابه "زيارة جديدة للتاريخ" يقول الكاتب والصحفي المصري الكبير محمد حسنين هيكل، في الفصل الخاص بـ(محمد رضا بهلوي: عرش الطاووس... الدروس المنسية) بعد عرض طويل لحياة الشاه السياسية منذ اعتلائه العرش، وعبر مقابلات صحفية لهيكل معه ابتداء من عام 1951 مرورا بآخر مقابلة معه في صيف عام 1975 وضمن مسارات الأحداث وتشعباتها ومنعرجاتها الكثيرة والمعقدة، وانتهاء بما صار إليه مصيره –الشاه– بعد نجاح ثورة الشعوب الإيرانية بقيادة آية الله الخميني، حيث

لم ترحب به أمريكا أخلص أصدقائه، ولم ترض الحكومة البريطانية أن تعطيه تأشيرة سفر، ورفضت سويسرا أن تمنحه أذنا بالدخول، ولم تكلف فرنسا نفسها حتى عناء الرد على طلبه للذهاب إليها لغرض العلاج خصوصا وأن أطباءه أيام عرش الطاووس كانوا فرنسيين... كان تعليق شاه إيران على الصمت الفرنسي مريرا قاسيا حيث قال..(لقد كان جيسكار ديستان رئيس الجمهورية الفرنسية السابق يلعق حذائي.. وفي يوم من الأيام جاء من باريس الى سان موريتز ليشرب فنجان شاي معي.. تغيروا فجأة).

لم يدرك الشاه أنهم لم يتغيروا ولكنه هو الذي تغير كانت قيمته بالعرش الذي يجلس عليه وبالمصالح التي يتحكم فيها وعندما ضاع العرش والحكم من بين يديه لم يعد هناك مكانا لعواطف او حتى ذكريات!!

(3)

على اثر صدور بيان مجلس نقابتنا حول موضوع يتعلق بمستقبل عدد من الصحفيين ويخص إحدى الوزارات اتصل بي الوزير المختص معاتبا ومستنكرا موضوع البيان، وعندما شرحت له أسباب صدور توضيح مجلس النقابة دار بيننا الحوار التالي:

– الوزير: تبين لي بأن لك يدا في الموضوع..

– أنا: نعم وكيف لا فأنا نقيب صحفيي كوردستان وعندما يصدر بيانا أو توضيحا من مجلس النقابة فمن باب أولى أن أكون في الصدارة بحكم موقعي ومسؤوليتي.

– الوزير في نبرة منزعجة: لتكن علاقتنا منذ الآن علاقة رسمية فقط.

– أنا: لا يهم ذلك، أعلى من ذلك أو أدنى أو أقل.

علما أن علاقتي بالوزير المعني تعود الى ما بعد انتصار انتفاضة ربيع عام 1991.

(4)

إبان الحرب العراقية الإيرانية والمفروضة من قبل النظام السابق على الجارة إيران كثر المداحون والطبالون من فئات الشعب المختلفة وأجبر آخرون على اتخاذ مواقف التأييد والمديح ونظم القصائد العصماء وإقامة مهرجانات الولاء وتقديم الهدايا

للـرئيس القائـد الضـرورة وكثـرت الأغـاني والأهزوجـات الشـعبية وتجـاوزت الحـد المعقول، ومن بين تلك الأغاني والبستات الرخيصة أنشودة تخاطب القائد المنتصر:

نصوا وانت عليت طفوا وانت ضويت

خلاصة القول يا سادة يا كرام المسرحية التي خاطب فيها يوسف العاني جمهوره قائلا بأن القانون الوحيد الذي لم ولن يخطئ هو (آلة القانون الموسيقية)، في حين أن القوانين الوضعية ما دامت تتحكم فيها أهواء الناس ورغباتهم فقابلة للخطأ والتجاوز، وهذا ما نتلمسه يوميا مع شديد الأسف، عندما نرى المصالح الشخصية والتحزب الضيق وتحكم الحاشية المستفيدة والجاهلة تضيق حتى بهذه القوانين الغلط فتزيحها وتضع مكانها في التطبيق شيئا آخر، الأمر الذي يحملني مع كثيرين غيري على أن نردد مع بطل مسرحية الخان (كل القوانين في الدنيا غلط). وعندما استنتج محمد حسنين هيكل في زيارته للتاريخ مقدار بؤس وتعاسة شاه إيران بالرغم مما كان توفر له من ثروة قارونية لا تعد ولا تحصى ونفوذ أصبح بمقتضاه شرطي الخليج، ورابع أو خامس قوة عسكرية في العالم، تمثل في رفض حلفائه وأصدقائه بالأمس منحه تأشيرة الدخول الى بلدانهم ولو من باب إنساني لغرض المعالجة الطبية.

لماذا حدث هذا للشاه، ولم يحدث لتوني بلير مثلا..؟

إنه نتيجة طبيعية للخلل في ميزان استخدام السلطة، ميزان التوافق بين مصالح الأمة العليا والمصالح الذاتية والفئوية،، وعندما تكون الكفة الراجحة للثانية يختل الميزان وباختلاله تحدث الكارثة، التي تحدث غالبا نتيجة إحساس الناس بالحرمان من العدل، وغياب العدالة الإجتماعية. ربما لا يصدق القارئ إذا ما قلت له أن هذا الكلام سقته بالكامل أمام مسئول ذي منصب رفيع في هذا البلد، عندما اكتشفت انه قد مارس الخديعة ولعب لعبة الانحياز لصالح من أراد أن يمنحه درجة وظيفية خاصة على حساب القانون والعدالة والاستحقاق. وأما بشأن كلام السيد الوزير المعني الذي كان تربطني به علاقات صداقة ومحبة، وأصبح ينظر إلينا الآن من الضفة الأخرى، وهو يرى إلى نفسه متربعا على كرسي الوزارة ويرى الناس صغارا لا حول لهم ولا قوة

ولا يحق لهم الاعتراض على أخطائه وتجاوزاته ووعوده الكاذبة متخيلا بأنه من الذين..

علوا وغيرهم نصي
ضووا وغيرهم طفي

ناسيا أن العالي والمعلي والمتعالي هو الله سبحانه عز وجل وقوله "وتلك الأيام نداولها بين الناس" وأن المؤمنين الحقيقيين هم أصحاب المبادئ والقيم والوجدان، المناضلين في سبيل شعبهم والسائرين على درب النزاهة والاستقامة والأصالة وقول الحق جهارا متحدين في ذلك الكذب والكذابين/ الخديعة والمخادعين/ التملق والمتملقين/ التهريج والمهرجين/ الانتهازية والانتهازيين/ الغش والغشاشين/ التكبر والمتكبرين.. وأصحاب النفوس الضعيفة أينما كانوا وأينما وجدوا، مسلحين بشرف ماضيهم وحاضرهم وبمستقبلهم أيضا، وهم أسرى قناعاتهم الوجدانية والسياسية دون أي شيء آخر، ولن يهمهم أين يكون مقعدهم في صالات مسرح العبث واللا معقول الذي يقدم عروضه عندنا يوميا مع الأسف الشديد.

عاشق لعار التاريخ

-1-

الثلث الأخير من ستينات القرن الماضي كان المشهد السياسي والثقافي شرق الأوسطي يتماوج على إيقاع صعود القوى والتيارات الثورية اليسارية والماركسية بفعل تنامي المد الجماهيري المؤيد لكفاح شعب فيتنام الوطني التحرري ضد التواجد العسكري الأميركي على ارض بلاده، في تلك الحقبة غطت صور الزعيم الفيتنامي هوشي منه وتشي جيفارا القائد الثوري الأرجنتيني ورفيق فيدل كاسترو في الثورة ضد باتيستا الدكتاتور الكوبي، غطت في بيروت جدران الجامعات والمسارح والمدارس والشوارع. هذا الجو شرق الأوسطي الدراماتيكي المحتدم كان بحاجة إلى شرارة ليندلع حريق ثوري كبير، وقد جاءت الشرارة في أوانها، كان كل شيء هناك يستدعيها، وتمثلت بميلاد حركة فتح كرائدة للكفاح الفلسطيني المسلح ضد دولة إسرائيل.

في ذلك المناخ الذي كان يغلي بالشعارات والحركات الرومانسية الثورية، ظلت الكاتبة اللبنانية ليلى بعلبكي، مع قلة ضئيلة من المبدعين، وفية لذاتها وفرديتها وهويتها الإنسانية والجنسانية، كانت تمارس الكتابة بكيفية وروحية تجعلها أقرب إلى الوجودية بمفهومها السارتري، هكذا ظلت على ضفة تلك الحقبة الطافحة الأخرى، تبحث عن ذاتها، عبر ممارستها لكتابة إبداعية مغايرة ومعاندة للتيار السائد. أتذكر أنها كانت تكتب صفحة أسبوعية في مجلة (الوطن العربي)، كانت تعبر فيها بأعلى درجات الصدق والجرأة عن تجاربها الذاتية، هواجسها ومخاوفها وأحزانها الذاتية بلغة مفعمة بالشعر. كتبت ذات مرة عن تجربة عاشتها شخصيا بين مجموعة من الشباب الهيبيين الذين كانوا يمارسون التسكع على أرصفة الشوارع غير مبالين بما كان يدور حولهم مهملين كل ما يتصل بمظهرهم ونظافتهم، في محاولة لاستفزاز وتحدي نمط الحياة العصرية. كانوا يزعمون أنهم (طلاب السيد المسيح)، وأنهم بهذه الممارسات إنما كانوا يريدون التعبير عن رفضهم مظاهر العصر الزائفة، وتحريض الناس للعودة إلى الطبيعة. كانت تلك الحركة تحمل أصداء باهتة من دعوة (ماركوزة) المفكر الألماني الأميركي الجنسية، أحد رواد مدرسة فرانكفزرت الفلسفية، إلى ثورة الشباب بديلا لنظرية الثورة وفق المفهوم الماركسي الثوري الذي كان غالبا ومهيمنا آنذاك،

والمتمحور على ثورية الطبقة العاملة. لقد أمضت معهم الكاتبة أسابيع من حياتها متسكعة مثلهم، ساعية إلى فهم عميق لدواعي وبواعث هذه الحركة.. والأبعد والأعمق في هذه التجربة أنها أرادت أن تشاركهم نضالهم من أجل عالم خال من الكذب والزيف. كانت حصيلة هذه التجربة مقالا أحدث وقت نشره دويا كبيرا. كان عنوانه (أحلم بالمسيح.. وأخجل) كشفت فيه الزيف المتخفي في تلك الحركة المحتجة على الزيف، كان ملخص ذلك المقال كما تقول ليلى: كنتيجة اعتزازي بالمسيح وإيماني بالمسيحية التي تدعو للسلام والتسامح والتآخي انبهرت بهؤلاء التعساء، ولكن بعد تجربة عملية دامت أسابيع تبهذلت في الشوارع خلالها مثلهم، أيقنت أن هؤلاء مجرد أناس كسالى، لا يعرفون شيئا عن تاريخهم، وتتنافر أقوالهم مع أعمالهم، وهم لا يعيرون للتراث والتاريخ أية أهمية، ولا ينتمون إلى ماضي شعبهم، ولا يأبهون بأسئلة المستقبل، ويعيشون في الحاضر فقط، متطفلين، بنحو جعلهم يلبثون في دائرة مغلقة في منطقة الصفر. إنهم نوع من غجر، أو أميبيا نباتية طافية بلا جذور. أسوق هذه التجربة للتأكيد على أن المبدع الأصيل ينتمي إلى مكانه وأرضه وشعبه بقوة أكبر مما يفعل تجار الشعارات والكلمات الكبيرة. أكتب الآن هذه الكلمات تحية وإن كانت متأخرة للكاتبة الكبيرة ليلى بعلبكي. واستعادة للدرس الفلسفي والإنساني المبكر الذي لم تنتبه إليه الحركات الثورية الكبيرة وقتذاك، وهدرت بسبب ذلك عقودا من النضالات والتضحيات والخسرانات الباهظة من غير داع ومسوغ سوى عدم استيعاب الدرس البسيط الذي قدمته ليلى البعلبكي ببداهة تقترب من الوحي. ذلك الدرس يمكن تلخيصه، باستحالة صناعة مكان أو وطن، من غير الإحاطة بجذوره التاريخية والثقافية والفلكلورية والإنسانية، إن الذاكرة تمثل الجزء الأهم في صناعة الهوية القومية والوطنية.

-2-

حدثني صديق من أبناء أمتي وهو من كورد خراسان عن كتابين مهمين صدرا باللغة الفارسية قبل سنتين أولهما (حركه تى تاريخي كورد له خوراسان) للكاتب الكوردي (كليم الله توحدي) والكتاب بصفحاته التي تزيد على الألف يسرد حركة النقل القسري التاريخي للكورد من شرق كوردستان الى خراسان وعلى مراحل متدرجة من التاريخ، وفق سياقات سياسة حزب البعث العربي الاشتراكي وقائده (الملهم) صدام

حسين التي اشتهرت بوحشيتها وبربريتها في تهجيره وترحيله للكورد في جنوب كوردستان (كوردستان العراق)، كأن الترحيل قدرا كتب على الكورد فقط، سواء كان في عهد الشاه إسماعيل الصفوي وسلفه أو مصطفى كمال أتاتورك أو صدام حسين. والكتاب الثاني رواية بعنوان (كليدر) للكاتب الكوردي الكبير والمعاصر (محمود دولت آباد) حيث تزيد صفحاته عن الألف أيضا وباللغة الفارسية.

لقد قيل الكثير عن كورد خراسان وعن (أبو مسلم الخراساني) وما زلنا _وأنا لست استثناء_ لا نعرف عن الموضوع شيئا لأننا أناس وحسب تعبير الكاتبة بعلبكي (كسالى ولا نعير للتراث أية أهمية ولا نقرأ التاريخ ونجهل انتماءنا التاريخي غير آبهين ببناء مستقبل شعبنا ونعيش للحاضر فقط وبذلك نظل كما كنا نعيش في دائرة الصفر المغلقة).

في الوقت الذي يجهل الجيل الحالي من أبناء أمتي ليس تراجيديا ترحيل الكورد الى خراسان وإنما يجهل كل المذابح والفواجع التي حلت بالكورد وربما سوف ينسى عما قريب ماذا حل بحلبجة وباليسان ومناطق من بهدينان وقبلها بصوريا وداكان والأنفالات قديما وحديثا التي أعقبت الغزوات والفتوحات على مر التاريخ. أتذكر قولا لأحد أصدقائي القدامى الذي اتهمني يوما، نتيجة إلحاحي على مسائل الثقافة التاريخية وصناعة الذاكرة: (إنك حقا عاشق لعار التاريخ ولا تهتم بغيره من جوانب الحياة الأخرى لشعبنا). وكان جوابي : (يا عزيزي إن تاريخنا لم يخل يوما منذ الخليقة من الظلم والفواجع والأنفالات والتقسيم والتهجير تارة نتيجة صراعات دول وشعوب الجوار وكانت كوردستان على الدوام ساحة الحسم بينهم، وتارة أخرى باسم الدين حين قضوا على حضارتنا كوننا عبدة النار (الزرادشتية). تارات باسم وحدة التراب ووحدة البلاد ووحدة الشعب، وتارات باسم القضاء على المفسدين في الأرض والمارقين والخارجين على القانون والدين. العار ليس عارنا وإنما عارهم، سيظل موصوما في جبينهم إلى الأبد، جبين كل الذين ساهموا بهذا الشكل أو بآخر في إيذاء شعبي وموطني كوردستان ولو بمقدار أجزاء من الذرة. وقوله تعالى: (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) يحتم علينا إن كان لدينا حسا قوميا وشعورا بالانتماء الى كوردستان وحرصا على تأسيس كيان كوردستاني فعلا لا قولا، أن لا نساهم في محو

هذا العار الذي ارتكبه الغير بحقنا، وأن لا ندع لهم أية فرصة للتخلص من بقع دمنا المتيبسة على أسمالهم، وذلك بتوثيقه كاملا في الكتب والتماثيل والأنصاب والأعمال الفنية (تشكيل سينما مسرح رواية تلفزيون إعلام) كما فعل الأرمن الذين أدركوا قبل غيرهم بأن ذاكرة الشعوب ضعيفة وجعلوا من قضيتهم (إبادة الأرمن) حية رغم مرور ما يقارب قرنا على تلك الجريمة النكراء.

-3-

أيها الغيارى سواء كنتم مسؤولين أو مثقفين أو إعلاميين اهتموا بتاريخ وتراث شعبكم وجسدوهما في كتاباتكم وقصائدكم وخواطركم، ساهموا في ترجمة الكتب المنسية التي وثقت مراحل نقل الكورد الإجباري من بلاد كوردستان الى خراسان وغربي تركيا والمجمعات القسرية وشمال أفريقيا وجسدوا تلك المظالم التي ارتكبت بحق الكورد كما جسد الأرمن المذبحة التي ارتكبت بحقهم عام 1915 على أيدي سلاطين آل عثمان والتي راح ضحيتها عشرات الألوف منهم، ولعمري لم أرَ تجسيدا حافلا بالتفاصيل للمذبحة (مذبحة الأرمن) كما رايتها في كنيسة (وانك) في مدينة أصفهان التاريخية، كان صمم على شكل بانوراما ملونة تملأ بقوة تعبيرها الرأس بالأسئلة، وتدمع العين لمرآها، وفي حضرتها تخشع القلوب.

ماذا يقولون..؟

يقال بأن الفيلسوف اليوناني (أرسطو) كان في شبابه يتسمع لما ينقله تلامذته من أقوال كانت تتردد عنه بين الناس، خصوصا المستنيرين منهم بشأنه هو، وبشأن مقولاته ونظرياته وآرائه، وكانت وقتها مثار جدل كبير. وحين لا يتحدث التلامذة بشيء، كان يشعر بنوع من القلق، فيعمد هو إلى الاستفسار منهم.. (ها.. ماذا يقولون؟). وكان الغضب ينتابه عندما يسمع تقييما سلبيا لبعض آرائه. ليس بسبب التقييم ذاته، ولكنه كان يغضب لأنه يستشعر في نفسه وطأة العزلة العجز، متمثلة بعدم قدرته على توصيل ذاته إلى هذه الفئات من الناس، كي يفهموه. كان هذا السؤال يتكرر كثيرا في تلك الفترة من حياته تعبيرا عن قلق مرحلة التكوين. بعد مرور سنوات على بداياته ودخوله مرحلة النضج.. تكاملت نظرياته وانتشرت مقولاته، وراجت آراؤه، وازداد عدد معجبيه والتف حوله التلامذة والحواريون، وأطبقت سمعته الآفاق، انتبه البعض من تلامذته إلى أن المعلم لم يعد يسأل.. تجرأ أحدهم يوما وسأله عن لغز هذا التحول، فعلق ضاحكا: (دعهم يقولون). جاء ذلك التعليق ليعبر بقوة وبلاغة عن مرحلة الرسوخ والثقة بالنفس والاطمئنان للمستقبل.

نسمع هنا وهناك بين الحين والآخر كلاما أو رأيا منشورا في هذه الزاوية أو تلك من شبكة الانترنيت الواسعة بشأننا أو بشأن نقابة صحفيي كوردستان من أناس يختفون وراء أسماء مستعارة خوفا من انكشاف أكاذيبهم ودجلهم الرخيص وما يزعمون من تفاهات، وهو سلوك بعيد كل البعد عن شرف المهنة وأخلاقيات العمل الصحفي. (دعهم يقولون) نردد مع الفيلسوف اليوناني أرسطو مع الاعتذار.

دعهم يقولون..

عند متابعتي لأخبار الوطن وأنا في ميناء دبي كبرى مدن دولة الإمارات العربية المتحدة لحضور مؤتمر ضم عددا كبيرا من قادة النقابات الصحفية في العالم العربي وإيران وبعض الدول الأوروبية وقعت عيناي على خبر منشور في صحيفة (الخليج)

بعددها المرقم (10867) الصادرة في يوم الأربعاء المصادف 1009/1/18 تحت عنوان (مقرب من المالكي يتهم الأكراد بالسعي الى توسيع دولتهم المفترضة) وفي سياق الخبر نقلت الخليج تصريحات عن (النائب علي الأديب) القيادي في حزب الدعوة والمقرب من رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي لـ (راديو سوا) حيث (أتهم فيها المسئولين الأكراد بالسعي لتوسيع ما دعاها بـ "دولة مفترضة" اسمها كوردستان لتشمل مناطق في الدول المجاورة. وفي أول رد من المقربين للمالكي على تصريحات مسئولين أكراد شبهوا فيها رئيس الوزراء بصدام، شدد الأديب على ضرورة أن تقوم الحكومة المركزية بدورها في التعامل مع ما وصفه بانفصال إقليم كوردستان عن العراق لإعادة لحمة الوطن الى ما كانت عليه في السابق).

عجيب أمر هؤلاء الناس إنهم لم يستوعبوا حتى اللحظة درس التاريخ، لم يتعلموا من أخطاء وجرائم من سبقوهم من حكام العراق، وماذا حل بقرونهم عندما اصطدمت بجبال كوردستان الشماء.. لقد أطاحت لذة كراسي قصور صدام حسين والأرقام الفلكية من دنانير النفط المسروق بما كان في رؤوسهم من نتف العقل والتفكير. نقول لعلي الأديب ومن على شاكلته من فاقدي الصبر والبصر والبصيرة.. إن التجربة الكوردستانية بكل ما تحتويه من بشر ومؤسسات ليست من صنع الأديب ولا غيره، إنها صناعة شعب كوردستان الذي بذل في سبيلها الدم والعرق وضوء العيون. وشهدت له بالشجاعة حقب ودهور وتجارب، برهنت أنه حتى الأسلحة المحرمة دوليا لم تنل من إرادته وتوقه غير المحدود لمعانقة حلمه القومي والإنساني.

إن من يضع المفروض (من فرضية الأديب عن حكومة إقليم كوردستان) محل المطلوب إثباته (التدليل على وطنية الكورد) سيحتاج إلى نظريات ومناطيق من خارج هندسة الوطن الفدرالي، وهو يستطيع الاستعانة بترسانة صدام حسين الإعلامية الضخمة للتدليل على صحة فرضيته. أما دعوته الحكومة المركزية لمعالجة ما اسماها حالة انفصال إقليم كوردستان عن العراق وإعادة اللحمة إليه، فإننا نجد أنفسنا مضطرين أن نذكر الأديب وغيره من السياسيين العراقيين بأن الذين ساهموا مساهمة فعالة في إعادة اللحمة إلى العراق هم القادة الكورد الذين نسوا وهم في أوج انشغالهم برص قطع الموزائيك العراقي غير المتجانسة أصلا، وتوظيف هذه اللحظة

التاريخية الفاصلة لبناء عراق جديد، نسوا آثار الغدر والعدوان والتهجير والتعريب والترحيل، وقرروا فتح صفحة جديدة من العلاقات الوطنية، الأمر الذي أثار بين قطاعات واسعة من شعب كوردستان، ويثير على الدوام تساؤلات منطقية وانتقادات حادة حول مسوغات وأسباب ومآلات ما قدموه من جهود كبيرة واستثنائية . إننا في ضوء دروس تجربتنا منذ تأسيس الدولة العراقية وإلحاق كوردستان الجنوبية بها قسرا نعرف يقينا بأن سياسات وأفكار ساطع الحصري وعبدالسلام عارف وصدام حسين تعشش ما تزال في العقل الباطن لعلي الأديب وأمثاله من ساسة المرحلة، فيما يتعلق بالكورد وكوردستان. لندع الأديب ومن هم على شاكلته يستغرقون في أضغاث أحلامهم المريضة، يقولون ويتقولون، لأن كوردستان كانت منفصلة أصلا لأكثر من 11 سنة، وفي أول لقاء للحوار العربي الكوردي انعقد في أربيل بعد التغيير أعلن رئيس حكومة الإقليم مسعود البارزاني وبقية القادة الكورد باسم شعب كوردستان، قرارهم بإعادة الارتباط ببغداد..وإذا أراد الشعب الكوردي الانفصال فإنه لن يكون بحاجة إلى أخذ الإذن من أحد..

رفقا بكوردستان وشعبها..

أواخر ستينات القرن الماضي كان الجدل محتدما في الأوساط السياسية العراقية حول (كيف السبيل إلى حل القضية الكوردية). وقد كتب كثيرون في الموضوع قبل الوصول الى صيغة للحل بين قيادة الحركة الكوردية والحكومة العراقية في الحادي عشر من آذار عام 1970 وكان (سليم سلطان) من بين من كتبوا عن الموضوع في جريدة "الثورة" لسان حال حزب البعث العربي الاشتراكي وهو الاسم المستعار للمرحوم (حميد عثمان) الذي كان سكرتيرا للحزب الشيوعي العراقي منتصف خمسينات القرن الماضي، وانضم مع عدد من رفاقه الى الحزب الديمقراطي الكوردستاني قبل ثورة 14 تموز عام 1958. كتب سليم سلطان مقالة من وجهة نظره دعا فيها الى حل سلمي ديمقراطي للمسألة الكوردية وذلك بالتفاهم والاتفاق مع قيادة الثورة الكوردية وكان ختم مقاله بجملة تحذيرية قال فيها ما معناه: (إن حل المسألة الكوردية بالاعتماد على حثالات الشعب الكوردي أمر في غاية الخطأ ولا يمكن تبريره). وفي يوم ما بعد انتصار انتفاضة الربيع عام 1991 زرت المرحوم حميد عثمان مع زملاء لي في داره في مدينة أربيل وكان طريح الفراش بسبب المرض، لكن ذهنه كان متقدا. ذكرته بمقاله آنف الذكر وسألته عن تفسيره لعبارة (حثالات الشعب الكوردي) وبعد شرح لملابسات اللحظة التي كان كتب فيها المقال أجاب: كان القصد من مصطلح حثالات الشعب الكوردي هو الاعتماد على جهلة الشعب الكوردي الذين لا يفهمون شيئا في السياسية ويسيئون بانتهازيتهم وركضهم وراء جني المال وكسب ود الكبار للإبقاء على مصالحهم إلى كل ما هو نبيل وقومي وإنساني فيها.

أيام دراستنا الجامعية في بغداد وفي مادة مبادئ الاقتصاد السياسي شرح لنا أستاذ المادة المرحوم الدكتور محمد عزيز وكان وقتها عميدا لكلية الاقتصاد والعلوم السياسية مفهوم (النقود الرديئة تطرد النقود الجيدة من سوق التداول) بأسلوب الأمثولة التعليمي: أعزائي الطلبة لقد صادفتم في حياتكم اليومية أن كان لديكم ورقتين من العملة العراقية ومن فئة الدينار الواحد إحداهما سليمة والأخرى رديئة بسبب

التداول، وعندما تعتزمون صرف أحد الدينارين فستبادرون رأسا وبشكل عفوي الى صرف الدينار الرديء والاحتفاظ بالدينار السليم، وهكذا دائما، والنتيجة تكون العملة الرديئة هي المتداولة في السوق والجيدة منها منزوية في الجيوب.

نلمس باستمرار كما يلمس غيرنا من الزملاء سياسيين كانوا أم إعلاميين كورد، عندما يلتقون بقادة أحزاب أو منظمات عرب أو يحضرون في أوساط المثقفين في البلدان العربية، أو عندما تجمعهم بهم لقاءات عمل أو سيمينارات أو مؤتمرات في الدول الأوروبية، نلمس أن هنالك جهلا مريعا لدى غير الكورد وبالأخص من الزملاء العرب بأوضاع وأحوال الكورد وكوردستان وما يجري على أرضها من تطورات وتحولات. وهم ينحون باللائمة على الكورد أنفسهم لأنهم لم يعملوا على إيجاد قناة إعلامية تبث باللغة العربية، تتوفر على اشتراطات ومواصفات خطاب إعلامي قادر على خلق بلاغة الإيصال والتواصل، بالاعتماد على ذوي الخبرة والاختصاص في طبيعة المجتمعات العربية، وفي القضايا التي يمكن أن تشكل كودات للوصول إلى منطقة الاهتمام والتفاعل الإنساني والثقافي والمعرفي لديهم، أي قناة تعمل وفق سياسة إعلامية دولية، وسياقات لا تكرر الحديث الممل مع الذات، وممارسة لعبة المرايا المضخمة، لكنها تتذكر دائما أنها تخاطب آخر وطني وإنساني.. لأكثر من مرة جابهني شخصيا هذا التساؤل وكانت آخرها عندما جمعنا مؤتمر دبي لإطلاق مبادرة الصحافة الأخلاقية لحظة رد علي إعلامي مرموق من السودان اثر عتابي عليهم وديا لجهلهم أمور كثيرة عن الكورد وكوردستان، فيما نحيط نحن الكورد بالكثير من التفاصيل مما يجري في العالم العربي سياسيا وجغرافيا وقوميا، لحظتها قال الزميل السوداني إن معرفتكم الكثير عنا نابع من كوننا نملك إعلاما ناجحا وأما جهلنا لقضاياكم فسببه أنكم لا تملكون إعلاما ناجحا باللغة العربية. ومهما كانت درجة الصوابية فيما قاله الزميل السوداني، فإنه يشير إلى نقص خطير في تجربتنا الإعلامية.

يتردد منذ مدة هنا وهناك بأن ثمة استعدادات وتحضيرات لإطلاق قناة فضائية موجهة باللغة العربية غرضها إعادة تشكيل صورة كوردستان الجديدة لدى المشاهد العربي، ووضعه في قلب ما يجري من تطورات وتغيرات فيها، بالاستفادة من الخبرات

الموجودة في كوردستان. نبارك هنا هذه الخطوة المتأخرة جدا، لكن نجد من واجبنا التذكير بأن تحديات كبيرة تنتظر هذه القناة، سيتعين عليها عبورها، في مواجهة عشرات القنوات والفضائيات العربية الممولة من هذا الطرف أو ذاك لغايات في نفس يعقوب ، وإن أكثر تلك القنوات تبث خطابا غير ودي تجاه الكورد (الإخوة في الدين والمصير المشترك)، ومشوه ومعادي بعض الأحيان. ولمجابهة هذا الطوفان من الإعلام العربي يجب على ممولي هذه الفضائية المنشودة عدم الإسراع في إناطة المسئولية إلى أي كان. إن فضائية تحمل رسالة على هذه الدرجة من الخطورة، ينبغي التريث في اختيار العاملين فيها، ومن بوسعهم هندسة خطابها. إن مراجعة تفاصيل المشهد الإعلامي والثقافي الكوردستاني مرة ومرة ومرة قبل التسرع في إسنادها إلى من تجدهم على كل مائدة، ممن امتهنوا الانتهازية، وأدمنوا التودد إلى الكبار، والتصيد في حبالهم، والجري وراء جني المال، واحترفوا تغيير الخنادق دون قناعات سياسية أو وجدانية وإنما وفق قناعات مصلحية انتهازية عابرة. إن تبوئ هذه العناصر مسئولية قيادة مثل هذا المرفق الإعلامي، كما تبوأ الكثيرون من أمثالهم مراكز مهمة في جميع مرافق ومفاصل التجربة الكوردستانية دون الحد الأدنى من الاستحقاق والأهلية، هو تطبيق مؤلم للقاعدة الاقتصادية الذهبية والتي كان المرحوم الدكتور محمد عزيز لا يمل تكرارها: إن النقود الرديئة تطرد النقود الجيدة من التداول في السوق. لقد تحول البعض في كوردستان إلى عملة مهترئة، ممسوحة الملامح من كثرة الاستعمال، وملوثة من فرط تنقلها من يد إلى يد، في كل مناسبة تجدهم قدامك في الواجهة، كأن لا أحد غيرهم في المشهد الإعلامي في كوردستان. والمسألة في النهاية أكبر بكثير من أية عملة. إن إناطة المسئولية الى ذوي الخبرة والاختصاص والكفاءة والإخلاص من الإعلاميين في هكذا مرفق إعلامي مسألة بالغة الخطورة، لا يجوز المرور عليها بغير اكتراث، واستسهالها بإسناد قيادتها إلى الماثلين دائما (من فئة عبد الموجود) من الفاشلين إداريا وسياسيا وثقافيا وإعلاميا من أنصاف العقلاء وأنصاف المجانين وانتهازيي هذا الزمان الرديء الراكضين وراء جمع المال والشهرة والناقمين على كل ما هو جيد في هذا الوطن المظلوم المكتوي بنار الأعداء وأحابيل طفيليي الشريحة الوصولية في غفلة من الزمن وغفلة من مسئولي بلادنا الذين يساهمون بدورهم بهذا الشكل أو ذاك في

الترويج للنقود الرديئة وذلك باعتمادهم على مثل هذه النماذج الفاشلة عن سابق معرفة أو بطيبة قلب والتي تضر بسياسات البلد العليا ومصالحه وصورته في العالم والحليم تكفيه الإشارة.

في سبيل إعلام عابر للحدود..

احتفلنا نحن شريحة الصحفيين في كوردستان بذكرى مرور 111 عاما على صدور أول صحيفة كوردية في التاريخ على أيدي أبناء الأسرة البدرخانية الرائدة، في ديار الغربة في القاهرة، بعيدا عن أرض كوردستان، لكنها قريبة جدا من مشاعر وأحلام وأفكار شعبها، واحتفل معنا ضيوفنا من بريطانيا وجمهورية مصر العربية وجمهورية إيران الإسلامية. ويمكن النظر إلى جريدة (كوردستان) بوصفها اللبنة الأولى في بناء المشروع القومي الكوردي الكبير وتشييد صرحه الحضاري المميز.

ضيوفنا وعلى اختلاف الأمكنة التي جاؤوا منها أنطقتهم الدهشة، بعد فترة من صمت المفاجأة، لقد رأوا وسمعوا واطلعوا على أشياء وآراء ومواقف كانت مجهولة بالنسبة إليهم، أو أن تصوراتهم عنها كانت غير دقيقة، وبعيدة تماما عن الواقع. لقد كان لنا ربما النصيب الأكبر من المفاجأة: كيف يحدث بعد كل هذه السنوات الطويلة من الجهد الإعلامي أن تبقى صورة كوردستان، وصورة الشعب الكوردي، مركونة هكذا في منطقة العتمة، تحيط بها افتراءات وأكاذيب لفقها وفبركها الإعلام الشوفيني المضاد حتى تحولت إلى شبه يقين لدى قطاعات واسعة من جماهير المنطقة..؟!. كانت حصتنا من المفاجأة كبيرة فعلا، ربما كانت نوعا من صدمة، أنتجت على الفور سؤالها البديهي والمباشر: من الملام..؟. لقد وضعتنا حواراتنا مع الضيوف وجها لوجه أمام جانب كنا نائمين عنه تماما. ولئن كنا استيقظنا الآن، فقد جاء استيقاظنا متأخرا.. لقد اكتشفنا بألم أننا كنا نتحدث إلى أنفسنا عبر كل تلك السنوات، وأننا بأمس الحاجة إلى إيجاد إعلام جديد، إعلام عابر لحدودنا القومية والثقافية والسياسية واللغوية، إعلام مغاير يبحث له عن موطئ قدم في (غابة) الإعلام الكثيفة التي تغطي سماء الشرق الأوسط، أقول (غابة) لأن الذي يحكم ويتحكم فيها هو منطق القوة بتجلياته المختلفة الاقتصادية والسياسية والثقافية والإعلامية، فهل سيكون بالوسع تجيير ثقلنا السياسي والاقتصادي والإعلامي بوصف الإقليم أحد المساهمين المهمين في صناعة الحدث في المنطقة، تجييره إلى قوة إعلامية موازية .. وكم سنكون مخطئين إذا أتهمنا العالم بالتقصير المتعمد وربما العداء الأبدي الذي غالبا ما يقوم على منطق نظرية

المؤامرة.. إن الكورد وحدهم الملامون، كما قال أحد الزملاء، لأنهم كانوا يخاطبون أنفسهم وبلغتهم الكوردية، وكأن قضيتهم ستجتاز من ذاتها بقدرة قادر حدود كوردستان إلى أرض الله الواسعة، ناسين أن أصحاب القضية ينبغي عليهم أولا وثانيا وثالثا وإلى الأبد أن يختاروا الوسائل الكفيلة واللغات والخطاب المناسبين في مخاطبة الشعوب من خلال مثقفيها، ورموزها، وهواجسها. إن العتب، كل العتب، موجه إلى أصحاب القضية، وعندما انبرى صحفي من بلادي للرد على طروحات زميلنا الآتي من إحدى دول المنطقة متهما إياه بالتقصير بسبب عدم إلمامه بقضيتنا بينما كانت عمليات الأنفال واستعمال السلاح الكيمياوي، وتعريب كوردستان، وتهجير شعبها كانت تجري كلها على قدم وساق، وسط سكون وسكوت شعوب دول الجوار والمنطقة والعالم، رد زميلنا الضيف بصوت هادئ، ونبرة ملؤها الأدب والعتب.."لا ياصديقي، اقول وأكرر العتب عليك، إن الله سبحانه عز وجل بعظمته يخاطبنا.. لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، هذه أولا، وثانيا، عليكم الخروج من هذه الدائرة الضيقة لأن مائة عام من الدردشة مع الذات لا تساوي شيئا عند العرب مثلا أو الفرس أو الترك، عليكم الدخول إلى عقول هذه الشعوب التي شكلت قدركم الجغرافي عبر إعلام يخاطبهم بلغاتهم، وأن لا ينال التعب منكم يوما، ومشقات العمل وصعوبات الإقناع. قضيتكم عادلة، ثواركم شجعان، رؤساؤكم قد بذلوا المستحيل لتحقيق طموحاتكم، فلا مجال بعد الآن للمزيد من الخسارات اللا مبررة والناتجة عن الدوران في تلك الحلقة المغلقة ذاتها. قضيتكم تحتاج إلى كسر الكثير من القيود الذاتية المعطلة، وطرد الكثير من الأوهام المتراكمة حول حدودكم بفعل الثقافات الكارهة وإعلامها الذي امتهن صناعة وفبركة الأكاذيب ضدكم. مرة أخرى أعود إلى نقطة البداية.. فكروا وجدوا الوسائل واللغات لمخاطبة الآخرين، والتعريف بقضاياكم بلغة بعيدة عن الإنفعال والتعصب، ولا تنسوا قول الله تعالى: " أن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى".

عالم يصغر..عالم يكبر

إنها لمفارقة كبرى أن يتشكل أمامنا هذا اللغز.. كيف يصير العالم أكبر، كلما بدا لنا، نتيجة ثورة الاتصالات والإعلام، أنه آخذ في الصغر..؟. في الندوات التي تضمنتها احتفالات نقابة صحفيي كوردستان في العيد 111 للصحافة الكوردستانية، كانت ثمة أراء ترى في تفتح وتنوع وتعدد الثقافات والكيانات اتجاها يتنافى مع طابع العصر السائر نحو التوحد والتنميط. إننا نعيش الآن في عالم جديد، قرن جديد. لقد بدأ القرن العشرون متأخرا في عام 1917، مع ثورة أكتوبر، لكنه انتهى مبكرا في عام 1991 مع انهيار الإتحاد السوفييتي. انتهى القرن العشرون، قرن المستعمرات والشمولية والدولتية الفاشية التي تمردت على إختلالات وانتشار العالم الصناعي. وإذ تبدو هذه التمردات الآن غير مجدية بل دامية ورهيبة، فقد كانت في الحقيقة إشارات تحذير ضرورية على أن النظام الصناعي الرأسمالي يفتقر للتوازن، وأنه كان بحاجة إلى إعادة تنظيم، ولم تفعل الموجة الثالثة التي كانت ثورة الاتصالات والإعلام من أبرز مكوناتها، شيئا إزاء اللا توازن القائم، لكنها ربما غيرت في الكثير من القيم والأنماط الإنتاجية، وخلقت إمكانات جديدة للإصلاح. دعونا ننظر عن كثب.. إن التوسع الراهن في الإصلاح الديمقراطي، الذي شكل الملمح الأبرز في القرن الواحد والعشرين، الذي ينفتح في ظل ظروف متنوعة على نحو لا نهائي وطنيا وإقليميا وعالميا، ويتفتح في مجتمعات متنافرة تنافر وتباعد الأكوان من ناحية تكويناتها الثقافية والاجتماعية، أدت إلى ظهور المزيد من القوميات والثقافات واللغات.

لا بد من التذكير أن القرن العشرين قد دشن سياسة ما بعد الحرب العالمية الأولى بتعميم مبدأ الأمم أو مبدأ القوميات: وهو حق تقرير المصير. بيد أن الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون والرئيس السوفييتي فلاديمير إيليتش لينين، تبنيا هذا المبدأ من وجهتي نظر متناقضتين، الأول نحو دعم الديمقراطية الليبرالية والآخر نحو تعزيز الثورة الجماعية باعتبارها صيغة من الديمقراطية الاجتماعية، لكن هذا المبدأ ظل ينتظر حتى نهاية القرن، ليجد طريقه إلى التطبيق في ظل معادلات دولية جديدة، ربما كانت القطبية الواحدة أكبر علاماتها.

إن ثورة الاتصالات والإعلام بقدر ما اختزلت المسافة والزمن، وربما بسبب من ذلك، فإنها خلقت البيئة المؤاتية لتفتح المزيد من الثقافات، وولادة العديد من الهويات والكيانات التي كانت تبحث لنفسها عن مكان تحت الشمس.

توجد في العالم اليوم نحو 8000 مجموعة لغوية وهذا يعني أن ثمة 8000 كيان قومي يمكن أن ينشأ نظريا، على أن ما لدينا اليوم لا يتجاوز الـ 100 دولة، ولا نكاد نجد دزينة من الدول ممن تدعي التجانس الإثني– العرقي أو القومي.

فهل العالم، في ظل التحولات التقنية الدراماتيكية التي يشهدها الآن يصغر ويتنمط، أم أنه يكبر ويتنوع..؟

تجارب، ودروس.. هل من مدّكر..؟!

(1)

في يوم شتائي بارد، قبل أربعة عقود من الزمن، وبالتحديد في يوم 1970/1/6 ، أي قبل توقيع اتفاقية 11 آذار عام 1970 بـ(35) يوما فقط، كنا نحن أعضاء مكتب التنظيم المركزي لاتحاد طلبة كوردستان على موعد مع التاريخ.. في ذلك اليوم التقينا الزعيم الكوردي الكبير الراحل مصطفى البارزاني، في داره في قرية (ديلمان) الواقعة على أحد السفوح الجبلية النائية.. كان الوقت مساء، وكانت الثلوج التي تغطي كل شيء، تمتص بقايا ضوء النهار الذاهب، لتطلقها من ثم سطوعا خافتا في دكنة الليل الطالع من الوديان.. تناولنا عشاء بسيطا، ومع أول دورة شاي، بدأنا حديثا مطولا مع الزعيم الخالد تطرقنا فيه إلى قضايا الساعة، وفي مقدمتها طبعا المفاوضات التي كانت جارية وقتذاك بين قيادة الثورة الكوردية وحكومة البعث، كان حديث البارزاني شيقا خصوصا تقييمه لشخصيتي أحمد حسن البكر وصدام حسين، وعندما سأله أحدنا عن مدى التقارب أو التباعد في مواقف المتفاوضين حول مسألة كركوك، وكانت يومها عقدة مستعصية، وصف لنا بالتفصيل ما كان يدور، ومما جاء في كلامه: "تملكتني الدهشة عندما تفوه أحد أعضاء الوفد البعثي (عبدالله سلوم السامرائي) بكلمات لا تليق إلا بالجهلة المتغطرسين، حيث قال في إحدى جلسات الحوار ليس باستطاعتي الاعتقاد بكوردية كركوك" عندئذ وصف لنا البارزاني كيف رد على السامرائي: "تعتقد أو لا تعتقد ما أهمية ذلك، كل حقائق التاريخ والجغرافية تكذبك، وبما أنك جاهل بالتاريخ والجغرافية فليس باستطاعتي الجلوس والتحاور مع أمثالك" ونهضت بقصد مغادرة المجلس، بيد أن كل من الفريق أحمد شهاب والفريق حردان عبد الغفار حاولا بطريقة لطيفة إقناعي بالاستمرار في الحوار، وعندما أيقنوا بأن محاولاتهم ستذهب أدراج الرياح طلبا من السامرائي ترك القاعة. في تلك المفاوضات حاولوا إقناعي بحل وسط لمدينة كركوك، لكنني قلت لهم، إلى الآن يلعن أبناء ولاية ألاسكا الأمريكية القياصرة الروس لأنهم باعوا في يوم ما ألاسكا للأمريكان، لست مستعدا لتحمل لعنة الأجيال من أبناء شعب كوردستان إذا تخليت يوما لا عن مدينة كركوك وإنما عن أي شبر من أرض كوردستان".

وهكذا توقفت الثورة الكوردية (ثورة أيلول) إلى حين بسبب الاتفاقية الخيانية التي أبرمت بين المقبورين شاه إيران وصدام حسين في 1975/3/6 بسبب إصرار البارزاني على كوردستانية كركوك ورفض التنازل أو تقسيم كركوك بين الطرفين.

(1)

كانت الوقت صيفا وكان عمي المرحوم (عمر حبيب) يشغل وظيفة معاون تسوية الأراضي في كركوك.. كنا في زيارة عائلية إلى بيت عمي في كركوك في محلة شاطرلو خلف المقبرة الموجودة آنذاك. في الليل كان بعض أصدقاء والدي وعمي يزوروننا في البيت، وكانت الأحاديث تدور كلها حول اهتمامات المجموعة الذين كانوا (رحمهم الله) منخرطين في الحركتين السريتين السياسيتين آنذاك (الشيوعي والبارتي) وما يدور في الساحة العراقية من أخبار الحكومة ونوري سعيد باشا والاتحاد الهاشمي بين المملكتين العراقية والأردنية. في أحدى الليالي بينما كان الضيوف جالسين في الحديقة الوسطية من بيت عمي يتداولون في أحاديثهم المعتادة، ذكر المرحوم (كاكه حمه) صاحب فندق شهرزاد الواقع على الجانب الغربي من رأس الجسر الذي كان ولا يزال يربط جانبي مدينة كركوك، إن هناك نزيلا في الفندق من القومية العربية، موظف منقول لأسباب إدارية من الرمادي إلى دائرة المحاكم في كركوك حيث لم يمض على وجوده في كركوك أكثر من شهر، وهو لا يخالط أحدا، وعند انتهاء دوامه في المحكمة يرجع إلى غرفته في الفندق، وغالبا ما يجلس على كرسي في الطابق الفوقاني من الفندق أمام (نهير خاصه)، ويوم البارحة حاولت ملاطفته، ودعوته للنزول إلى غرفة الإدارة في الطابق الأرضي عندما يحس بالوحدة، ولكن الموظف رد بألم: لا يا أستاذ محيطكم ومحيط كركوك كلها كوردية وتركمانية وآشورية وأنا لا أفهم من اللغات الثلاث كلمة، وبالكاد ترى عربيا في الشارع وإن رأيتهم فهؤلاء من الفلح المتواجدين في محيط الحويجة. أنا الآن ضيف في هذه المدينة، لأن شقيقي سيحاول المستحيل لإقناع المسئولين في دائرة العدل ببغداد بإلغاء نقلي، لما استوعب المرحوم (نجيب ريحاني) كلام المرحوم كاكه حمه، وكان الرجل صديقا طيبا، وموظفا في كركوك منذ عشر سنوات، مدمنا على متابعة الأخبار من إذاعة لندن العربية والتعليق عليها، بادر الجميع بلغة كوردية مكسرة: "يا كاكه حمه لولا وجودي بين هؤلاء الطيبين مثل كاكه عمر

(عمر حبيب) وبهجت عوني وجوهرة الخياطة (أرمينية القومية) وكاكه فخري حويزي لما طقت كركوك أنا أيضا فهذه طبيعة الإنسان كما خلقه الله سبحانه عز وجل والإنسان بطبيعته يرتاح وتدخل السكينة إلى قلبه عندما يكون بين أبناء قومه".

(3)

الشهيد شهاب التميمي نقيب الصحفيين العراقيين كان يود الكورد وكوردستان إلى درجة كبيرة نتيجة قناعاته السياسية المبنية على الحقائق على الأرض، وزمالته للكثيرين من أبناء كوردستان شيوعيين وبارتيين في سجون الموصل وكركوك إبان العهد الملكي وفي سجن "نقره سلمان" الصحراوي السيئ الصيت أبان حكم البعث عقب انقلابهم الفاشي في 8/شباط/1963 وكان ينتهز كل فرصة لزيارة كوردستان. وفي المؤتمر الثاني لنقابة صحفيي كوردستان من 15-1007/11/17 ألقى كلمة ارتجالية رائعة نابعة من قلب مؤمن بعدالة القضية الكوردية، وفي أعقاب المؤتمر وبناء على رغبته الملحة رتبت له زيارة للسيد مسعود بارزاني، وبعد كلمة الترحيب التي استقبله بها رئيس حكومة الإقليم، بادر الشهيد التميمي السيد البارزاني بقوله: "عرفت، أواخر أربعينات القرن الماضي، مناضلين من الكورد البارزانيين، في سجن الموصل عندما كنت محكوماً بسبب انتمائي للحزب الشيوعي العراقي وتعلمت منهم الكثير، ومن كورد آخرين، سجون المظالم التي تعرض لها الكورد على أيدي الحكومات العراقية المتعاقبة وخاصة على أيدي البعثيين في 1963 وما بعدها غالبا ما جمعتنا، أنا استنكر جملة وتفصيلا ما تعرض له الكورد وكوردستان من استعمال للسلاح الكيماوي وحملات التهجير والترحيل والأنكى منها حملات التعريب، إنها أشياء وأحداث تدعو للخجل. عندما أسمع النقاشات والمناظرات على شاشات التلفزيون حول قضية كركوك وما تفعله الحكومات العراقية ذات الهوية العربية بكركوك ومناطق أخرى من كوردستان محاولة تعريبها، أتذكر ما يفعله الإسرائيليون بالقدس، إنني لا أرى أوجه اختلاف بين ما يفعله الإسرائيليون بالقدس وما يفعله العرب بكركوك فـ(والله) أنا خجلان".

وفي طريق عودتنا من مصيف صلاح الدين إلى مدينة أربيل همس الشهيد التميمي بصوت خافت في أذني: (يا أخ فرهاد أخاف أن تؤدي بي الصراحة والمبدئية ودفاعي

عنكم إلى التهلكة فكل ما أرجوه عدم نشر ما قلته عن كركوك والمقارنة التي تكلمت عنها بين القدس وكركوك).

زملائي الأعزاء ويا مناضلي شعبنا إن هدفي الأول والأخير من سرد الحوادث الثلاث عن مدينة كركوك هو إبداء ملاحظة، وأرجو أن لا تفسر على أنها (نصيحة) وتلك الملاحظة تحمل بين طياتها ثلاثة أوجه للتفسير، أولها: خسارة البارزاني الراحل لثورة دامت مسيرتها أربعة عشرة عاما بكل ما جرتها من مآسي ومواجع، وبكل ما حفلت به من بطولات لا تنسى، تشهد رغم ما قيل عن أسباب تلك الخسارة (النكسة)، تشهد بمبدئية موقف البارزاني ورفضه القاطع لكل أشكال المساومة أو الحلول الوسطية، التي كانت متمثلة آنذاك بتقسيم كركوك (الشرقية منها إلى الحكم الذاتي والغربية منها إلى المركز) حسب أطروحات صدام حسين، وعدم التراجع عن الإيمان الكامل المستند إلى حقائق التاريخ والجغرافية بكوردستانية كركوك، مع الإقرار بوجود قوميات وأقليات قومية ودينية أخرى في المدينة، وبالتمسك بالحقيقة رغم فداحة الضرر الذي كان يهدد مصير ثورة أيلول، وإن سر قوة البارزاني يكمن في التمسك بهذه الحقيقة بالإضافة إلى الحقائق التاريخية والجغرافية، وسعيه إلى إيجاد شعب موحد وإدارة موحدة ونهج وحد خلف قيادة موحدة.

ثانيها: تروى الحقائق ما كان موجودا في كركوك خاصة بصدد الوضع الديموغرافي الذي جعل ذاك الموظف العربي المنقول إليها من الرمادي، لا يطيق العيش في محيط كان غريبا عليه.. وعما آلت إليه كركوك من تغير في الواقع القومي على أيدي الحكومات العراقية وبالأخص فترة مجيء البعثيين إلى الحكم بانقلاب دموي قطع أوصال الجسم الواحد، وأدى إلى خلق حالة استقطاب وتخندق بين قوميات البلاد، والخسارة في هذه المواجهة ستصيب الجميع بلا استثناء.

نحن على أبواب إجراء انتخابات جديدة لاختيار رئيس الإقليم وأعضاء جدد للدورة الجديدة لبرلمان كوردستان وهناك ملامح تشير إلى وجود خلافات حادة حيث تظهر بوادرها يوما بعد يوم وتلعب بعض المؤسسات الإعلامية دورا سلبيا فيما تكون النتيجة يا سادتي يا كرام إذا استمرينا على نهج الخلاف وتأجيجه بمبررات شتى هي ضياع ثورة ومكاسب كبيرة قد تحققت ومنها، على سبيل المثال فقط، وجود

قنصليات لستة عشر بلدا في عاصمة كوردستان ولكي لا تتكرر المآسي والفواجع ومن أجل صيانة هذه التجربة الكوردستانية وسط بحيرة رمال الشرق الأوسط المتحركة. وحدوا صفوفكم وقووا تصميمكم وانسوا خلافاتكم لأن الوحدة هي التي تأتي بثمار جيدة، وستبقى أجزاء عزيزة من كوردستان (مناطق متنازعة عليها) إلى يوم القيامة إن كان الخلاف والتفرقة هي السائدة في عقولنا.

وثالثها تتمثل في وجود يقظة الضمير ونباهة الوجدان والإقرار بالحقائق لدى البعض من أبناء القومية العربية أمثال الشهيد شهاب التميمي الذي راح ضحية وضوح أفكاره وصدق طروحاته ومبدئيته وموقفه الجريء تجاه كركوك وشعب كوردستان، في الوقت الذي كانت أنياب الذئاب المفترسة تفتك بالخيرين حتى في الوسط نفسه الذي عاش فيه التميمي.

والخلاصة.. أيها الغيارى..

يقول الحديث النبوي الشريف (اختلاف أمتي رحمة) ولكن الاختلاف يختلف عن الخلاف فالأول يأتي نتيجة تباين الآراء حول مسألة معينة ويدخل في باب الاجتهاد الذي يحسم في النهاية لصالح طرف ما، أما الخلاف فإن استمر فإنه سيفضي إلى التنافس والصراع بكل أشكاله، وبالتالي كما هو معروف النتيجة تكون تشرذم الكتل والانفصال.

جرعة تاريخ صغيرة لتنشيط الذاكرة
"واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا.."

صدر مؤخرا كتاب (عبد العزيز العقيلي–حياته ودوره العسكري والسياسي في العراق 1919–1981) للدكتور ستار نوري العبودي، والصادر من مكتبة مصر–دار المرتقى، الطبعة الأولى 1009، والكتاب يروي سيرة العقيلي الذي وصل إلى رتبة عسكرية عالية وهي لواء ركن، وتسنم مناصب عسكرية مهمة منها قائد الفرقة الأولى في اليوم الثاني لنجاح ثورة 14 تموز عام 1958، وآخرها منصب وزير الدفاع الذي تولاه في 11 أيلول سنة 1965، وكان أحد المنافسين الثلاثة الذين كانوا يطمحون بتولي منصب رئيس الجمهورية بعد مصرع عبد السلام محمد عارف في حادث غامض مساء الثالث من نيسان 1966.

والعقيلي كما هو معروف وموثق في طيات هذا الكتاب كان أحد غلاة العسكريين الذين كانوا يعادون طموحات شعب كوردستان وثورته (ثورة أيلول الكبرى 1961–1975) وهو لم يخف توجهاته المعادية للكورد وكوردستان وإيمانه المطلق بضرورة تصفية الثورة الكوردية بقوة السلاح ولا شيء آخر ونورد هنا أمثلة على ذلك.

* بعد توقيع اتفاقية 19 حزيران 1966 بين قيادة الثورة الكوردية وحكومة د. عبد الرحمن البزاز في فترة رئاسة الفريق عبد الرحمن محمد عارف للجمهورية العراقية، وكان قد صدر بيان تضمن الإعلان عن بنود الاتفاقية (كان موقف عبد العزيز العقيلي معارضا للاتفاقية والبيان، وحاول اقناع رئيس الحكومة بالحل العسكري، لا الحل السياسي حيث قال كما جاء في ص115 من الكتاب المذكور أعلاه بالحرف الواحد :(الواقع أن البيان كان استسلاما كاملا من الحكومة ويؤدي تطبيقه إلى فصل الشمال عن بقية الوطن كله، وقد شجبت البيان في حينه ورفضت دخول الوزارة الحاضرة "حكومة ناجي طالب" بسبب تعهدها بالتمسك به كما يعرف الجميع).

* وفي فترة إشغاله لمنصب وزير الدفاع في الحكومة العراقية، حاول وجاهد وعمل على تصفية الثورة الكوردية وإجهاض طموحات شعب كوردستان بقوة السلاح، إن أقواله وأفعاله لدى زياراته للقطعات العسكرية التي كانت متواجدة في مدن وجبال

كوردستان خير دليل على ما كان يؤمن به، فقد وصل به الأمر حد التوهم..فعند زيارته لمدينة كويسنجق، خطب وسط حشد كبير من الجنود والضباط و(فرسان صلاح الدين) غير النظاميين، تم جمعهم في قائمقامية قضاء كويسنجق قائلا (أبشركم بأنه خلال أسابيع قليلة سيكون شمالنا العراقي قد تم تطهيره من العصاة المجرمين، وسيرفرف علم العروبة فوق قمم الجبال).

ومن مفارقات التاريخ وحوادثه العجيبة حقا، أن يكون الكورد بالذات، الكورد ما غيرهم، هم من توسط لدى صدام حسين لإنقاذ حياة عبد العزيز العقيلي حين جرى اعتقاله للمدة 1968–1981، وفي هذا الصدد يقول الشخصية الكوردية المستقلة فؤاد عارف... اتصل (عبد العزيز العقيلي) بي عن طريق شقيقه غانم العقيلي الذي كنت على علاقة طيبة معه راجيا مني ذلك... توسطت لدى صدام برغبة حقيقية بالمساعدة، إلا أن صداما قال لي بصراحة: "أبو فرهاد إنني لا أرغب أن تتوسط لأناس من طينة عبد العزيز العقيلي"، والأغرب من ذلك أن الملا مصطفى البارزاني الذي كان العقيلي أكثر من حاربهم وشكك في ولائهم وسياستهم الوطنية هو الآخر قد توسط لدى صدام حسين لإطلاق سراحه بعد أن ذهبت والدة عبد العزيز العقيلي لمقابلة البارزاني شخصيا. وفعلا كتب البارزاني رسالة رقيقة إلى شخص صدام حسين حول ذلك عن طريق المرحوم صالح اليوسفي وقد رد صدام عليه الرد نفسه).

.....

جريدة الزمان طبعة العراق كتبت في عددها 3331 الصادر في 17حزيران 1009 على صدر صفحتها الأولى وبمانشيت كبير (دستور كوردستان يقابل بردود أفعال غاضبة) وكتب مراسلها (فوزي الهنداوي) تحت العنوان المذكور ما يلي(دستور كوردستان الذي أقره برلمان الإقليم الأربعاء الماضي قوبل بردود أفعال عنيفة من نواب وشخصيات وكتل سياسية، وعد هذا الدستور مخالفة دستورية تفضي إلى خلق حالة من المواجهة بين مكونات الشعب، وأكد العديد من النواب أن الدستور بإقدامه على ضم أقضية ونواح تابعة لمحافظات نينوى وديالى ومناطق أخرى من البلاد إلى كوردستان يمثل قنبلة جديدة ستزيد المشهد السياسي تعقيدا) وقد استعانت الزمان بعدد من النواب والأشخاص كأسامة النجيفي عن القائمة العراقية والذي أكد للزمان في

اتصال هاتفي (أن أغلب ما كتب عن هذا الدستور يتمحور على خلق حالة مواجهة بين العرب والكورد والتركمان.. إنهم يطالبون بضم بعض المناطق بحجة وجود أكراد فيها وفي الحقيقة هناك ثمة أكراد لكنهم يشكلون أقليات بسيطة).

.....

عبد العزيز العقيلي رحمه الله كان من غلاة العسكر الذين ينتمون إلى مدينة الموصل، وكان هو والزعيم صديق مصطفى وطه الشكرجي وسالم سلطان بصو الذي قصف مدينة قلعة دزة بقنابل النابالم في نيسان 1974 وغيرهم من الضباط الذين لم يتورعوا عن ارتكاب أبشع الجرائم ضد الكورد وكوردستان، كانوا يحلمون كما تحلم جريدة الزمان الآن بالقضاء على الطموحات الكوردية المشروعة من منطلق شوفيني مشترك، فلتنظر (الزمان) إلى عرابين ورموز الكراهية للشعب الكوردي أولئك كيف انتهوا، بينما تجاوز شعب كوردستان كل اللحظات الصعبة والمحن برأس مرفوع. أما كان الأجدر بالزمان إن كانت تدعي الحيادية والاستقلالية والمهنية في النقل أن تكتب بدلا من هذا العنوان الاستفزازي الذي جوبه بالاحتقار من لدن أبناء كوردستان عنوانا آخر يعبر عن حسن نيتها ووطنيتها من جهة، وتفهمها لطموحات شعب كوردستان من جهة أخرى من قبيل(إقرار دستور كوردستان يلبي طموحات شعب شقيق) ولكن كما يقول المثل (فاقد الشيء لا يعطيه)، وإلا أليس هنالك نواب وشخصيات أنظف وأكثر وطنية من النجيفي وأمثاله الذين لا يختلفون في الصميم عن صدام حسين شيئا، عليهم أن يتعلموا درسا من هذا التاريخ القريب، وأن يعيدوا إلى ذاكرتهم التي تحجرت ربما بعض الطراوة ، ولا ينسوا ما فعل العقيلي تجاه الكورد وثورتهم الوطنية وطموحاتهم المشروعة، وما كان يقول، وما انتهى إليه أخيرا في أقبية وسجون النظام السابق من حال مزرية يوم لم يشفع له شافع غير الكورد أنفسهم ممثلين بقائدهم الراحل مصطفى البارزاني.

.....

سأستعيد هنا من مؤتمر (يالطا) حادثة صغيرة لكنها كبيرة في دلالاتها، متمنيا من كل قلبي أن يتفكر فيها المعنيون في بلادي، لأن إهمال ذلك ينتج ضررا لا يمكن تعويضه بسهولة ، لا سمح الله..عقب انتصار الحلفاء على نازيي ألمانيا وفاشيي

ايطاليا، انعقد مؤتمر يالطا، الذي ضم زعماء الدول المنتصرة من دول الحلفاء، وعندما جاء دور القائد السوفياتي الجبار ستالين لإلقاء كلمته تقدم خطوة إلى الأمام وبدأ بالكلام، وقد لفت نظره في لحظة أن الزعيمين الغربيين (روزفلت وجرجل) قد أكثرا من التصفيق له، حينئذ انتبه إلى نفسه، عرف أنه يتكلم كلاما انشرح له صدر خصومه، فتوقف عن الكلام في الحال، راجع نفسه قليلا، ثم استأنف الحديث بعد لحظات بنبرة مختلفة، وحين لم ير أثرا للحماسة والتصفيق عند (حليفيه اللدودين)، يقول ستالين "حينها شعرت بارتياح الضمير، وعرفت أنني كنت بحديثي أصبت".

أعزائي يا ساسة شعب كوردستان وقادته، إن التاريخ لن يرحمكم يوما إذا ما تركتم العنان لخلافاتكم لتدخل البهجة في نفوس أعداء وخصوم شعبنا، أولئك الذين ما كانوا في يوم من الأيام يودون للكورد خيرا ، وهم لا يختلفون عن عرابين الكراهية من طراز العقيلي، ومهندس سياسات التهجير والترحيل والتعريب والآن وعبر جريدة الزمان يأتي عراب آخر، وهو أسامة النجيفي، ومن على شاكلته كثر في هذه الأيام، ليعلن (إنهم يطالبون بضم بعض المناطق بحجة وجود أكراد فيها، وفي الحقيقة ليس هناك أكراد فوجودهم يشكل أقليات بسيطة).

وماذا بعد.. هل ننتظر عقودا أخر لنر ماذا يفعل بنا تلامذة علي حسن المجيد. عار علينا إن لم نتعال على خلافاتنا واختلافاتنا،وليحتفظ كل منا بوجهة نظره، فالأعداء يتربصون، والخصوم يعلنون جهارا نهارا عدم مشروعية المطالبة الكوردستانية بكركوك ومخمور وخانقين ومندلي، وغيرها من المناطق التي كانت شملتها حملات التعريب سيئة الصيت.

الزمن يدور والأيام تمر وكوسوفو أعلنت استقلالها، وبقينا نحن وحيدين نراوح مكاننا وسط بحيرة الرمال المتحركة دون وجود كيان سياسي يضم كوردستان وشعبها، ويمحو من ذاكرته آثار التهجير والترحيل والتعريب.

نحن ما زلنا نعاني من هذا المرض الكوردي المزمن والقديم والذي شخصه العلماء من غير الكورد ومؤداه (الكورد شعب عنيد ومضحي وشجاع لكنه عندما يصل إلى مرحلة جني ثمار تضحياته يتردد، وتظهر عليه أعراض داؤه القديم: الخلاف والانقسام ما يؤدي في لحظة الحسم إلى تبديد الجهود، والخروج من ثم مصفر اليدين).

"الانتخابات.. لحظة تفكر ومناسبة للمراجعة.."

* في لقاء للكاتب والمحلل والباحث اللبناني ادمون غريب مع القائد الكوردي الراحل البارزاني مصطفى أجراه عام 1978 في الولايات المتحدة الاميركية، ضمن دراسته لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة جورج تاون الأمريكية التي قدمها تحت عنوان "سياسة حكم البعث العراقي حول المشكلة الكوردية بين عامي 1968-1975" إذ قال البارزاني في تقييمه للوعود الأمريكية للثورة الكوردية بداية سبعينات القرن الماضي نصا: (لولا الوعود الامريكية ما وقعنا في الفخ). والكل هنا يعرفون ماذا فعلت اتفاقية السادس من آذار 1975 الخيانية بالثورة الكوردية التي دامت أربعة عشر عاما. ولكي يطلع القاريء على فحوى السياسية الامريكية نقتبس هنا فقرات من كتاب (أمين هويدي المعنون كيسنجر وإدارة الصراع الدولي) حيث تقول الفقرة السابعة في الموضوع المتعلق بالكورد وقضيتهم نصا: "في مارس/1975 توصل العراق وإيران إلى اتفاق كان من شأنه أن توقف إيران كل مساعدتها للأكراد وأن تمنع أية امدادات عن طريق اراضيها وان تغلق حدودها في وجه التحركات الكوردية بعد مهلة معينة"... وفي اجتماع لجنة الأربعين برئاسة كيسنجر في نفس الشهر سجلت لجنة (بايك) في تقريرها قول كيسنجر بالحرف الواحد: "إننا سوف نتخلى عن الأكراد لكي نمكن العراقيين أن يتفرغوا للسوريين لأن هؤلاء يرفضون الدخول في مفاوضات من أجل مرحلة ثانية لفض الاشتباك" ثم تعترف اللجنة "لقد كانت سياساتنا غير أخلاقية ازاء الكورد فلا نحن ساعدناهم ولا نحن تركناهم يحلون مشاكلهم بالمفاوضات مع الحكومة العراقية... لقد حرضناهم ثم تخلينا عنهم".

* زعيمة الهند المتألقة (انديرا غاندي) وابنة الزعيم الوطني الهندي جواهرلال نهر (1889-1964) والتي تولت زعامة حزب المؤتمر الهندي ورئاسة وزراء الهند من 1966 إلى 1977 تخللتها فترة سقوط حزب المؤتمر في الانتخابات الهندية المعروفة بديمقراطيتها ونزاهتها وشفافيتها، وسط مجتمع متعدد الألوان السياسية والقومية والدينية، في هذا المجتمع الذي يعاني من الفقر والأمية، وعلى اثر خسارة حزبها العريق الذي قاد البلاد إلى الاستقلال عام 1948، خسارته إحدى المباراة الانتخابية،

سبعينات القرن الماضي، قالت في حديث لها إلى صحيفة نيويورك تايمز ردا على سؤال حول تقييمها للخسارة التي مني بها حزبها:"الفوز والخسارة عندي وجهان لعملة واحدة وهذه العملة الواحدة عندي هي الهند وشعب الهند فإذا خسر أحد وجهي العملة فسيكون الرابح الوجه الثاني للعملة وسيكون الفوز دعما للهند وشعبها وأما خسارتي لهذه الجولة في المباراة فهي بلا شك تقود لسببين لا ثالث لهما فأولهما إن وجود النظام الديمقراطي في الهند هو الذي مكن خصومي من الفوز لأن الديمقراطية تعني عندنا تداول السلطة بين فريقين أو فرقاء مختلفين يكون الفائز بينهم من يلعب بشطارة، أما الثانية منها فيتحدد بكمية ونوعية حشرة (الدودوة) التي تتغلغل في جسم الحكم وتتسبب في فقدان سيطرة الرأس على المفاصل ومرافق المجتمع وبالتالي خسارته، ومع هذا فأن فوز خصومي نابع من إيماني بالديمقراطية، قوتها ورسوخها في الهند، والتي لولاها ما تسنموا دست الحكم، المهم في النهاية أن الهنود يحكمون الهند وليس الانكليز.

* صرح أحد شيوخ العرب في وسط العراق مؤخرا عبر وسائل الإعلام ما مفاده، (لو انضمت كركوك إلى إقليم كوردستان فسنمحو كركوك من خارطة العراق)

* كتبت صحيفة واشنطن بوست (أن رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي يدافع عن وحدة العراق وهويته العربية، ويريد حكومة مركزية قوية في بغداد، ويدعو إلى تغيرات في الدستور الذي هو بمثابة (الحصن) للأكراد الذين يستخدمون هذه الوثيقة للتجرؤ على بغداد... من جانب آخر أعلن النائب عن قائمة التحالف الكوردستانية محمود عثمان أن الكثير من دول العالم تطالب الأكراد بالتخلي عن المادة 140 المتعلقة بالمناطق المتنازع عليها وفي مقدمتها كركوك، وأعرب عثمان عن أسفه لأن أمريكا وبريطانيا والدول العربية وتركيا والأمم المتحدة تطالب الأكراد بالتخلي عن تلك المادة بوصفه أفضل حل ديمقراطي للمشكلة الراهنة. بيد أن التخلي عن كركوك سيخلق مشكلة أكبر لعدم وجود أي حل آخر.

* في 15/تموز جرت أوسع عملية انتخابية ديمقراطية في تاريخ كوردستان حيث شارك فيها 80٪ من الناخبين، وسط مراقبة محلية وعراقية وعربية وعالمية عبر مراقبين دوليين ومحليين ومراسلي الصحف ومندوبي القنوات التلفزيونية وقادة

المفوضية العليا المستقلة للانتخابات لا لغيرها، وكانت النتيجة حصول القوائم والشخصيات المرشحة لرئاسة الإقليم على هذه النسبة أو تلك من أصوات شعب كوردستان بمكوناته المختلفة قوميا وسياسيا. وأنا هنا لست بصدد الانحياز إلى هذا الطرف أو ذاك من منطلقات سياسية معينة ولكن المهم عندي إجراء الانتخابات ومرورها بسلام وأمان والرابح هنا شعب كوردستان وحده وإن كثرت الأقاويل والتفسيرات حول جملة من الأمور، في مقدمتها مسألة (التزوير). عملية التزوير في كل زمان ومكان تتضمن حجب الحقيقة عن الناس في الانتخابات خاصة بنحو يؤدي إلى تزوير إرادة الناخبين. التزوير أمر مخجل ومستهجن في نفس الوقت وخاصة في كوردستان، إن كان قد حصل فالأمر متروك لقرار المفوضية العليا المستقلة للانتخابات. لقد عانت كوردستان وشعبها طوال التاريخ من التزوير، تزوير جغرافيته وهويته القومية، وآخرها كانت تزوير الواقع القومي الديموغرافي في كوردستان على أيدي أكبر مزور في التاريخ وهو (صدام حسين) ، تزوير الانتخابات عملية قذرة مهما كانت الجهة المتورطة فيها، وفي أي زمان ومكان، ولنا نحن الكورد حساسية خاصة إزاءها. ولكن الأنكى والأخطر من (الادعاء بوجود التزوير) هو اللجوء إلى الخصوم والمتربصين بكوردستان وشعبها، ونشر (غسيلنا) علنا على الملأ، وكأن الخصوم والمتربصين سيصبحون بذلك، بلمسة سحر واحدة أشقاء لنا وأصدقاء يمنحوننا الأمان والحقوق ويعيدون بطيبة خاطر المناطق المغتصبة إلينا وحقوقنا كاملة..

فيا سادتي ياكرام...

* إن خسارة القائد الراحل البارزاني لثورة أيلول العظمى كانت نتيجة لا أخلاقية سياسة أمريكا تجاه الكورد من منطلق مصلحة أمريكا أولا وهي سياسة ثابتة لا تتغير كما نعرفها، وكما كشفها النائب عن التحالف الكوردستاني السياسي المخضرم (محمود عثمان).

* إن الفوز والخسارة هما بالتأكيد وجهان لعملة واحدة كما وصفتها زعيمة الهند الراحلة (انديرا غاندي)، وإنها قد أصابت كبد الحقيقة عندما قالت (أن الفوز في الحالتين هو من نصيب الهند).

* إزالة كركوك من على خارطة العراق إن عادت إلى إقليم كوردستان صحيحا كان أم مجرد إدعاء، لا يغير من الموضوع شيئا، لأن النية موجودة عبر ممارسات الدولة العراقية منذ تأسيسها في عشرينات القرن الماضي، ولا تزال تلك السياسة تقطن أدمغة ومنطلقات وتصورات أصحاب (الدولة العراقية الموحدة الواحدة) وكأن رفع الغصب عن المناطق المغتصبة هو خيانة لشعار الوحدة العربية (من الخليج الثائر إلى المحيط الهادر) وأن عودة تلك المناطق إلى أهلها سيحول دون تحقيق هذا المشروع الوحدوي الكبير.

* فأما ملاحظاتي للقائمة الفائزة فأورد لهم هذا النص القرآني الكريم حيث تقول الآية الكريمة (بسم الله الرحمن الرحيم "عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما أدراك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدي وما عليك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى... صدق الله العظيم". في أسباب نزول الآية، يقول الأستاذ نظام الدين عبد الحميد في (تفسير كولشه ن) ما يلي: في يوم من الأيام كان النبي محمد (ص) مجتمعا بمجموعة من رجال قريش الكبار، أمثال أبو جهل أبن هشام وأمية بن خلف ووليد بن مغيرة بغرض إقناعهم بالدخول إلى الإسلام عبر شرحه لآيات القرآن الكريم، في هذه اللحظة جاءه (عبدالله بن أم مكتوم) الذي كان مسلما وتقيا ورعا وهو أعمى، وبادر الرسول بقوله (يا رسول الله قل لي ما أنزل عليك سبحانه عز وجل لكي أتعلم)، وبسبب كونه أعمى لم يكن يعرف أن محمدا (ص) واقف وسط مجموعة من كبار رجالات قريش، ولكن النبي محمد لم يعره أي اهتمام ولم يلتفت إليه وظل عابس الوجه. وبعد الانتهاء من الاجتماع، نزلت عليه هذه الآية الكريمة وفيها ما فيها من معان ودروس بالغات تلفت نظر النبي محمد (ص) إلى خطأ موقفه من عبدالله بن ام مكتوم الفقير الأعمى، حين آثر الحديث إلى الأقوياء من رجالات قريش حتى لو جاء هذا الحديث في سياق دعوتهم إلى الهداية. وبعد نزول الآية ندم الرسول كثيرا وعندما كان يصادف الأعمى بعد ذلك كان يسلم عليه ويجلس بجانبه وكان يقول له (مرحبا يا أيها الذي لا مني سبحانه عز وجل بسببه).. وحبذا لو تعلم الكبار من مسئولي وطني من قصة (عبدالله بن ام مكتوم) درسا في تعاملهم مع الناس وجعل حكمة (يجب أن نتعامل مع الناس كما يتعامل الله معنا) نبراسا يهتدى به

اجتماعيا وسياسيا وإنسانيا لتهذيب النفس وعدم التكابر على بني آدم من أبناء أمتي.

قرّائي الأعزاء..

كم من مسئولي بلادي من حزبيين وحكوميين قد رصد العشرات والمئات من التصرفات اللامسئولة والتسلكات الشائنة لمنتسبيهم تجاه الناس في الإقليم تلك التصرفات التي تتسبب في ازدياد طوابير المستائين والناقمين على تجربتنا الفتية، وتدفعهم للتفتيش عن البدائل وان لم يقتنعوا بصواب نهجهم واتجاههم السياسي.

إن المواطن الذي لا حول له ولا قوة يجابه يوميا في مكاتب بدءا من رئاسة ديوان الحكومة وسكرتارية مجلسهما ومكاتب السادة الوزراء ودوائر وزارتهم بتصرفات وتسلكات غير حضارية وأحيانا خارجة عن الآداب العامة، ويصطدم بالمحسوبية المفرطة والتي جعلت التكنوقراطي والنزيه والوطني ذي الماضي الشريف يخضع ويتنازل من غير قناعة بغرض تمشية معاملته إن صادفه الحظ ولم تذهب أوراقه إلى الضياع.. القصص كثيرة وبإمكان المواطن تأليف روايات حول ما يحدث في هذا البلد من تحايل واستغلال مناصب وهدر الثروات الوطنية وتحقير المواطن ووضع الحواجز والسكرتيرات والسكرتيرين ومدراء المكاتب الخاصة وحتى عدم الإجابة على النداءات إلا لأرقام معينة من أصحاب الحظوظ، والمكرمات تسري على بعض أصحاب الحظوة من الذين لم يتصببوا قطرة عرق واحدة، ناهيك عن التضحية بدينار واحد في سبيل الوطن، فضلا عن ابتعادهم طيلة سنوات الحكم الفاشي عن قضية شعبهم ووجود ونمو مجاميع من الحاشية الطفيلية التي لا عمل لها إلا الإساءة بقصد أو دون قصد الى التجربة الكوردستانية ورمزوها من قادة ومسئولي الحركة التحررية الكوردستانية (وهذا غيض من فيض).

كل هذا وغيره أدى إلى التراخي في اصطفاف المواطنين الكورد حول القائمة التي تولت أمرهم منذ ثمانية عشرة عاما، علما ان قادتها يشهد لهم التاريخ بأنهم قادوا مسيرة شعبنا أيام المحن والكوارث والفواجع وسفك الدم الكوردستاني وحرق الأخضر واليابس من قبل حكومة الفاشيين، قادوها بدراية كاملة وببطولة نادرة قل نظيرها في بلدان العام الثالث. ولكن كما يقول المثل (السلطة والمال) هي التي تفسد الذمم

وتحرف الحقائق وتجعل الحاكم والمسئول يستمع طويلا لهؤلاء الذين يخفون عنه الحقائق، وهم بالأساس سوسة الفساد التي يمكن أن تعرض التجربة للانهيار. وتجعل من المعارضين في جميع الأحوال أقدر على التأثير في الناس، وجذبهم إلى صفهم، وهم المستفيد الأول من ذلك لأنه (كلما أصبح المكان فاسدا كلما أصبحت مهمتهم أسهل) على حد قول إحسان نداغي في محاوراته مع شاه إيران السابق بين عامي 1977-1978 والذي ضم بين دفتي كتاب يحمل عنوان (من بلاط الشاه الى سجون الثورة) وحبذا لو يطالعه بإمعان ويستفاد من حكمة تلك المحاور كل من يتصدى لبناء وطنه من الساسة والقادة..

المطلوب يا سادتي يا كرام..

ما دامت كوردستان هي الفائزة فعليكم الاقتداء بالراحلة انديرا غاندي والتي قالت يوما (المهم في النهاية ان الهنود يحكمون الهند) وان تشكيل حكومة وحدة وطنية من أصحاب القوائم الأصلية والأساسية بصرف النظر عن عدد الأصوات التي حصلوا عليها في العملية الانتخابية الديمقراطية هي الضمانة الأساسية لوحدة وقوة كوردستان أمام الأعداء والأصدقاء في هذه الظروف المصيرية والتي من الممكن في ظلها تثبيت أسس الكيان السياسي واسترجاع المناطق المغتصبة عبر التمسك بالدستور وبالكفاح الشعبي المتماسك لئلا ينجر أحد من باب التشفي والانتقام على الطريقة الشرقية إلى اللجوء إلى أحضان الخصوم الذين لا يودون للكورد خيرا. إن الأيام برهنت أن أمريكا ودول الغرب الديمقراطية ومعهم الأمم المتحدة ودول الجوار ناهيك عن القوى والساسة العرب العراقيين يطلبون من الكورد دوما التنازل والمساومة خدمة لمشاريعهم وأهدافهم ومصالحهم الاقتصادية والسياسية، وان (اللاأخلاقية في السياسة) هو المبدأ الذي بموجبه يضحى بالصغير فيه، في سبيل إرضاء الكبير، الذي طالما كنا ضحايا له. لكي لا نضطر يوما للاعتذار من شعب كوردستان عن أخطاء ارتكبت من باب الانتقام السياسي، وبدلا من الاعتذار مستقبلا حكموا عقولكم ووجدانكم الآن وتذكروا دوما بأن المطلوب أن تكون المنتصر على الدوام هي كوردستان وشعبها فهذه أمنيتي ومعي الشرفاء والمخلصين من أبناء أمتي لقضايا شعبهم ومن آمنوا بجعل المصلحة العليا لكوردستان فوق أي مصلحة أخرى..اللهم إني بلغت اللهم فأشهد

في الحاجة لتأسيس تقاليد للجدل والحوار في الصحافة الكوردستانية

لأني شديد الإيمان بالمستقبل، فإني أكره استخدام مفردة العودة

ورغم أنني في معظم كتاباتي، كثير التلفت إلى الوراء، والقراءة والبحث والتأمل في مجريات التاريخ، وأحداثه، فإنني أفعل ذلك، ليس على وفق رؤية تتمحور على الماضي، بل بمقتضى منهج يميز بين ما يمكن أن يستمر من خبرات الماضي، ويسهم في التأسيس لمستقبل أكثر أمنا وجمالا، وبين ماض ينشد إلى ذاته، وينغلق عليها. لذا، فإني حين أفتح حقيبتي، واستخرج منها بعض أوراقها، لن أكون ماضويا.. وإنما لأن الكثير من أحداث اللحظة، تستدعي ذلك..

وما تشهده صحافة الإقليم هذه الأيام من سجالات، تغلب عليها لغة الشارع، ويسجل فيها انحطاط غير مسبوق في الخطاب الإعلامي، يتمثل في شخصنة الحوار، والتجاوز على ذات الآخر، في سياق جدل تسقط فيه كل المحرمات، ويصبح الضرب تحت الحزام مشروعا، والغدر فيه مباحا، والطعن من الخلف، في مواجهة ذلك أجد أنفسي مضطرا لتذكر لحظات مشرفة من حوارات مشرقة كانت تشهدها الصحافة العراقية والكوردستانية بين حين وآخر، والتقاليد الرفيعة التي أرستها تلك الحوارات. ربما لم تطلع الأجيال الجديدة من الصحافيين والإعلاميين على هذه الخبرات والحوارات والسجالات، ولم تتعرف نكهة النبل والصدق والشرف المهني والإنساني التي كانت تفوح منها، رغم أن تلك المحاورات والمساجلات كانت تجري بين أطراف تحكمها تناقضات ومصالح كانت وقتها مستعصية تقريبا..

فقد عرفت الصحافة العراقية بشقيها الكوردي والعربي مساجلات صحفية في غاية الروعة والكمال من حيث الأسلوب والصياغة اللغوية والجدية في المناقشة، إذ امتازت أغلب تلك المساجلات الصحفية بالرزانة في الكتابة والانضباط في رد الفعل، حدث مرات أن تخللتها تشنجات واختراقات رخيصة، كانت تصدر دائما من تلك القوى والأطراف التي تستشعر قلة حيلتها وضعف حجتها في مواجهتها للآخر، وتحس بعجزها عن التناغم مع متطلبات التغيير، وهي تقف في عتمة التاريخ، في النهاية الخلفية لمسرحه،

على حافة المغادرة. لكنها مع ذلك ظلت تتشبث بالدرجة الدنيا من حدود التقاليد والأدب في المساجلة والتحاور في اللغة والخطاب.

عام 1960 سجلت الصحافة في العراق صفحة رائعة في أدب الحوار، كان الحوار يدور سجالا بين ثلاثة من كبار القادة الحزبيين والمثقفين العراقيين، الأستاذ جلال الطالباني (بيروت) وكان يمثل اليسار في حركة التحرر الكوردية، والمرحومان الأستاذان عبدالرزاق محي الدين، وهو من المثقفين العرب، ومسعود محمد (هوشيار)، على صفحات جرائد الثورة والحرية وخةبات (النضال)، حول قضايا سياسية كانت وقتها ساخنة: حقوق الشعب الكوردي ودور الاتجاه اليساري في حركة التحرر الكوردية. ورغم سخونة المواضيع إلا أن الأساتذة الثلاثة الكبار كانوا بمستوى القضايا التي اختلفوا حولها، وقدموا للمثقفين والسياسيين درسا رفيعا في قواعد وأصول أدب الحوار، أسترجعه الآن بمحبة ، رغم أني كنت يومها طالبا في الأول متوسط، وقد جمعت تلك الحوارات فيما بعد في كتاب حمل اسم (من أجل الإنسان في العراق).

بعد ثورة 14/تموز/1958 صدرت في ظل مناخ الحرية السياسية الجديدة، كثرة من الصحف والمجلات مثلت اتجاهات سياسية وفكرية مختلفة، كان الصراع، في تلك الأيام، محتدما بقوة بين الاتجاه اليساري والديمقراطي العراقي والاتجاه القومي البعثي ومعهم غلاة الرجعيين، وكان الجدل والسجال يملأ صفحات الصحف التي كانت متخندقة في مواقعها..صحف (اتحاد الشعب) والإنسانية وصوت الأحرار وخةبات بوجهها اليساري الديمقراطي من جهة، وجرائد ومجلات الفجر الجديد والثورة والوادي والجمهورية ذوات الاتجاه الشوفيني اليمني المتعصب. ونظرة سريعة إلى لغة المتحاورين تكشف نوع الخطاب، وطبيعة القوى التي يمثلها، وطريقة كل منها في التفكير والكتابة، فبينما كانت لغة الفئة الأولى تتوفر على درجة عالية من المنطق والحجة والصراحة والمسئولية والجمال واحترام الحقيقة.. كانت لغة الفئة الثانية تعتمد على تأجيج المشاعر، واختلاق الأكاذيب، ونشر الأوهام، ودغدغة الطبقات السفلى من الوعي المجتمعي كالعشائرية، في صياغة خطابها الإعلامي، إلى درجة دفعت ببعض المثقفين إلى إطلاق أسم (الفجر العتيق) على مجلة (الفجر الجديد)، والدرس المهم الذي يمكن استخلاصه من تلك التجربة في هذه اللحظة، هو أن خةبات واتحاد

الشعب وشقيقاتها من منابر الإعلام الديمقراطي واليساري والإنساني واصلت مسيرتها باتجاه المستقبل، رغم العنت والقهر والقمع، في حين ذهبت الوادي والفجر الجديد وخطابها الإعلامي العاطفي، إلى خارج دائرة الذاكرة التاريخية غير مأسوف عليها.

أروع وربما أطول مساجلة سياسية في مدونة الصحافة العراقية، وهي مساجلة حية ما تزال في ذاكراتنا جميعا، كانت تلك التي جرت بين جريدة التآخي الناطقة باسم الحزب الديمقراطي الكوردستاني وثورة أيلول الكبرى 1961–1974، وجريدة الثورة لسان حال حزب البعث العربي الاشتراكي والحكومة العراقية آنذاك، وامتدت بين الأعوام 1971– 1974 وكانت تحمل عنوانين مختلفين (في سبيل السلم والوحدة الوطنية، في سبيل تطبيق اتفاقية آذار) في جريدة التآخي، و(لكي يصان السلام وتتعزز الوحدة الوطنية) لجريدة الثورة. وكانت تلك المساجلة قد أصبحت حديث الشارع، وبحكم كوني آنذاك مديرا في جريدة التآخي، كنت أتلقى عشرات المكالمات الهاتفية يطلب أصحابها فيها من إدارة الجريدة نسخا إضافية بعد نفاد المطروح في السوق منها، علما أن جريدة التآخي كانت تطبع بخمسة وعشرين ألف نسخة يوميا، تتضاعف في أيام المساجلة بطبعات أخرى. وبالرغم من القضايا الحساسة جدا التي كان الحوار يتمحور عليها، لم تخرج التآخي ولا الثورة عن الإطار العام للموضوعية والآداب السياسية والاجتماعية العامة في صياغة خطابهما الإعلامي، مع أن تلك المساجلة كانت في حقيقتها نوعا من حرب كلامية بين نهجين سياسيين يقعان على طرفي نقيض، ومن منطلق قوميتين مختلفتين هما الكورد والعرب وحزبين متصارعين هما الديمقراطي الكوردستاني والبعث العربي الاشتراكي، فقد كتبت جريدة التآخي في أول حلقة من ردها على جريدة الثورة في عددها المرقم 1170 في 13/ تشرين الثاني 1971، كتبت تحت عنوان (في سبيل السلم والوحدة الوطنية، في سبيل تطبيق اتفاقية آذار) "إننا نحاول أن نأخذ الأمور بنفس موضوعي وبأسلوب هادئ كما فعلت الزميلة الثورة، ونريد شرح وجهة نظرنا للرأي العام، ورائدنا هو فقط توفير الحقيقة والصراحة والوضوح للتوصل إلى تثبيت دعائم الحل السلمي الديمقراطي للقضية الكوردية ضمن الجمهورية العراقية".

شهدت ساحة الصحافة الكوردستانية في الفترة الأخيرة ظاهرة انحدار الخطاب الصحفي نحو درك اللا مسؤولية، والخروج عن ميثاق الشرف ومبادئ قانون العمل الصحفي، الذي أرسى أسسا عصرية ومتقدمة للعمل الصحفي، والتردي في الإساءة المتعمدة والتجريح ونبش الحياة الشخصية والمساس بالخصوصيات، وغيرها من المحرمات بالبداهة التي لا يليق بأي مؤسسة إعلامية أن تقترب منها، لأنها لا ولن تتلاءم مع العمل الصحفي والقوانين الوضعية والمعايير والآداب المجتمعية، الأمر الذي أجبرنا على التوقف عندها، فهي ظاهرة جديدة وغريبة على تقاليد الحوار والمخاطبة التي أورثنا إياها روادنا وأساتذتنا الإعلاميون الأوائل، وشاذة في مدونة وتاريخ الصحافة الكوردية. إن الصحافة رسالة ومبدأ ووسيلة لإيصال الأخبار والآراء، ما يعني أنها خطاب عام موجه إلى الناس، لذا يتعين على أي خطاب ينشر فيها أن يتجنب الإساءة إلى الذوق العام، وأن يلتزم بمواثيق الشرف المهنية. إن النقابة بعد دراسة مستفيضة لهذه الظاهرة السلبية جدا توصلت إلى قناعة بالحاجة إلى إدانة هذه الظاهرة ومطالبة هؤلاء المسيئين بالتوقف، وإلا سنضطر إلى تطبيق القانون والنظام الداخلي، وذلك لغرض المحافظة على تقاليد العمل الصحفي الملتزم بالقانون وميثاق شرف العمل المهني، خدمة لمجتمعنا الكوردستاني، ورسالة الصحافة الحرة، وللمحافظة على سمعة ومكانة شريحة الصحفيين وهم كثر، من الإساءة إليهم، وتشويه صورتهم، بفعل تصرفات أنفار قليلة ربما يتعمدون الإساءة. والآن..

هل بوسع هذه الالتفاتة السريعة إلى تجارب صحافتنا السابقة في المساجلة والحوار أن تحمل إلى الزملاء والمؤسسات الإعلامية، رسالة ما، ومغزى مستقبلي محدد..؟

ربما تصلح أن تكون أرضية للبحث عن تقاليد جديدة للحوار.. تمس الحاجة إليها الآن أكثر من أي وقت مضى..

صحافة التحريض في العراق
غياب الأفق الوطني والإنساني

نص الورقة التي شارك بها الزميل النقيب، ورئيس تحرير مجلة "الصحفي" في أعمال مؤتمر اسطنبول 15-16/1009 حول صحافة التحريض في العراق، الذي نظّمه معهد السلام الأمريكي

سيكون لافتا وخصوصيا أن يشتغل التحريض في الصحافة العراقية في مجالات لا تخدم مستقبل البلاد، ولا تدفع بالناس إلى الاصطفاف دفاعا عن أنفسهم، ومصالحهم، واحتياجاتهم..

تلك هي واحدة من مفردات التجربة العراقية.

ستعمل هذه الورقة السريعة على تقديم مخطط أولي لصحافة التحريض: يتضمن القسم الأول منها تصنيفا مبدئيا لصحافة التحريض في العراق.. أما القسم الثاني فيتضمن كشف بعض آليات الاشتغال في تلك الصحافة.

ولعله من نافل الكلام القول أن تلك الصحافة ارتبطت، عبر أكثر من قرن، بالدعوة إلى التغيير، وهي كانت في الغالب صحافة معارضة للأنظمة السابقة.. كانت في معظمها حتى أوائل ثمانينات القرن الماضي ذات طابع راديكالي، يساري، ثوري، تقدمي..

لكن تحولا جذريا أصاب طابع وهوية ودور هذه الصحافة منذ ظهور الراديكالية الإسلاموية.. والحركات التي انضوت تحتها.. وهيمنتها على العديد من المنابر الإعلامية والصحافية.. وحدد لها دورا جديدا مختلفا..

إن تجربة هذه الصحافة في العراق تنطوي على خبرات غنية جدا سنسعى عبر هذه الورقة السريعة إلى تأشيرها من الناحية المبدئية..

" صدمة التغيير.."

التغيير بأسلوب الصدمة الذي طبقته الإدارة الأميركية في العراق، والذي نقل المجتمع العراقي الذي كان يعيش تحت وطأة نظام حكم دكتاتوري، مستبد، لا شبيه

لـه ربمـا في التـاريخ الإنسـاني برمتـه، إلى أفـق مـن الحريـات اللامحـدودة، وإلى تغييـب مؤسسات الدولة، في مجتمع كان للدولة وجود وتأثير ورأي وهيمنة في أدق تفصيلات حياته، وكانت صورة رئيس النظام تملأ واجهات الطرق في المدن، وجدران الغرف في البيوت مثل إله شرير يخشونه أكثر مما يحبونه، باختصار كانت السلطة تنتشر مثل ذرات الهواء في كل مكان..

الفراغ الذي نتج عن تغييب مؤسسات الدولة، خاصة تلك المختصة بالأمن، كان حالة من الفوضى.. كل القوى والأفكار والرغبات التي كانت تعتمل وتنتشر خفية تحت الأرض طفت فجأة على السطح.. مزيج غريب ومخيف من الجماعات والأفكار والثقافات ظهرت فجأة هنا في شوارع المدن، ونشرت بضاعتها على الأرصفة.. كنت تشهد على ذات الرصيف باعة المخدرات والمجلات والأفلام الجنسية، وسماسرة العالم السفلي، إلى جانب مصفوفات من الكتب الدينية، تتجمع على مقربة منها مجموعات من الشباب ذوو السحنات الغريبة، بلحاهم المطلقة ودشاديشهم القصيرة، ويباس وقسوة الصحراء في وجوههم.

واللافتات.. لافتات غطت مساحات واسعة من فضاء المدن.. لافتات من أقصى اليمين إلى أقصي اليسار، وبعضها متجاوز إلى ما بعد اليسار واليمين، بأفكاره الشاذة والصادمة.. وكثير من تلك اللافتات كانت مفخخة، كانت تتضمن دعوات صريحة إلى القتل وتصفية الآخرين، وعلى مسارح الحياة العامة بدأت العمائم بالظهور، العمائم التي اختفت منذ ثلاثينات القرن الماضي، يوم غنت المرحومة صديقة الملاية أغنيتها المعروفة "لفندي"..

والذي يدور بين الناس من أحاديث وإشاعات كان يحمل في طياته فزعا أكبر..

باختصار، كان التغيير قد فتح على البلاد بوابة من بوابات الجحيم.. في هذه الأجواء المكهربة والمسمومة والملوثة، صدرت بتشجيع وتمويل مباشر من سلطات الاحتلال مئات الصحف ذات الوجه الكالح والرائحة النتنة.. زادت من تعقيدات المشهد، وسرعت لحظة انهيار التعايش الهش الذي ساد البلاد في الشهور الأولى التي أعقبت التغيير. وعلى جدران المدارس والدوائر بدأت تنتشر كتابات زفتية ركيكة وشائهة، تهدد بقطع الرؤوس، وتدعو الجميع إلى تلمس أعناقهم قبل مغادرة بيوتهم..

"صحافة جديدة.."

اختفت صحف النظام البائد، بينما استمرت صحف المعارضة بالصدور، البينة، المؤتمر، طريق الشعب، وغيرها الكثير من الصحف التي كانت تصدر في الخارج، ومعظمها كانت مجهولة تماما بالنسبة للمجتمع العراقي. لقد حملت تلك الصحف، مع استثناءات قليلة، صراعاتها وكراهياتها وتناقضاتها إلى الداخل، وبدأت تلك الصحف حملات التعبئة والتحريض للسيطرة على أكبر مساحة ممكنة من القراءة والتعرض والاهتمام من قبل الجمهور. كانت تلك الموجة الأولى. الموجة الثانية من الصحف ظهرت بعدها بفترة قصيرة، كانت تلك الصحف تعبر عن صوت المعارضة الجديدة للمشروع الأميركي في العراق.. حزمة من الصحف البعثية بعناوين جديدة، وصحف أخرى تعبر عن مصالح ووجهات شرائح دينية ومذهبية كانت تمول معظمها من جهات خارجية دولية، وتخدم مشروعها الخاص المعادي للمشروع الأميركي في العراق، (الاتجاه الآخر، البصائر مثلا) كانت تلك الصحف ذات الصوت المرتفع، تتغذى من ضعف سلطة الدولة، أو غيابها، وهيمنة الأحزاب، والكتل، والميليشيات على أنشطة الحياة اليومية المتعددة..

"ضد التغيير.."

لقد هيمنت ما تسمى بصحافة المقاومة والجهاد على مشهد صحافة التحريض في العراق، منذ منتصف العام 1004 ويمكن رسم صورة هذا المشهد على النحو التالي:

1. صحافة جاءت مع الاحتلال، وهي تحمل مشروعها الطائفي الذي يتمظهر بالوطنية، لكنه يمارس دورا تعبويا، يسعى إلى حشد أبناء طائفته، عن طريق استثارة مشاعر الخوف من الآخر الوطني، والإنساني، وهي غالبا ما تقوم بتوظيف الرموز الدينية لتحقيق هذا الغرض. وقد تطورت هذه الصحافة وتعددت وتنوعت بالتساوق مع التطورات والصراعات السياسية، وهي صحافة تحرض للدفاع عن مصالح طائفة ما، وتخدم مشروعها للهيمنة على مقدرات البلاد.. البينة مثلا.

1. صحافة ما تسمى بـ(المقاومة والجهاد)، وهي صحافة مكتوبة بمداد من الدخان والدم والرصاص، وهي تمثل تحالفا بين بقايا البعث، ومجموعات القاعدة، التي وجدت لها أرضا في بعض المناطق العراقية.. وهذه الصحافة تكتب وتحرض بنبرة عالية وصريحة، الاتجاه الآخر مثلا.

3. صحافة تحريضية تعنى بتشويه كل مايتصل بالآخر القومي، وهي في الغالب صحافة تنتحل الخطاب الوطني، بيد أنها تستخدم مفهوما للوطن هو اقرب ما يكون إلى المفهوم البعثي.. أي الوطن خاضعا لزعيم واحد وحزب واحد، ويلبي احتياجات المشروع القومي العربي، معظمها يعادي الفدرالية وبناء عراق جديد على أسس ديمقراطي تعددي فيدرالي، وهي تصدر في محافظات الموصل وكركوك وديالى، جريدة عراقيون والعربي مثلا..

4. صحافة اليسار.. المدى، طريق الشعب، وهي رغم تفوقها في التقنيات المهنية، والمستوى الرفيع لخطابها الإعلامي من وجهة ثقافية وعقلية.. ورغم النزعة الوطنية شديدة الوضوح فيها، إلا أنها تبقى صحافة نخب، وخطابها التحريضي يتجه إلى فضح وتعرية الأشكال التي يتلون بها أو يتخذها الإرهاب والفساد، وإشكال الانحراف عن جادة التقدم وهنالك صحف ومجلات إلى جانب صحف اليسار وتسطف معها من حيث المضمون الديمقراطي والمناداة بالاتحاد الاختياري بين الكورد والعرب على أساس الفيدرالية..

5. الصحافة الرسمية وشبه الرسمية.. جريدة الصباح مثلا.. كشفت أزمة الصحافي أحمد عبد الحسين الذي كتب تعليقا على عملية السطو على مصرف الزوية، والتهديدات التي تعرضت لها الجريدة، والمصير الذي آل إليه الزميل.. مقدار هشاشة وضعف هذه الصحافة، وعجزها عن توجيه النقد، أو التعرية، أو حتى التعليق وإبداء الرأي، في قضايا أكثر أشكال الإرهاب والفساد خطورة..

بلمحة عامة.. تتسم صحافة التحريض في العراق بخطاب طائفي، مناطقي، قومي متعصب، وأفق لا يتعدى مصالح الكتل والأحزاب الغالبة، أو مشروعات ما تسمى بـ(المقاومة الجهادية) الأكثر ضيقا وانغلاقا. وخطاب يحمل هكذا اشتراطات..يتعين أن يتوفر على درجة عالية من العنف والتحريض، يصل في الغالب حد إعلان حرب،

ويعتمد على تأجيج مشاعر الناس البدئية والبدائية، وإثارة الحماسة، ومخاطبة العواطف، ومداعبة وتحريك طبقات الوعي الدنيا لدى أفراد المجتمع، موظفا الرموز الدينية، والميثولوجيات، واليوتوبيات الشعبية، والمخيلة الدينية، وكم هائل من الأوهام، خطاب يؤدي بالنتيجة إلى إضفاء وتغليب الطابع الطائفي على المجتمع العراقي مستثمرا لحظة الضعف والضياع التي أحس بها الإنسان العراقي نتيجة صدمة التغيير الدراماتيكي السريع الذي أفقده توازنه، ولو مؤقتا.. وإذا لم يكن في الوسع ابتلاع البلاد من قبل طائفة ما، أو كتلة سياسية معينة دفعة واحدة..فما المانع من تقطيع أوصالها لكي يسهل توزيعها على تلك الطوائف، ويصبح ابتلاعها ميسورا وممكنا..

إنه خطاب متخلف، يمثل ارتدادا كبيرا عن الخطاب الإعلامي القومي الذي يتجسد مثلا في نماذج من صحافة إقليم كوردستان، المنفتحة على العالم، ومشروعه يشد إلى الخلف، معلقا على المستقبل كل الخيبات والأخطاء والحماقات التاريخية التي اقترفتها القوى والزعامات السابقة، ساعيا إلى حرمانه –المستقبل– من الحق في الوجود..

"آلية اشتغال صحافة التحريض في العراق.."

لا تعدو صحافة التحريض في العراق، في أفضل حالاتها، كونها الوجه الناعم والرسمي لعملية طبخ كبيرة، تستهدف تهيئة المجتمع العراقي لقبول ما يطلق عليه الآن الواقع الجديد بصيغته وصبغته الطائفية التي تضمن للأحزاب والتكتلات الدينية استمرار السيطرة والهيمنة على مقدرات البلاد. والذي يجري في الواقع من استحواذ على وزارات ومؤسسات الدولة، وتقسيم، وتحويلها إلى ما يشبه الكونتونات، لا يقبل فيها إلا من كان محسوبا على هذا الحزب أو تلك الكتلة. لحظة تشتغل قاعدة تلك الصحف من أحزاب وكتل سياسية بهذه الروحية الضيقة.. أي خطاب في وسع هذه الصحافة أن تنتج..؟. إن للتحريض في هذه الصحافة مهمة واحدة: الدفاع عن مصالح تلك الكتلة وتلميع صورتها، وتبرير مواقفها، وتسويغ انحيازاتها من جهة، وتسويد وتشويه صورة الآخر. وهي صحافة خلقت من بين ما خلقت من نتائج، جغرافية

جديدة لسوق الصحافة تشكل ربما إرهاصا مبكرا بالمشروع الذي يمكن أن تحمله هذه الأحزاب لمستقبل البلد، حيث توزع كل صحيفة في منطقة نفوذها، ويحدث كثيرا أنها تمنع الصحف المنافسة من دخول تلك المنطقة.. هذا الذي يجري على ضفة الأحزاب الحاكمة والغالبة.. أما على الضفة الأخرى، ضفة الأحزاب والقوى التي أطاح بها التغيير، فقد لجأت إلى خطاب ما يسمى بالجهاد والمقاومة الصريح، صحافة وإعلام هذه الأحزاب والحركات تعبر بوضوح عن توجهاتها.. وهي تسعى من خلال عمليات القتل والاغتيال إلى خنق أي صوت مختلف حتى لو كان ينطلق من موقع الحكمة والعقل والمنطق، ومن داخل نفس الكتلة أو الطائفة أو المنطقة. هذه صحافة يحترف خطابها الدعوة إلى الكراهية، ونبذ الآخر، ومقته، وقتله إن أمكن.. ولكي يجد هذا الخطاب بما يتضمنه من كم هائل من الأوهام والافتراءات القبول المستسلم والأعمى في المجتمعات والمناطق التي يتوجه إليها، تمارس صحافته الإرهاب على القراء، وتمنع قدر الإمكان وصول أية صحيفة إلى مناطق نفوذها، وتجعل شراء هذه الصحافة (صحافتها)، وحملها علنا في السوق، والكتابة فيها دليل تزكية من أية علاقة بالاحتلال، وعلامة ولاء وتأييد لها.. إنها الوجه الإعلامي لعمليات التفجير والتصفيات والاغتيال.. وخطابها يجسدُ ثقافة الموت والخوف والدمار. وهي تاليا صحافة يغيب عنها الأفق الوطني أو الإنساني.

ولكي لا تبدو الصورة على درجة متطرفة من القتامة، فإن التوصيفات في هذه الورقة تمثل تخوم حالات صحافة التحريض في العراق، أو شكلها المتطرف. ثمة بالتأكيد درجات وسطى أو بينية من صحافة التحريض، تتدرج ضمن الاتجاه الواحد.. لكنها تظل جميعا تشتغل ضمن نفس المنطقة، وعلى ذات الأفق..

فرهاد عوني
نقيب صحفيي كوردستان/ العراق
أربيل 1009/9/10

في الموت التراجيدي للفنان محمد عارف
رفقا بالإنسان في بلادي..

في التاسع عشر من شهر تشرين الأول أفتتح السيد نيجيرفان بارزاني رئيس حكومة إقليم كوردستان (الكابينة الخامسة) معمل أواميديكا لصناعة الأدوية في العاصمة أربيل بهدف: "التأكد من نوعية الأدوية قبل تسويقها على المستشفيات" بحسب رئيس المشروع الدكتور بهرام. وفي كلمته أشار السيد نيجيرفان بارزاني:"أهمية هذا المعمل تتمثل في توفير قسم من احتياجات الإقليم من الأدوية محليا وتقليل الاعتماد على الاستيراد والمساعدات الدولية والطبية واصفا المعمل كإنجاز رائع من أعمال حكومة إقليم كوردستان للاعتماد الذاتي".

.....

منذ ما يقارب ثمان سنوات أصبحت صديقا للأدوية وللصيدليات داخل كوردستان وخارجها نتيجة ما ألم بي من أمراض عافاكم الله، وخلال هذه الفترة مرت بي حوادث وحالات موجعة:

قبل شهور قمت صحبة ابني الذي يعمل طبيا بزيارة قسم الأنف والأذن والحنجرة في مستشفى رزكاري وتطلبت حالة أذني سحب قطرات من الماء منها ومن ثم معالجة الالتهاب الحاصل فيها، وبعد المعاينة من قبل الطبيب المعالج حولني إلى جهاز السحب الماء من الأذن الذي لسبب ما أبى أن يعمل، تحولنا إلى جهاز آخر في غرفة ملحقة لكن هذا أيضا صم أذنه عن سماع نداء الألم الإنساني، واستغاثة المعالجة، وتسبب كذلك في إحراج الطبيب والمعاون الطبي. ذهبنا إلى جهاز ثالث وتبين أن هذا الأخير قد أعلن التمرد تضامنا مع رفاقه. وعندما سألت، وأنا تحت تأثير الدهشة والاستغراب عن الأسباب، قال أحدهم والحرج باد على وجهه (يتعين تسجيل شكوى ضد مجهول... والعياذ بالله).

.....

تعرفت على الفنان الكوردي الكبير محمد عارف الذي سجل في أعماله جمال طبيعة كوردستان، وأنشد عبر ألوانه لشجاعة أبنائها، ونضالهم من أجل قضاياهم القومية

والإنسانية، والتي عرضت في أشهر صالات العرض في كوردستان، وبغداد والكثير من دول العالم. تعرفت عليه في خريف عام 1971 عندما كنت مديرا لإدارة جريدة التآخي في بغداد، عن طريق الشهير دارا توفيق، الذي أقنعه برفد التآخي بمقالاته الفنية المعززة بمصورات لوحات عالمية. بعد الانتفاضة عاودنا العمل معا مرة أخرى، وترسخت صداقتنا. ولن أنس قط لوحته الرائعة (عائد إلى كوردستان) التي كان أهداها لي أوائل عام 1974 بمناسبة زواجي، والتي ذهبت مع بقية أثاثي البيتية ومكتبتي وأرشيفي وألبومات صوري في بغداد، ضحية سياسة البعث، عقب التحاقي بالثورة في كوردستان عام 1974. تألمت طبعا كثيرا لفقد ممتلكاتي، ولكن الذي ألمني أكثر وأكثر كان ضياع لوحة (عائد إلى كوردستان) للصديق الفنان محمد عارف، ولقد عوضت تلك الخسارة فيما بعد بصورة فوتوغرافية ملونة لها، أعلقها الآن على أحدى واجهات مكتبتي. وهنا أستميح القارئ عذرا في التطاول قليلا على وقته، بيد أني أحرص على تسجيل هذه الملاحظات وفاء للفنان الراحل.

"شتاء اللون الواحد.."

ربما تعبرنا لحظة حزن عندما نرى حادثة مؤسفة أو عندما نسمع قصة تنبض بألم ما.. ولكن عندما يطلع المرء على تراجيديا موت فنان كبير بسبب الإهمال في غرفة الإنعاش، في قسم العناية المركزة، وفي مستشفى حكومي عام (مستشفى الجمهوري).. ماذا بوسعه أن يفعل، أي حزن، وأي كآبة، وأي إحساس بفجيعة الفقد، وألم الخسران الذي لا يعوض..؟!! الفنان الذي احتفت بريشته الألوان، وأودعته الشمس أسرارها، واستسلمت لغواياته البحار والغابات والجبال والرياح والسحب والأمطار، النبي الذي بشر بالجمال والمحبة.. من أسلمه هكذا، في لحظة غباء، وتجرد من المسئولية، إلى رماد الموت، وزمهرير اللون الواحد..؟!! أليس في الوسع عد ذلك نوعا من قتل..؟!. في المقال الذي نشرته جريدة بارزان في العدد (138) في 1009/10/15 الذي كتبه أبن الراحل (ئالان) أصبت بالذهول، وأنا أتقلب بين سطوره من فرط الألم، للتفاصيل الموجعة لذلك الموت .. وفي مسعى مني لتخفيف وقع المقالة، تخيلت نفسي أشهد فيلما تدور أحداثه في واحد من كونتونات المجانين، لا يحكم تصرفات أفراده أي منطق

عقلي أو إنساني وتنعدم فيه المعايير والمسئوليات، وتعمه الفوضى.. بيد أن اختلاق حالة من الوهم لا تجدي.. وإن هذه ليست "قصة موت معلن".. إنه موت (أو قتل غير متعمد) لفنان كوردي كبير، وهي تحتاج إلى وقفة تأمل وتفكر وتحقيق، وتحديد للمسئوليات، ثم البحث عن بدائل.

الذين تسببوا في موت محمد عارف ويتسببون يوميا في موت العشرات من بني آدم نتيجة إهمالهم ولا مبالاتهم لا ينفع معهم افتتاح معمل للأدوية وجلب آخر مبتكرات الأجهزة الطبية الحديثة ما لم تسبقها عملية تغليب إرادة الخير لديهم، وتنمية الشعور بالمسئولية، والمشاركة الوجدانية والإنسانية، واستثارة وتحريض حسهم الوطني والقومي. إن إطلاق الشعارات الرنانة وتعليق اللافتات السياسية من قبل هذه النقابة أو تلك لم تفعل شيئا في إنقاذ حياة فنان كوردي كرس حياته من أجل تجميل وتحبيب صورة الإنسان في بلاده. إن المرء ليشعر بالخجل، وبمقدار الهدر والتضييع لإمكانيات بلاده عندما يرى ثلاثة أجهزة مختصة بعمل طبي معين وداخل قسم واحد لا تعمل جميعها. كيف يقبل وزير الصحة على نفسه أن يحدث كل هذا في المستشفيات الحكومية من غير أن يحرك ساكنا..؟ لماذا لا يقوم بزيارة المديريات العامة في وزارته وتحفيز المدراء العامين على زيارة المستشفيات والتأكد من سلامة وصحة سير العمل في ردهاتها وأقسامها وأجنحتها. بدلا من إلقاء المحاضرات السياسية، والحرص على التعيين حسب سياقات المحاصصة بدل الكفاءة.

إن حياة الناس يا سادة تصان بمقدار معرفة قيمة الحياة الإنسانية، والتي أصبحت معدومة لدينا كما يبدو. وإلا كيف يقبل المسؤولون في بلادي ومنهم وزير الصحة والمدراء العاملون ما يحصل في أقسام الطوارئ في مستشفيات العاصمة أربيل.. عندما تدخل تلك الأقسام مرغما تعرف هزالة وتفاهة الحياة البشرية هناك، فهي لا تعادل مبلغ أجرة فحص في عيادة أي طبيب الخاصة.. وإلا كيف يسمح لمجموعة من الأطباء بمغادرة أماكن عملهم في المستشفيات قبل الساعة الثانية عشرة ظهرا للذهاب إلى عيادتهم الخاصة (مع احترامي الزائد للأطباء الذين يعملون ليل نهار أثناء واجبهم في خدمة المواطنين).

من منطلق إنساني وقومي ووطني، أضم صوتي إلى صوت (ئالان عارف) مطالبا بالتحقيق في موت الفنان محمد عارف، لئلا تتكرر مثل هذه الحالات مع غيره، وأن لا نكتفي بترديد (إنا لله وإنا إليه راجعون). إن لكل شيء سببا، والبحث عن السبب ليس كفرا، والسبب هنا يكمن فينا، ولن يعالج ما لم نتغير نحن أطباء وصيادلة وصحفيون وتجار وموظفو الدولة وسواق السيارات وجميع عباد الله في بلادي وفي مقدمتهم القادة من سياسيي كوردستان، ونبدأ بمحاسبة الذات عندما نضع رؤوسنا فوق المخدة ليلا قبل أن ننام. ومن غير محاسبة الذات، وتنمية الشعور بالمسئولية وجدانيا ومهنيا، لا نستطيع المحافظة على حياة الناس في بلادنا مهما كثرت شركات صنع الأدوية وارتفعت عمارات الأطباء المخصصة لعيادتهم، ومهما بالغنا في تجميل واجهات محلات الصيادلة.. (والله على ما أقول شهيد).

الأصدقاء في الكابينة السادسة.. إليكم مع المحبة

نشرت جريدة خه بات/ العدد (1055) في 1001/11/7 موضوعا لي بعنوان (لا أنام حتى ينام دجلة) ولأسباب كثيرة أجدها تستدعي قراءته، قررت إعادة نشره كاملا..

"صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر هذا العام كتاب جديد بعنوان (سعيد قزاز ودوره في سياسة العراق حتى عام 1959) لمؤلفه (عبدالرحمن البياتي). كتب المؤرخ والباحث الكبير د. كمال مظهر مقدمة الكتاب بعنوان (سعيد قزاز أمام محكمة التأريخ) ومن جهة أخرى نشرت جريدة (الزمان) اللندنية في شهر تشرين الأول الماضي موضوعاً في أحدى عشرة حلقة بعنوان (لمحات عن سعيد قزاز) للكاتب (زهير كاظم عبود) الذي استعان بعدة مصادر، وأجرى عدة مقابلات مع شخصيات سياسية واجتماعية لإغناء موضوعه الذي يعتبر من المواضيع المثيرة التي دأبت جريدة (الزمان) منذ شهور على نشرها كحلقات عن تأريخ العراق المعاصر.

ومن بين الشخصيات التي استعان بهم زهير كاظم عبود في إعداد موضوعه (لمحات عن سعيد قزاز) كان الأستاذ المحامي (عبدالقادر الدبوني) الذي وصف للكاتب لقاءه الأخير مع سعيد قزاز ليلة إعدامه حيث جرى بينهما في باحة السجن حديث نقل الدبوني إلينا جزءا منه..

لمع في خاطري رغم الشجون المغرقة، كلاما كان القزاز قد قاله ليلة 19/آذار، 1954.. عندما كانت بغداد مؤرقة وهي تنتظر نهاية أسوأ وآخر ليلة عاشتها، في مواجهة واحد من أخطر فيضانات نهر دجلة، وكان الغرق يتهددها في كل لحظة. كان سعيد قزاز آنذاك وزيراً للداخلية في حكومة فاضل الجمالي، وفي مواجهة تلك الأزمة..كان ثمة خياران.. أحدهما يدعو إلى إنقاذ الأهالي بإخلاء جانب الرصافة من السكان، وكسر السدة كيما ينخفض منسوب النهر. وثانيهما وكان الأصعب في تلك اللحظة، ومثل تحديا واختبارا لحدود وشجاعة الإرادة البشرية.. عدم إخلاء الرصافة وبذل أقصى الجهود وتسخير كافة الإمكانات البشرية والفنية من أجل إنقاذ بغداد، وكان صاحب هذا الخيار، سعيد قزاز، سعيد قزاز ما غيره، يومها قال جملته المعروفة..(لا أنام حتى ينام دجلة) التي تحولت إلى عنوان وشعار لحملة الحشد

والتحشيد البشري والفني لإنقاذ العاصمة.. عن طريق تقوية ودعم السدود على جانبي النهر لاستيعاب موجة الفيضان العالية القادمة، كي تمر بسلام..

يقول الدبوني: تذكرت هذه الجملة وأنا أودع سعيد قزاز الوداع الأخير.. قلت له.. كفاك مجدا أنك كنت صاحب تلك المقولة الرائعة (لا أنام حتى دجلة ينام) التي جسدت وستجسد إلى الأبد، حدود الإحساس بالمسئولية الوظيفية والوطنية والإنسانية".

انتهى النص.

لست بصدد تعداد مناقب سعيد قزاز الذي انتقل إلى العالم الآخر من 41 عاماً وإنما أردت تذكير وزرائنا ومدرائنا العامين وأصحاب الدرجات الوظيفية الخاصة ورؤساء الأقسام ومن في يدهم الأمر والنهي في تمشية أمور الناس ومعاملاتهم اليومية. أوجه كلامي إليهم كأصدقاء.. من منا لا ينام حتى يطمئن على أحوال الناس؟!. من منا لا ينام حتى ينام وطنه؟ من منا لا يترك وزارته ودائرته ومكان عمله حتى ينهي معاناة المراجعين الذين يقضون ساعات طوال في مراجعة هذه الدائرة أو تلك من أجل الحصول على مجرد توقيع على أوراق معاملتهم التي قد يستغرق انجازها أياماً إن لم نقل أسابيع؟! ومن منا يتعامل مع ممتلكات الحكومة أو يحرص عليها كما يتعامل مع ممتلكاته الشخصية؟!.

ظل المرحوم سعيد قزاز متربعا كرسي وزارة الداخلية إلى يوم 14/تموز/1958 مجتازا ومتسلقا درجات وظيفية عديدة ، برهن فيها على جدارته المهنية والوطنية والإنسانية إلى أن نصب وزيرا للداخلية عن طريق الاستحقاق الوظيفي، والكفاءة الشخصية.

ورسالتي هنا موجهة إلى الأستاذ د. برهم صالح رئيس حكومة إقليم كوردستان الذي تسلم منذ فترة وجيزة رئاسة الكابينة السادسة لحكومة التجربة الكوردستانية التي نعيش حلوها ومرها معا وسط اشتداد حركة الرمال المتحركة على أطراف تجربتنا مما يقتضي السهر على راحة المواطن والتقرب إليه لإيقاظ الشعور لديه بأهمية كونه فردا منتميا إلى وطن يحتاجه، بل هو بأمس الحاجة إليه، لترسيخ تجربته وتحصينها في مواجهة أعاصير التآمر الإقليمي، وتحصينه ضد فعل الفايروسات

الداخلية التي تنخر في جسد الإقليم، وتنتج ما لا نهاية له من أشكال الفساد والإحباط والضجر والتذمر.

بناء الطرقات الحديثة، وارتفاع أبنية ومساحات (المولات) التي تبهر المشاهد، والإكثار من نصب أضوية (الترفيك لايت) لتنظيم حركة السير وانسياب السيارات في شوارعنا المزدحمة، والاستكشافات الجديدة لمناطق النفط الخام تساهم كلها في إيجاد اقتصاد متين بيد أنه كما كتب أحدهم يوما في جريدة التآخي تموز/1971 إثر تأميم النفط العراقي (إن التأميم مع روعته في تحرير اقتصادنا الوطني ولكنه بماذا ينفع إذا لم يشعر المواطن العراقي بالزهو حين ينام مطمئنا ويأكل مطمئنا ويفكر مطمئنا).

في زمننا هذا يرى المواطن روعة بعض الإنجازات التي تبهر العيون ولكن يشعر بالانكسار حينما تصادفه في مسيرة حياته اليومية أشياء غريبة وعجيبة تخدش كرامته ربما، عقبات تصدمه عند مراجعة دوائر الدولة، أشكال من البيروقراطيات المنحطة والمتخلفة والجاهلة والغبية في كثير من الأحيان، تزخر بها دوائر الدولة ابتداء بدائرة الاستعلامات وانتهاء بوقوفه أمام منضدة الموظف المعني الذي لا ينظر إلى المواطن الواقف أمامه نظرة ودية. ولأن المغلوب يقلد الغالب، فالمسألة تبدأ من فوق، فهذا الموظف يحلم هو بمعاملة إنسانية عندما يواجه مديره العام والمدير العام يمر بحالة مماثلة عندما يطرق باب السيد الوزير الذي كان يحلم بالانتقام من بني قومه نتيجة ما عاناه يوما قبل الولوج إلى دائرة المحظوظين بفعل قرابته وانسجامه وتفانيه عند هذا وذاك، وإن المرء ليشعر بالخجل عندما يمارس الكذب موظفون في مكاتب الوزراء وسكرتارياتهم وسكرتارية مدرائهم العامين "السيد الفلاني لديه اجتماع هام وليس عنده الوقت الكافي لمقابلة أحد" نافيا مقولة ماركس (بأن العظماء لا يشكون من قلة الوقت) مستندا في ذلك إلى تنظيم أوقات دوامه على مدار الساعة وأجزاء الساعة، لا أن يقتله بتفاهات الأمور التي لا تجلب السعادة للمواطن المغلوب على أمره عندما يعود بأدراجه من حيث أتى بخفي حنين.

إن دوائر الدولة يا سيادة رئيس الوزراء تعيش حالة متطرفة من اليأس والبؤس، من تنظيم ملاكاتها وسير أعمالها واستقبال المراجعين فيها، وتمشية معاملات المغمورين منهم وفق سياقات أقل ما يقال فيها (إن لم يكن لك واسطة سواء كانت

حزبية، شخصية، عشائرية، مناطقية، مصلحية، ربحية) فإن أمورك تجابه بعشرات من العراقيل المصطنعة والحجج الكاذبة.

لا أنام حتى ينام دجلة..

أي اختزال لمعاني المسئولية والمشاركة الإنسانية في المصير والانتماء والمشاعر بين المواطن العادي والمسئول وهو يشغل مقعد وزير..

فيا دولة الرئيس..

في الجسد الطري لكوردستان الجديدة الجميلة تنخر مافيات كثيرة..

عليك بهدم الأبراج العاجية، والحد من الفساد والضحك على الذقون والتبذير الذي تلتهم نيرانه أساسات المجتمع الكوردستاني، ويضع تجربتها كلها في مهب الريح..

أكتب شهادتي وأجري على الله

(1)

في أواخر أربعينات القرن الماضي أجريت للمرحوم والدي عملية جراحية (الزائدة الدودية) في مستشفى المجيدية في بغداد (الجمهوري حاليا)، ولم تكن تلك العملية يومها سهلة كما هي الآن، كانت تتطلب العناية الكاملة قبل وأثناء وبعد العملية.

حدثنا الوالد رحمه الله عن كيفية اضطراره إلى ذلك فبينما كان يقوم بأعماله التجارية العادية مع أحد أصحاب الخانات المشهورين آنذاك في بغداد وهو المرحوم (عبد القادر الصرّاف)، باغته ألم مفاجيء، اتصل الأخير على الفور بشقيقه الدكتور (مردان علي)، وكان طبيبا في مستشفى المجيدية، حيث قام على جناح السرعة بترتيب حجز لوالدي في المستشفى، وأدخله فور وصوله صالة العمليات.

يقول الوالد:"بعد إجراء العملية نقلوني الى ردهة كبيرة تضم (15) سريرا وكانت تشرف على تلك الردهة إحدى الممرضات الإنكليزيات، كانت تدعى (هيلي) وكانت تجيد الكلام بالعربية الفصحى بطلاقة، مساء اليوم الثالث بعد العملية، وكانت الساعة قد تجاوزت السابعة بعشر دقائق فقط حضرت الـ(سستر) وكانت مشهورة بهذا اللقب، لتفتيش الردهة من ناحية النظافة أرضا وشراشف وأسرة أولا، ثم تقوم بمعاينة الطبلات المثبتة على أسرة المرضى، سألتني عن سبب عدم زرق إبرة البنسلين في السابعة مساءا وكان جوابي: لا أعرف. تلفتت في أنحاء الردهة، ونادت على احد المضمدين الموجودين، وكان هو المسئول عن زرق الإبر في تلك الليلة، كما بدا من حديثها معه، قالت له بالحرف الواحد: "متى تتعلمون احترام النظام ومعالجة المرضى، مضى عشر دقائق على موعد زرق إبرة البنسلين لهذا المريض، ربما يتسبب إهمالكم بكارثة، إن عدم احترام المريض وهو على سرير المشفى يعني عدم احترامكم لحياة شعبكم ومستقبل بلدكم، لن نظل هنا الى ابد الآبدين، تعلموا احترام النظام والإنسان يا ملائكة الرحمة!.

(1)

(سيد علي الحجازي) كان خمسينات القرن الماضي مديرا عاما للشرطة، وكان يتمتع بنفوذ وسطوة غير عاديتين، وقد حاول يوما، وكان ثملا من كثرة الشرب، أن يقوم بانقلاب عسكري معتمدا على قوات الشرطة في العاصمة بغداد، والحادثة مشهورة ولسنا بصدد روايتها هنا، لكنها تضيء جانبا من شخصية هذا الرجل.

مساء إحدى الليالي وكان مساء الخميس على الجمعة كما أظن، ارتاد صاحبنا بملابس مدنية كازينو وبار (شريف وحداد) الواقعة على الجانب الأيمن من رأس جسر (حافظ القاضي) من جهة شارع الرشيد، وقد شرب عدة كؤوس من العرق البغدادي مع أصحابه وعندما انتهت السهرة اتجه صاحبنا الى سيارته التي كانت مركونة في مكان قريب، شغلها وبدلا من السير في الاتجاه الصحيح قاد سيارته في الاتجاه المعاكس، وبعد مسير عدة أمتار أوقفه شرطي المرور المناوب في تلك المنطقة، وطلب إجازة السوق منه. نظر الشرطي في دفتر الإجازة وجد اسم (علي الحجازي) فيها وعرف بأن المخالف هو مدير شرطته العام، وهو شرطي بخيط واحد، لكنه تمالك أعصابه، وحافظ على هدوئه وكأنه لم يعرف المخالف وقال له:

(اسمك يشبه اسم مدير الشرطة العامة) ولكن لن أسامحك فإنك تقود السيارة ثملا أولا ومخالف في السير ثانيا. في تلك اللحظة صار الحجازي عصبيا وقال للشرطي بحدة وبصوت عال: "أنا علي الحجازي مديرك العام يا غبي"، حينئذ أدى الشرطي تحية عسكرية له كواجب نظامي وقال بكل هدوء وأدب: تأمر سيدي ولكن أسجل عليك مخالفة احتراما للقانون الذي جعلني شرطيا وعلمني احترام النظام، النظام الذي لولاه لن استحق الراتب الذي أعيش من ورائه.

(3)

المرحوم (هادي رشيد الجاوشلي)، وهو من وجهاء أربيل وكان إداريا جيدا وملتزما بالقوانين إلى حد التطابق، بدأ حياته الوظيفية بمنصب مدير ناحية وأصبح في بداية الستينات في عهد الزعيم الراحل عبد الكريم قاسم مديرا عاما في الداخلية. في خمسينيات القرن الماضي وكان قائمقاما لقصبة (بنجوين) في محافظة السليمانية،

تقرر إقامة قنطرة على أحد نهيرات منطقة إدارته، وعهدت مسئولية التنفيذ إلى أحد المهندسين في الدائرة المختصة، اختار المهندس مكانا مناسبا لإقامة القنطرة من الناحية الهندسية، لكن المرحوم الجاوشلي اختار مكانا آخر، وفرض رأيه مستخدما موقعه الوظيفي، وقد تم بناء القنطرة كما أراد، وفي فصل الشتاء التالي، فصل الأمطار والثلوج، انهارت القنطرة. عندئذ كتب الجاوشلي كتابا الى الجهات المعنية أخبرهم بمعاقبته لنفسه وذلك بفرض غرامة مالية على راتبه دفعها كلها فعلا، وعندما استغرب منه أصدقاءه هذا الإجراء غير المعقول، أجاب المرحوم: إن لم احترم أنا القانون وأنا على رأس وحدة إدارية فكيف يحترمه المواطنون؟!.

(4)

في بداية عام 1971 كلفت بالعمل لمدة خمسة أشهر في سكرتارية إعمار الشمال وكانت هيئة مرتبطة بوزارة شؤون الشمال.كان المرحوم خسرو توفيق مديرا عاما لها، وهو من الكوادر الممتازة إداريا وماليا، ذا سمعة طيبة للغاية، عفيف اليد واللسان، ومحب لوطنه عن عقيدة وجدانية خالصة، وكانت تربطني به صلة قوية ومعرفة، وعندما باشرت في الدوام ، نسبني للعمل في غرفة حفظ الأضابير، وقد انزعجت كثيرا من هذا الإجراء، ولكن بعد مرور شهر واحد تعلمت من خلال متابعة حركة وحفظ الأضابير الشيء الكثير عن كافة شعب السكرتارية وملحقاتها، عندئذ أرسل في طلبي، وسألني عن عملي ومدى إلمامي به، قلت له: أشكرك لولا عملي في شعبة حفظ الأضابير لما تعلمت أسس العمل في السكرتارية. عندئذ قال لي مبتسما: يا صديقي في اليوم الأول أزعجك العمل في شعبة حفظ الأضابير والآن تعترف لولا عملك في شعبة حفظ الأضابير ما تعلمت أسس العمل في السكرتارية، هذا الأمر مبعث فرح كبير بالنسبة لي لأنك فهمت قصدي من وضعك هناك، حيث استطعت تعلم خبرة جديدة ستساعدك كثيرا في تنمية مهاراتك الإدارية. لنتذكر دائما بأن الأعمال الكبيرة تبدأ صغيرة، وخلق الكادر الإداري الجيد يبدأ من أصغر شعبة إدارية وأصغر خلية، ثم التدرج في إناطة المسئولية ، وفق منهج علمي مرسوم، وبعكسه نساهم في قراءة الفاتحة على مستقبلنا.. الأمثلة والحوادث الأربعة دونتها كما هي للتاريخ (والحليم تكفيه الإشارة).

ألسنا بحاجة الى وزارة للريف؟!

بداية انتصار ثورة اكتوبر العظمى عام 1917 أطلق قائد ومؤسس الدولة السوفياتية شعاره الخالد (كهربة البلاد+السوفيات= الاشتراكية) نحن هنا لسنا بصدد القسم الأول من المعادلة ألا وهي كهربة البلاد، لأنه لا يمكن التكهن بمعالجتها هنا إلا العالمون بخفايا نظرية (أديسون) الذي اخترع هذا السحر الجديد وجعل من البشرية تنعم بالنور والحياة، بل نأتي الى القسم الثاني من المعادلة وهي بناء السوفيات وتعنى بالأساس إعادة تنظيم الريف من الفوضى الاجتماعية والاقتصادية التي تعاني منها وجعلت من الفلاحين الروس اقنانا وعبيدا ولا يعيشون عصرهم حيث كان البؤس والشقاء وقلة الغلة الزراعية ورداءتها هي كانت الوجه الحقيقي للريف وللاقتصاد الزراعي ولكن وبعد تأسيس وتنظيم (الكولخوزات والسوفخوزات) والجمعيات التعاونية الزراعية ومد الطرق والكهرباء والماء الى أرياف بلاد السوفيات الواسعة تغيرت الحالة وأصبحت الزراعة المصدر الأساس للصناعة والاقتصاد (وهنا لسنا بصدد ذكر المشاكل التي أعقبت العقود الأخيرة للنظام الاشتراكي والتي أدت الى ما نراها اليوم) ولكن استطاعت إعادة تنظيم الريف على قاعدة بناء (السوفيات) الى تقدم هائل في كل بقعة من الريف السوفياتي وأذكر هنا قولا للاقتصادي السوفياتي الكبير (ليبرمان) صاحب نظرية (الحافز المادي) والذي أكد في بحوثه القيمة عن الاقتصاد الروسي قولا (إن الاقتصاد وتقدم البلاد وبناء الدولة الصناعية يبدأ من الريف أولا ولولا تحسين البنية الزراعية لا يمكن ومن المستحيل بناء دولة عصرية).

قضيت عشر سنوات موظفا في معمل تنقيح التبغ (دائرة انحصار التبغ) سابقا في مدينتي (كويه) وقد كنت أقضي ساعات الدوام الرسمي بين حسابات وأرقام بالات التبغ التي كانت تستلم من المزارعين في كوردستان سنويا وفي موسم الخريف بالإضافة الى كوني ابن تاجر للتبغ حيث كان الوالد أحد تجار التبغ الذين كان عددهم لا يتجاوز أصابع اليدين والذي جعلني مهتما بهذه الثروة القومية (سابقا) حيث كان عدد المزارعين المشتغلين بزراعة التبغ يصل الى 70٪ من مجموع مزارعي كوردستان وكان حاصل إنتاج التبغ يسد حاجة العراق بكاملها والتي كانت تجعل من الدولة العراقية

بعرض مقايضة مع عدد من الدول مع منتوجات تلك الدول من سلع ومواد مختلفة وأتذكر بأن ما كنا نستلمه من بالات التبغ ذات الخمسين كغم الى خمسين أو ستين ألف بالة سنويا علما أن كويسنجق كانت تأتي بالدرجة الثانية في إنتاج التبغ الشرقي والفيرجيني بعد محافظة السليمانية، ولكن ومنذ عام 1991 (عام انتصار الانتفاضة) لم يبق أثر لهذه الزراعة لا في كويسنجق ولا في السليمانية ورانيه وقلعه دزه وحلبجه وغيرها من المناطق، حيث أصبحت هذه المادة من المواد الفلكلورية والتي أصبحت في حكم الانقراض وأصبحت السكائر الأجنبية المستوردة هي المسيطرة وأخرجت التبغ الكوردستاني من معادلة اقتصاد الزراعة في كوردستان.

القنوات الإعلامية المرئية (التلفزيون) وعلى اختلاف أمزجة أصحابها السياسيين تنقل لنا في فترات مختلفة مشاهد من ريف كوردستان وما يعانيه الفلاحون من مشاكل وكأنها غير قابلة للحل من بؤس الخدمات (ماء، كهرباء، بذور، أسمدة، سلف زراعية، طريق مواصلات، إرشادات زراعية، .....الخ) وكأنهم يعيشون في مملكة المنسيين حيث تنخفض باستمرار أرقام عوائل وأفراد الباقين في الريف، حيث يهاجر الفلاح مضطرا الى ضواحي المدن الكبيرة ويصبح هو أيضا عالة على الاقتصاد وتحوله من منتج الى مستهلك وتغير نوعية السيكارة التي كان يدخنها من التبغ الكوردستاني الى الأشكال والأنواع العجيبة والغريبة من علب السكائر الأجنبية والتي تستورد بالعملة الصعبة، وعندما سئل أحد الفلاحين في أحد المشاهد التلفزيونية في قرية من القرى المتبقية في سفح جبل قنديل حول أسباب هجرة الفلاح الى المدن، وبهدوء طبيعي أجاب وهو يأخذ نفسا من سيكاره أخرجها من علبة سكائر أجنبية بقوله: (بدأنا بالهجرة عندما هجرتنا زراعة التبغ) وكان يقصد عندما بدأ بشرح مقولته الأسباب التي أدت الى هجرة زراعة التبغ والزراعة بصورة عامة والذي عزاها الى الأسباب التي جعلت من الريف مهجورا.

حالة من الحزن والكآبة تسيطر على جمالية ورومانسية الريف الكوردستاني ولا يمكن للفلاح مقاومة حرمانه من الخدمات والوسائل الحياتية الى أبد الدهر ويضطر الشيوخ منهم تحت ضغط الجيل الجديد أن يرنو ليلا الى أضواء مصابيح المدن ونهاره والى بهرجة ألوان وأصوات السيارات الجديدة وبروز العمارات والفيلات والمساكن التي

لا تخلو من مستلزمات الحياة في الوقت الذي يعاني هو أي الفلاح في الريف الكوردستاني من فقر في أكثر الوسائل الضرورية للحياة.

علينا هنا نحن مسؤولون ومواطنون وبالأخص المعنيين بمستقبل كوردستاني وشعبهما بدراسة:

- المعادلة التي بنى بها السوفيت أكبر دولة صناعية في حقب من التاريخ.
- بناء الدولة يبدأ من الريف أولا ولولا تحسين البيئة الزراعية لا يمكن ومن المستحيل بناء دولة عصرية.
- بدأنا بالهجرة عندما هجرنا زراعة التبغ.

دراسة تلك النظريات والأقوال التي تنبع من ضمير الفلاح الكوردستاني أمر في غاية من الأهمية لأن بناء الدولة لا يمر عبر استيراد السيارات الفارهة ولا يمر عبر علو طوابق العمارات ولا يمر عبر استيراد (الطماطة والكرفس واللبن والسكائر واللحوم والدجاج والرمان والعنب والبطيخ والرقي) من مناشئ غير معروفة حيث لا تخضع الى المراقبة وأجهزة السيطرة النوعية، علينا وعلى المسؤولين ومراكز الدراسات الاستراتيجية دراسة هذا الوضع المحزن والمستهلك والبدء بدراسة المخاطر التي تهدد الريف الكوردستاني والتي تهدد بدورها انقراض الزراعة والمنتوج الحيواني، ومن باب المعالجة أطرح فكرة تشكيل وزارة باسم وزارة الريف تختلف عن الوزارات الأخرى وبعض من الوزراء الآخرين من حيث الاهتمام بالجانب الاختصاصي (التكنوقراط) والقابلية الفكرية وحب الريف والريفيين أولا وثانيا وثالثا.... وعاشرا.

لكي لا يلدغ شعب كوردستان من ذات الجحر أكثر من مرتين

«سقوط النظام» مؤلف آخر للكاتب والصحفي المصري الكبير (محمد حسنين هيكل) صادر عن دار الشروق الطبعة الأولى 2003 بـ 605 صفحة، وطبع لحد الآن ثلاث مرات، آخرها عام 2008، يقول هيكل في التمهيد للسؤال محور الكتاب «لماذا كانت ثورة يوليو 1952 لازمة؟».

«لقد رجح عندي أن أبتعد لبعض الوقت عما يجري لنا ويجري حولنا وهي مهمة سهلة، وصعبة في آن واحد.

* سهلة لأن ما يجري يغري بفراقه، دون أسف عليه، فهو واقع بارد، مجرد من دفء حلم، أو كرامة مشروع، أو إلهام فكرة!

* وصعبة لأن ما يجري يحض على البقاء قريبا منه فهو صراع مصائر ومطالب مستقبل، وأزمة أمة تحاول أن تستجمع بقايا طموح وإرادة، وبقايا آمال ورؤى تذكرها بأن لها حقا دورا وموقعا في زمن عالمي جديد.

وعليه فإن هذه القراءة في التاريخ تتطلب استثارة اهتمام الباحثين عن الحقيقة في شؤون أمتهم وأحوالها وأوضاع أوطانهم وآمالها، وفي هذا اليوم وغدا وبعد غد، قد لا أجد بأسا أو بدا، من أن أعترف أن هذه القراءة للتاريخ موجهة بالدرجة الأولى إلى الشباب، شباب العمر، شباب العقل، وشباب الوعي، وشباب الشوق إلى الحق..»

وعن شركة الإبداع الفكري للنشر والتوزيع – الكويت صدرت موسوعة تحت عنوان (الأندلس، التاريخ المصدر بثلاث طبعات آخرها في تموز/2009 حيث يهدي مؤلفها (د. طارق محمد السويدان) الموسوعة..

* لكل قطرة دمع ذرفت حزنا على الأندلس الضائعة.

* ولكل المتلهفين لإعادة أمجادنا.

.....

حدثنا المرحوم (كاكه زياد غفوري) الشخصية الكوردية المعروفة عندما كانت تجمعهم مع عدد من أصدقائه المقربين في أوائل عام 1960 في ديوان وحديقة منزله تارة، وبيوت المقربين تارات أخرى، وفي مقدمتهم المرحوم والدي، وبكر الحاج محمد،

وعبدالحميد الحاج توفيق ومامند صالح آغا غفوري، وعبدالمجيد الحاج كاكه أمين وفتح الله كشتك، كان تجمعهم أمسيات وليال، وكان جلهم من حملة الأفكار القومية، وكان مصير ثورة 14 تموز عام 1958 وتداعياته على الكورد هاجسهم الأول، وبطبيعة الحال فقد كنت احضر مجالسهم عندما تكون (اللمة) في بيتنا الملاصق لمنزل كاكه زياد.

وفي واحدة من تلك الليالي، وكان الحكي يدور حول المشاكل التي تجابه الوضع السياسي في كركوك من اعتقالات واغتيالات وتضييق على النشاط السياسي الكوردستاني من قبل دائرة أمن واستخبارات الفرقة الثانية من الجيش العراقي، تحدث كاكه زياد بنبرة حزينة عن واقعة كان هو أحد شهودها قال:»بداية الخمسينات عندما كان المرحوم سعيد قزاز وزيرا للداخلية ابان العهد الملكي جمعني به لقاء في بيته مع عدد من الشخصيات الكوردية ذات الماضي النظيف، قال لنا العراق عبارة عن بحيرة رمال متحركة كثبانه الرملية تنقلها التيارات الهوائية شمالا وجنوبا، شرقا وغربا، ولا يوجد هنا للسياسة وجه واحد، هنالك ثوابت وهنالك متغيرات، وفي استطاعة الثوابت أن تقف بوجه المتغيرات، بيد أن الثوابت لا تأتي من فراغ وإنما تخلق وتبنى وتقام على أسس من دعامات قوية تعتمد على إرادة وعمل البشر أولا وأخيرا» واستطرد المرحوم كاكه زياد في نقل الحديث عن المرحوم قزاز «أنا مطلع على خفايا وأسرار السياسة في بلدي بسبب طبيعة عملي، فمنذ منتصف الثلاثينات هنالك اتجاه لتوطين العرب على الطرف الجنوبي والجنوب الغربي من مدينة كركوك، وهناك في الوقت الحاضر مشاريع لمجلس الإعمار وكل ما أرجوه تشجيع رؤساء العشائر في كوردستان، وحملهم على التفكير بتوطين عوائل فلاحية هناك، لأن الاقتصار على إرسال فلاحين من قومية واحدة سيخل بديموغرافية كركوك، ويترك تأثيرا سلبيا في المستقبل. إن كركوك وتوابعها وخاصة طرفيها الجنوبي والجنوب الغربي يسيل لهما لعاب الساسة من ذوي الأفكار القومية وكل ما أرجوه أن لا نضيع كركوك كما ضيعنا...».

.....

لم يقل لي أحد ذلك، رأيت بأم عيني، وسمعت بأذني ما قاله أياد جمال الدين رجل الدين المعمم ومن قيل عنه علمانيا نصا: «إذا قدر لي الفوز في الانتخابات (انتخابات 2010/3/7) سامحو الفدرالية من الدستور».

وما قاله القاضي وائل عبد اللطيف العلماني البصراوي أيضا «الأكراد يعملون لصالحهم فقط وليس لصالح العراق»، بله التطرق لتصريحات وخطابات وممارسات الأخوين نجيفي وصالح المطلك ومن على شاكلتهم وهم كثر.

.....

عزيزي القاريء

قلنا الكثير وسنظل نقول، طالبنا ببعض حقوقنا فقط وتنازلنا عن الكثير، ضحينا بالغالي والنفيس ولم نصل إلى قناعة في حدود ما هو مشروع سماويا ودنيويا من جانب «الاخوة» في الدين والشركاء في الوطن، وما هو غير مشروع..؟، ساهمنا بكل إمكانياتنا وإرادتنا في إسقاط أعتى نظام دموي في التاريخ، وكان قد مارس ضدنا أبشع وأقسى أنواع البربرية والغدر، وكنا عماد إعادة تأسيس الدولة العراقية بعد سقوطها في 2003، وفي سبيل ذلك نسينا وتجاهلنا ما كنا نحلم به وما ناضلنا طويلا من أجله، وكانت اللحظة مؤاتية لملامسته، لكن سحر بغداد خطفنا، والرغبة في رؤية العراق بسير على قدميه من جديد، شغلنا إلى حد ما عن التفكير في ترتيب البيت الكوردستاني وتثبيت حدوده وإزالة آثار عدوان الدولة العراقية عليه منذ تأسيسها بدءا بتغيير الواقع الجغرافي والديموغرافي القومي، مرورا بكوارث استعمال السلاح الكيماوي وضحايا الإعدامات وعمليات الأنفال سيئة الصيت، وانتهاء بما نسمعه اليوم من أياد جمال الدين والقاضي عبد اللطيف.

قلنا الكثير وسنظل نقول وقادتنا لا يسمعون أو لا يبالون أو يجاملون من أجل بناء عراق عظيم ثان، أو لعلهم لم يهتدوا إلى فك رموز المعادلات السياسية الإقليمية والدولية، والتعامل مع أصحاب القرار من خارج الحدود، وهنا ربما أعطيهم الحق في ذلك لأن قراءاتي ومتابعاتي منذ ما يقارب نصف قرن تثبت وتبرهن أن الدول الكبرى خاصة بريطانيا وأميركا لن يكونا بجانب الكورد أبدا وكانت مصالحهم تعلو على الدوام على أنهار معاناتنا التي طالما دفقت بالقهر والدم والدمع. من الخير لنا أن تكون

المبادرة بأيدينا مرة واحدة، لمرة واحدة فقط، وأن لا نرضخ لمشيئة حكام العراق وتحت أية أسباب أو ذرائع.

.....

كان باستطاعة مفاوضيي الكورد عام 1970 قبل توقيع اتفاقية 11 آذار عام 1970 رفض مبدأ الإحصاء في تقرير مصير مدينة كركوك والتمسك بكوردستانيتها ولم يستوعب بعضهم الفرق بين الكثرة الكوردية والأكثرية الكوردية إلتي نبه البارزاني الخالد إليها، لم يستوعبوا الفرق بين المفهومين كما حدثني الشهيد دارا توفيق يوما مستذكرا مراحل المفاوضات التي كانت جارية بين البعث وقيادة ثورة أيلول قبل توقيع اتفاقية 11 آذار عام 1970 وكانت اللدغة الأولى من عقارب العراق الكبار ونسينا.

عشية انهيار وسقوط النظام الفاشي كان باستطاعتنا ولو ليوم واحد تجاوز (المساحة المسموح بها) وقد كنا القوة الضاربة المسلحة والمنظمة الوحيدة في العراق مع جعلنا كوردستان مفتوحة للقوات الأميركية رغم المخاطر المتوقعة من ذلك القرار، في ذلك الوقت، الأمر الذي امتنعت الجارة تركيا عن فعله، كنا نستطيع أن نعمل الكثير الكثير ولم نفعل شيئا، وكانت اللدغة الثانية من حليفنا أمريكا.

وقد أخطأ الأعضاء الكورد في لجنة صياغة الدستور عام 2005 في الجمعية الوطنية العراقية وأخطأت القيادة الكوردستانية أيضا عندما استشيروا في صياغة المادة (140) ربما كانت بنود المادة صحيحة في حل إشكالات التداخل بين المحافظات في الوسط والجنوب ولكنها لم تكن في صالح كوردستانية كركوك وخانقين ومندلي وسنجار وبقية المناطق الكوردستانية المغتصبة الأخرى (فقد كنت ومعي البعض من الزملاء من أعضاء الجمعية الوطنية من التحالف الكوردستاني بين من لم نرفع أيادينا للموافقة على هذه المادة التي تدخل الشك باليقين في كوردستانية تلك المناطق).

وكانت اللدغة الثالثة من جانب القوى التي كانت مظلومة مثل الكورد من ذلك النظام.

مع هذا، وبعد كل ما قدمناه للعراق، نسمع يوميا ونرى على شاشات قنوات التلفزة هذا وذاك وذلك وأولئك من الكتل والقادة والناس العاديين وهم يستعرضون بطولاتهم الدون كيشوتية في تصريحات وأحاديث نارية عنترية.. «العراق بلد عربي فيجب أن يكون رئيسه عربيا».

من حق العرب السنة تبوؤ هذا المركز بيد أنهم يدركون في قرارة أنفسهم أن وجود شخصية كوردية كالأستاذ جلال طالباني في رئاسة الجمهورية فيه خير كثير للبلد، فهو الأفضل في قيادة سفينة العراق المتعبة وسط الأمواج المتلاطمة لمنطقة تعصف بها الأنواء، ولكنهم يكبرون على الكورد تسنم هذا المنصب (يا لضحالة عقولهم وتفاهة منطلقاتهم الشوفينية) وباختصار ننبه لئلا نقع في خطأ آخر قاتل، ودرءا للدغات العقارب السامة.

.....

يا قاداتنا يا كرام..

وحدوا الصفوف واستشيروا خبراء وعقلاء القوم دون استثناء (ما خاب من استشار) نسقوا المواقف وليكن الاتفاق مكتوبا هذه المرة مع أي طرف من الأطراف العربية العراقية، تمسكوا بالوزارات والمناصب التي تخدم قضيتنا ولا تغرنكم بعض الوزارات (السيادية) التي لا تقدم ولا تؤخر في مسيرة الكورد. إن المسألة صعبة كما يقول هيكل لأن ما يجري يحض على البقاء قريبا منه، فهو صراع مصائر ومطالب مستقبل وأزمة أمة تحاول أن تستجمع بقايا طموح وإرادة...) ولكي لا نذرف الدمع حزنا على (كوردستان الضائعة) كحزن الآخرين على الأندلس (مع فارق المنطق والمكان). ولكي يذهب كلام المجرم (طارق عزيز) إبان المفاوضات الجارية بين قيادة الجبهة الكوردستانية وحكومة البعث عام 1991 عند مناقشة قضية كركوك (لكم الحق في أن تذرفوا الدمع على كركوك فقط عندما تمرون بها كما نبكي نحن العرب على الأندلس الضائعة) لكي يذهب كلامه هباء ولا تضيع كركوك كما ضيعنا (.....) كما نصحنا المرحوم سعيد قزاز.

فيا قادتنا ويا ساستنا الكرام مهما جاملتم الآخرين وتنازلتم عن بعض حقوقنا لمصلحة العراق الواحد الموحد لهذا الغرض وذاك ولهذا الطرف أو تلك، تذكروا أن ذلك

لن يغير شيئا من قناعات المالكي والذي وصف (البيشمركه) بالميليشيات عندما كان عضوا في الجمعية الوطنية العراقية عام 2005 ولن يغير من قناعات ومنطلقات وآراء وسلوكيات القاضي وائل عبداللطيف وأياد جمال الدين والاخوين نجيفي والمطلك والصالح والطالح والطالع منهم كثير. فالمطلوب إذن ترتيب وتوحيد البيت الكوردستاني. ترتيب وتوحيد المواقف والمنطلقات.. لإن العالم لن يحترم إلا القوي الموحد. تحديد الأولويات.

واختيار الأقوياء والأذكياء والخبراء أصحاب السجل النظيف والمواقف المبدئية وفرسان المفاوضات الكفؤين من أجل أن لا تلدغنا العقارب من الجحر ذاته مرات أخر.

عندما ينسحب قائد ثائر تحت الضغط العسكري في معركة غير متكافئة جيش وطائرات دولة مثل بريطانيا العظمى مع جيش آخر لشعب فقير لا يملك إلا عدد قليل من البنادق القديمة ولا تتعدى بعض المئات ولكنه مفعم بروحية المقاومة والصمود في بدايات قرن العشرين الماضي مسألة طبيعية في منطلق عسكري للحفاظ على الوجود وعدم التفريط بأرواح الأعزاء من رجاله الثائرين الأوفياء وخاصة ان القوة أو الجيش المقابل كان جيش دولة (لا تغرب عنها الشمس) ولكن المسألة الغير الطبيعية هنا حسب قراءتنا للتاريخ والتي تجلب الحيرة والإعجاب اللامتناهي هي لجوء القائد الثائر المنسحب الى الكهوف الجبلية ليكون ملاذا له ولرجاله الشجعان ويقرر استمرار المقاومة محاربا فهذه مسألة طبيعية ولكن عندما يعقد العزم على إصدار جريدة المقاومة لتكون هي الأخرى جناحا عسكريا آخر بوجه الغزاة المحتلين في الوقت الذي لم تكن هنالك وسائل الطباعة وطرق المواصلات وأجهزة الإنارة تعتبر مفارقه نوعية من أحداث التاريخ وقد حدث هذا في:

* كوردستان الجنوبية "كوردستان العراق".

* وفي شهر آذار من عام 1913 أي قبل 87 عاما.

* والقائد الثائر هو ملك كوردستان الشيخ محمود الحفيد ورجاله الذين كانوا لا يهابون الموت.

* جيش الاحتلال كان جيش بريطانيا العظمى عندما كان في أوج قوته ومسيطرا على الأجواء عسكريا بعد انتصاره هو وحلفائه على دول المحور في الحرب العالمية الأولى 1914-1918.

* والجريدة هي (بانك حق) أي نداء الحق لسان المقاومة لسان الكورد الثائرين والتي صدرت ثلاثة أعداد منها في كهف مظلم.

* والكهف هو كهف (جاسنه) في الطرف الشرقي لمصيف دوكان التابع لمحافظة السليمانية

* تاريخ صدور العدد الأول

رجل ثائر بشكل مختلف لا يملك من مال الدنيا ما يكفي له من عيشه فوق مستوى الكدح ويلتقي بصديق محب لشعبه كمثله هو ويسافر الى أوروبا وتحديدا ألمانيا

ويحصل على ماكنة قديمة للطباعة ويجلبها الى مدينة حلب السورية والتي تقطن فيها أعداد كبيرة من أقرانه الكورد وينصبها لغرض العمل للحصول على مبلغ يساعده على نقل هذه الآلة (السحرية) الى مدينة رواندز الجبلية والتي كانت من الخرافة الوصول إليها يوما لانعدام الطريق ووسائل النقل والإمكانية المادية وانتشار الأمية بنسبة 99٪ ولكن ثائرنا الآخر استطاع قهر المصاعب والمصائب وفي ظرف صعب ومعقد للغاية استطاع نقل المطبعة ونصبها في بقعة من رواندز وأصدر منها خلال (7) أعوام 1915-1931 أربعة وعشرون عددا من المجلة في الوقت الذي كان ثائرنا يقوم وحده بأعمال الكتابة والتحرير والطباعة والتوزيع لا يشاركه فيها أحدا غير همومه وحزنه على الكورد وبلادهم المقسمة والمحرومين من أبسط الحقوق وثائرنا هذا هو:

* المؤرخ والمثقف والصحفي حسين حوزني موكرياني المولود في مدينة مهاباد في الجزء الشرقي من بلاد كوردستان عام 1893 وانتقل الى بغداد لمدة عام واحد والتقى هناك بصديقه المحب لكوردستان وشعبها المرحوم سيد طه شمزيني الذي ساانده وشجعه على تنفيذ مشروعه الثقافي القومي.

* المجلة: هي مجلة "زارى كرمانجى" والتي صدر منها (14) عددا وتم إيقافها بأمر من متصرف أربيل حينذاك (جلال بابان).

* والمدينة هي رواندز الواقعة على رابية وسط جبال كورك، هندرين، زوزك والتي شهدت على مدار التاريخ قصص البطولات منذ أيامها التي كانت عاصمة لإمارة سوران واستطاع أحد أبنائها في ذلك الوقت صنع مدفع (ولا يزال موجودا) ويسمى بأسم صانعه (أسطه رجب).

والمحتفلون بالمناسبتين بعد مرور (111) عما على صدور أول جريدة كوردية في التاريخ في مصر في 11 نيسان 1898 والتي أصبحت عيد المثقفين وصحفيي كوردستان هم طلاب.

* مقداد بدرخان صاحب ورئيس تحرير أول جريدة كوردية والذين يجددون العهد على الاستمرار على الدرب الذي سلكه ولكن داخل كوردستان.

* طلاب الشيخ الثائر الذي قاد وجمع بين المقاومة في ظرف غير متكافئ وبين جيشين غير متكافئين وبين إصدار جريدة وصاحي فكرة ومنفذ طبع أول طابع كوردي تحت اسم (طابع حكومة كوردستان جنوبي).

* طلاب المؤرخ والمثقف والصحفي المعدم من الناحية المادية والغني بالإيمان والثقافة وحب الكورد.

الذين يعاهدونهم ويعاهدون الرواد ورموز الصحافة والمشاريع القومية الثقافية بالاستمرار على نهجهم الى أن يبلغ كوردستان وشعبها الوصول إلى الهدف وفيما بعدها.

"التجربة الكوردستانية في بحيرة رمال متحركة.."

بعد كفاح سلمي صعب ومتعدد الجوانب، خاضه الشعب الهندي ضد الاستعمار والإمبراطورية البريطانية بقيادة حزب المؤتمر الهندي ومؤسسه المهاتما غاندي الذي أعتمد العصيان المدني واللاعنف نهجا في النضال، ذلك النهج الذي ألهم العديد من حركات المقاومة في العالم، وما يزال قادرا على الإلهام.. ومثل كل الزعماء التاريخيين والفكريين الكبار، الذين يؤثرون في مجتمعاتهم، ويحدثون تغييرا عميقا فيها قد لا يعجب البعض، ويثير سخطهم وحقدهم، ذهب مهاتما غاندي ضحية أفكاره الإنسانية العظيمة، حيث أقدم أحد الهندوس الغاضبين على اغتياله عام 1948، أي بعد استقلال الهند بعام واحد. حيث استلم الراية خليفته وتلميذه الذكي جواهر لال نهرو.

سئل جواهر لال نهرو يوما عن انطباعاته الشخصية وهو يمارس السلطة، وتجربته في المعارضة التي كان يوما أحد أقطابها فأجاب (مهمة المعارضة سهلة للغاية: ممارسة النقد، والمناداة بما يثير الجمهور، وهو أمر لا يكلف الكثير. ولكن عندما استلمت السلطة وجرت أمامي أعقد القضايا وأصعب المهمات وصرت أواجه أكبر المشاكل وهي تطالبني بحلول سريعة، والمسألة أحيانا، أبعد كثيرا من التمنيات السهلة، وأعقد من إمكانات أية معالجات سريعة، كنت أتمنى أن أعود في صفوف المعارضة لأنها لم تكن تتطلب مني غير الكلام، الكلام بصوت عال.

.....

نعيمة الوكيل صحفية عراقية محسوبة على اليسار الديمقراطي، خمسينات وستينات القرن الماضي، وكانت رئيسة تحرير جريدة الـ(14تموز) التي كانت تصدر في بغداد وبعد مرور سنة على اندلاع ثورة أيلول الكبرى بقيادة البارزاني الخالد عام 1961نظم الحزب الشيوعي العراقي حملة شعبية واسعة تحت شعار (السلم في كوردستان) تحشيدا للقوى من أجل إحلال السلام في كوردستان، وممارسة الضغط الشعبي على حكومة عبدالكريم قاسم، للموافقة على المطالب المشروعة لشعب كوردستان، وخلافا لروحية شعار السلام في كوردستان وأهداف الحملة بادرت أجهزة الأمن في الحكومة العراقية باعتقال الناشطين من سياسيي ومثقفي القوى الديمقراطية

المطالبة بالسلام، ومن ضمنهم كانت الصحفية نعيمة الوكيل، وأحيلت وقتها مع المئات من المعتقلين إلى المحكمة العرفية، وبسبب عدم وجود ما يستدعي إيقافها، فقد اشترطت المحكمة عليها لإطلاق سراحها أن تقوم بقذف وشتم قائد الثورة الكوردية مصطفى البارزاني، وقد رفضت الوكيل وأكثرية المعتقلين هذا المطلب الغريب، وكان رد نعيمة الوكيل على رئيس المحكمة مفعما بالدلالات.."كيف تطلب مني شتم وسب مصطفى البارزاني قائد الثورة الكوردية، وهو رمز من رموز الحركة الوطنية العراقية، إن هكذا تصرف سيصيب وطنيتي بخدوش لا تزول، ويترك في كرامتي ندوبا دائمة. والرموز مهما اختلفنا بشأن آرائهم ونهجهم ومنطلقاتهم الفكرية هم، في النهاية، وفي مستويات ثقافية ومجتمعية محددة، مرجعية للشعب، وأدوات ضبط لحركة الجماهير، فإذا تم تهديمهم لن يجد الشعب ساحلا يركن إليه، وعندئذ تعم الهمجية والفوضى ولن يبقى للقيم من أثر، وهذا ما يريده أعداء شعبنا، فالوطنية هنا إفشال مؤامرات الأعداء والضالعين في ركابهم".

أعود ثانية إلى تجربة الهند.. بعد هيمنة على الحكم لحزب المؤتمر الهندي دامت قرابة ربع قرن، منذ الاستقلال إلى بداية سبعينات القرن الماضي، خسر الحزب في المرحلة الأولى الانتخابات أمام حزب جاناتا المعارض، وبعد إعلان نتائج الانتخابات احتشد عدد كبير من الصحفيين وأمطروا زعيمة حزب المؤتمر ورئيسة وزراء الهند (أنديرا غاندي) بأسئلة عن شعورها، وحزبها يمنى بخسارة كبيرة، بعد هذا التاريخ الطويل من الهيمنة على مقدرات البلاد، أجابتهم بابتسامتها المعهودة وسماحة وروح الأم: "يا أولادي الأعزاء السلطة والمعارضة وجهان لعملة واحدة فكلانا نعمل من أجل الهند وأتمنى أن ينجح خصمي في خدمة وطني وفق برنامجه الانتخابي الذي لاقى الاستحسان من أبناء شعبي".

.....

خلال شهري آذار ونيسان من العام الجاري، مرت بكوردستان وشعبها حادثتان غريبتان أثرتا في نفسي كثيرا وخلقتا عندي حالة من الحزن الوجداني العميق، نابعة من الإحساس بمحدودية الشعور بالمخاطر التي تتهدد (التجربة الكوردستانية) التي لم تكمل بعد عقدين من عمرها، وسط فوضى التجاذبات والصراعات السياسية داخل

العراق، والأطماع الإقليمية، واللامبالاة الظاهرة في السياسة الدولية، المبنية على وفق المصالح العابرة والمتغيرة، لا على المبادئ، دون الاكتراث بمصائر الشعوب، وتطلعاتها، في منطقة أشبه ما تكون ببحيرة رمال متحركة.. وقد كان حزني يزداد مع ازدياد التوتر الشعبي وتصاعد الإحساس بالإحباط نتيجة الشعور بانحلال الجبهة الداخلية في كوردستان، إثر ظهور كتابات وريبورتاجات صحفية، وما كان ينشر على المواقع الالكترونية.

.....

الحادثة الأولى تمثلت بظهور كتابات، ونشر بعض الأخبار، عن حكومة الدكتور برهم صالح الذي يترأس الكابينة السادسة، تهدف إلى التقليل من مقدرتها، ومنجزاتها خلال الفترة القصيرة التي مضت عليها. لم يكن في نية أصحاب تلك الكتابات ومروجيها ربما، الإيحاء بضعف في حكومة الدكتور برهم، ولكن من شأن أي إظهار للحكومة بمظهر القاصر، والعاجز، دون الاستناد على وقائع ملموسة، أن يخلق حالة من الفوضى والارتباك وانعدام الثقة والطمأنينة، داخل صفوف الشعب، ويمكن أن يفضي إلى زعزعة في بنية المجتمع الكوردستاني المتماسكة. إن حكومة الإقليم أيا كان لونها ورئيسها هي جزء من التجربة الكوردستانية، وأي انتقاد غير موضوعي، وغير مسئول، يمكن أن يؤدي إلى ألإساءة إلى التجربة الكوردستانية برمتها.. أن نضع الحكومة بكليتها في قفص للاتهام بدل النقد الذي يهدف إلى التقويم والتصحيح، لا الهدم والتجريح، ليس له إلا معنى واحدا.. إضعاف وربما إفشال التجربة الكوردستانية.

بعين الصحافي غير المنتمي إلى الحكومة، لكن المنتمي بقوة إلى التجربة الكوردستانية أقول وأحذر.. إن فشل وخسارة أي من أطراف المعادلة السياسية الكوردستانية سيؤدي إلى إصابة الأطراف الأخرى بذات الخسارة والفشل، هذه معادلة لا مكان للخطأ فيها. وستصيب التجربة الكوردستانية التي ولدت من جريان أنهار من دم ودموع وآهات وأحزان وصراعات وتضحيات، تحملها شعبنا وخاصة في العقود العشرة الأخيرة من تاريخنا المدمى، تصيبها بأضرار يصعب إصلاحها..علينا الافتداء بالتجربة الهندية، ولنعيد قراءة وتدبر كلمات أنديرا غاندي: "كلانا–حزبها والحزب

المنافس لها– نعمل من أجل دفع عجلة الهند إلى أمام، بالشكل الذي يراه حزبي ويعتقده الأفضل، أو بالشكل الذي يراه قادة الحزب الآخر، والأهم في ذلك أننا تعلمنا وآمنا وطبقنا عملية الانتقال السلمي للسلطة لأول مرة في قارتنا الفقيرة بالموارد والغنية بالمبادئ".

.....

أما الحادثة الثانية والتي لا تقل أهمية عن الحادثة الأولى بل تتعداها في إلحاق الخسارة بالتجربة الكوردستانية برمتها والتي جعلتها أمثولة في الفشل والعقم، أمام الذين يحلمون بعودة كوردستان إلى (قديمها)، أيام المحن والفواجع والكوارث والقهر والاستعباد. فكلنا تألمنا ومازلنا نتألم وشعرنا بالإحباط نتيجة خطف الطالب الجامعي (سردشت عثمان) في وضح النهار وفي العاصمة أربيل من أمام كليته، والعثور على جثته بعد مرور 14 ساعة في مدينة الموصل، حيث تبين أن القائمين بالعملية قد خططوا لها بإتقان. وقد أدانت نقابة صحفيي كوردستان هذه العملية التي ذهب ضحيتها طالب جامعي في مرحلته الدراسية الأخيرة، له اهتمامات صحفية في مجال الترجمة والكتابة، رغم انه لم يكن عضوا في نقابتنا، أدانت نقابة صحفيي كوردستان هذه العملية، وقامت فروع النقابة ومكاتبها، ولجنة الدفاع عن الحريات الصحفية وضمان حقوق الصحفيين في كوردستان بأنشطة وفعاليات متعددة، تضمنت الإدانة ومطالبة الجهات المسئولة بالتحقيق الجدي والمسئول للكشف عن مرتكبي هذه الجريمة النكراء. ولن نكف أو نتوقف عن الاستمرار بالمطالبة بغية الوصول إلى الجناة، مرتكبي هذه العملية الغادرة. ولكن الذي يثير الأسى والحزن لمواطني كوردستان ومن ضمنهم كاتب هذه السطور، كيفية تعامل بعض وسائل الإعلام ومن وراءهم من جهات سياسية، مع هذا الحدث الجلل حيث طغت فجأة أحداث الجريمة على كل شيء في كوردستان، وأخذت بعض وسائل الإعلام تصب جام غضبها على الحكومة ورئاسة الإقليم، وتتهم جهة سياسية معينة بارتكاب الجريمة. ولم تكن حتى التجربة الكوردستانية ورموزها بمنأى عن الإتهام..ولأول مرة شعرت بكل هذا القدر من الخوف والإحباط والحزن. إن مكمن الألم والخوف والأسى نابع أساسا من أننا لم نتعرف حتى الآن على أساليب وطرق وكيفيات ممارسة الديمقراطية ولم نتعلم احترام ثوابتها

وقوانينها، والتي تتمثل بالجهر بالرأي، والمناداة بأعلى صوت، وانتقاد الظواهر المدانة وكشف الفساد ومتابعة الجريمة لحين العثور على مرتكبيها....الخ. مرة أخرى أثبتنا لأنفسنا قبل العالم بأننا نتعامل مع الأحداث من منطلقات سياسية حزبية ضيقة للغاية، بل شخصية وذاتية انفعالية في كثير من الأحيان، تستهدف الآخر الكوردستاني المختلف والمنافس بالإساءة لمجرد الإساءة، حتى لو أدى ذلك بالتجربة الكوردستانية إلى الوهن والتراجع والشحوب، حيث وصلت الحال إلى استباحة الإساءة إلى الرموز الوطنية، ونبش القبور والسجلات التي عفا الزمن عليها، ولم ينج من الإساءة تاريخ الحركة الوطنية الكوردستانية، ونسي هؤلاء، ومؤسساتهم الإعلامية، نسوا في لحظة غضب وطمع أن الخطر لن يأتي من جريمة اختطاف طالب جامعي أمام أنظار الناس وفي وضح النهار، لأن كوردستان لن تكون البقعة الوحيدة الخالية من الجريمة هذا العالم المترامي الأطراف، ولكن الخطر الأكبر يكمن في استغلال حادثة القتل للنيل من التجربة الكوردستانية من قبل أعداء شعب كوردستان على تخوم حدودنا غير المحمية بالقدر الكافي.

.....

يقول الرسول الكريم (اختلاف أمتي رحمة)، فالاختلاف ظاهرة موجودة منذ الأزل وفي كل زمان ومكان، وفي كل المجتمعات، لذلك كان الحوار سمة الثقافة الإنسانية، ووضع للحوار الذي تحول إلى علامة من علامات عصرنا قواعد وأصول ومحددات وأولويات ومسميات..والابتعاد عن إلصاق التهم من دون دليل من أكثرها بداءة وبداهة، مهما كانت درجة الخصومة، وعمق المنافسة بيننا. وكما قالت نعيمة الوكيل يوما قبل أربعة قعود (الوطنية هنا هي إفشال مؤامرات الأعداء والضالعين في ركابهم) والتجربة الهندية ماثلة أمام عيوننا في كيفية انتقال السلطة والتعامل مع المعارضة وفق أسس ديمقراطية صحيحة.

.....

في مؤتمرا يالطا اجتمع الثلاثة الكبار من زعماء العالم المنتصرين على الفاشية والنازية للتداول في أمور ما بعد الحرب العالمية الثانية (ستالين، روزفلت، وتشرشل) وقد تكلم القادة عن ما يجيش في صدورهم وعندما حان دور ستالين في الكلام تكلم

بإسهاب وفي فقرة مهمة من السرد صفق له الزعيمان الغربيان كثيرا فشعر ستالين بأن هذه الفقرة من كلامه كانت من صالح خصومه وأعدائه التقليديين، انتبه وتوقف عن الكلام، وصاغ عباراته بمعاني أخر، ولم تخدعه حرارة التصفيق، بل نبهته إلى المنزلق.

والسؤال هنا هل سنتعلم شيئا من التجربة الهندية.. الانتقال السلمي للسلطة وطرائق عمل المعارضة وأساليب معاملة المعارضة من قبل السلطة، والقيم الوطنية العليا التي تحكم وتضبط العلاقة بين الحكومة والمعارضة، ومن نصيحة نعيمة الوكيل التي هي من قومية ثانية وأبت أن تشتم زعيما وطنيا من شعب كوردستان.؟

وماذا يمكن أن نستفيد من وقفة ستالين عندما شعر بأن كلامه مجرد الكلام في لحظة زهو قد أثلج صدر أعدائه التقليديين..؟

هذه تجارب دول وقادة ومجتمعات..

ولكن أين نحن يا سادة؟!

هل نحن داخل كيان سياسي مسيج بحدود ثابتة ومستقرة..؟!!

أم أننا ما نزال نضع الخطى فوق الخطى بحثا عن مسار أكيد وسط بحيرة رمال متحركة..؟!!

معالجة الخطأ بالخطأ.. تغذية ارتجاعية

تحت عنوان (كركوك..هل يصلح الخطأ بخطأ؟) نشرت جريدة الشرق الأوسط، طبعة العراق في عددها المرقم (11491) الصادر يوم الأحد المصادف 1010/5/16 وفي الصفحة (10)، صفحة الرأي مقالا للمدعو (مازن الشيخ) جاء فيه نصا: "أقول إن المادة (140) ماتت والأموات لا يعودون الى الحياة تلك حقيقة يجب أن يقر بها ويوافق عليها الجميع قبل الدخول الى أي ائتلافات أو تحالفات، لا يحق لأحد أن ينكر حق الآخر، لكن الحقائق لا تفرض بل يحقق في شرعيتها عن طريق محققين محايدين ومتمرسين بالقانون الدولي ولذلك فإن أول صفحة تفتح في قضية كركوك يجب أن تتضمن التحقيق في صحة الإدعاءات القائلة بقيام القوات الكوردية المسلحة بعملية تهجير قسرية للعرب في كركوك، وإبدال مهاجرين أكراد من داخل العراق وخارجه بهم، صحيح ان كثيرا من العرب كانوا قد هاجروا الى كركوك بعد أن قدمت لهم حكومة صدام إغراءات مادية لكن ذلك مضى عليه زمن طويل ولدت خلاله أجيال لم تعرف غير كركوك أرضا لها فبأي حق تهجر منها؟ هل يصلح الخطأ بخطأ أو الجريمة بجريمة؟ ثم إن الخلل الديموغرافي كان ضد التركمان الذين كانوا هم الأغلبية ولم يكن أبدا ضد الكورد، لأنه لا يوجد ما يدل على أنهم كانوا أغلبية في كركوك..الخ".

في جريدة الزمان أيضا وفي عددها (3594) الصادر يوم الأحد الموافق 1010/5/16 كتب سامي الحسني على الصفحة (5) عمودا بعنوان (الرقم 163) يستعرض فيه نتائج الانتخابات الأخيرة ومسألة تشكيل حكومة عراقية حسب استحقاقات انتخابية وفق النتائج المعلنة وحسب الدستور.. الخ ولكن وبعد استعراضه للمشاكل التي تعترض تشكيل الحكومة يأتي بشكل مفتعل قسري، ومن دون مقدمات على ذكر دور التحالف الكوردستاني حيث يقول نصا: "أما التحالف الكوردستاني فإن انضمامه بمفرده الى أية كتلة لا يحقق الأغلبية ولكن المعروف عنه انه طرف أناني ابتزازي مصلحي فئوي محشور ومقتصر على إقليمه وكوردستانيته ومصالحه".

.....

في السادس من شهر شباط عام 1970 حظينا نحن أعضاء مكتب التنظيم المركزي لاتحاد طلبة كوردستان آنذاك بلقاء القائد (البارزاني الخالد) في قرية (ديلمان). وفي جلسة حميمية جمعت بين قائد محنك وأبنائه من طلبة الجامعات العراقية من أعضاء أعلى مكتب لاتحاد طلبة كوردستان، دامت بحدود ست ساعات كاملة تخللتها حوارات هادئة وساخنة، وتم طرح ومناقشة الكثير من قضايا الساعة.. في تلك الجلسة جرى التطرق إلى المفاوضات التي كانت جارية آنذاك بين قيادة الثورة الكوردية وحكومة حزب البعث والتي تكللت في النهاية بتوقيع اتفاقية 11 آذار عام 1970 قال لنا البارزاني:"عجيب أمر هؤلاء –وكان يقصد البعثيين– إنهم حقا لجهلة ولا يعرفون شيئا من حقائق الجغرافية والتاريخ.. ففي أول جلسة حوار معهم، وكان الوفد الحكومي مؤلفا من الفريق حماد شهاب والفريق حردان التكريتي وسمير عبدالعزيز النجم وعبدالله سلوم السامرائي وغيرهم تناولنا قضية كركوك والحلول اللازمة لها، فجأة اخرج عبدالله سلوم السامرائي من جيب سترته الداخلية قلما وحركه يمينا ويسارا في حركة شطب، وقال بالحرف الواحد: بإمكاني القول أن كركوك ليست هي بكوردستان ولا كوردية. عندما انتهى من كلامه حدقت في عينيه وقلت له، حقا إنك لجاهل بوقائع التاريخ وحقائق الجغرافية فالتاريخ المدون والشواهد التاريخية المثبتة وطبيعة جغرافية كوردستان وطوبغرافيتها وديموغرافيتها من جبال زاكروس الى سلاسل جبال حمرين كلها تنفي آراؤك وتكذب أطروحاتك المغرقة بالجهل، ولذا فأنا لست مستعدا لمناقشة هذه المسألة مع الجهلة لأننا لا نستطيع الوصول الى اتفاقية سلام بهذا المنطق الأعوج. حينئذ قام الفريقان حردان التكريتي وحماد شهاب بإخراج السامرائي من جلسة الحوار".

.....

تنتابني الدهشة وأشعر بالغثيان والقلق والخوف على مصير العراق بشعوبه ومكوناته الاجتماعية التي لم تعرف الاستقرار يوما منذ التشكيل القسري للدولة العراقية، بداية عشرينات القرن الماضي.. المشاكل تزداد يوما بعد يوم، الحروب الداخلية والخارجية أصبحت الطعام اليومي للعراقيين جميعا كوردا وعربا وتركمانا وكلدوآشور، القتلى بعشرات الألوف والجرحى والمعوقين لم تستوعبهم مستشفيات

العراق وبعض مستشفيات دول الجوار، الاعتقالات والإعدامات وتغيير الواقع القومي الديمغرافي وعمليات الأنفال سيئة الصيت واستعمال السلاح الكيمياوي كانت من نصيب كل عراقي، كل بحسب موقعه، قربه أو بعده، من سلطات الحكومات العراقية المتعاقبة، والكورد طبعا كانوا في مقدمتهم. نعم تنتابني الدهشة وقلقي يكبر يوما بعد يوم وتزداد مخاوفي من توجهات البعض، مواطنين كانوا أم مسؤولين، بعثيين أم قوميين أو من المتسترين برداء الدين كذبا وبهتانا، من هذا الطرف أو ذاك، قلق من تلك السموم التي ينثرونها ويبشرون بها عبر وسائل الإعلام المختلفة حول هذه القضية أو تلك، وخصوصا تجاه مسألة كركوك والمناطق المستقطعة من كوردستان التي حاولت الحكومات العراقية منذ التأسيس تعريبها بهذا الشكل أو ذاك وتغيير تركيبها الديموغرافي القومي، فهذه مصيبة ولكن المصيبة الأكبر، محاولة البعض من الكتاب الجهلة الترويج لمفاهيم مسمومة تحت واجهات مضللة (لا يمكن معالجة الخطأ بالخطأ)، ناسين أو متناسين أنهم بأطروحاتهم هذه إنما يسيئون الى قضايا تمس حاضر ومستقبل الأمة العربية، فماذا سينتج في حال قاموا بتغذية أفكارهم هذه تغذية إرتجاعية، أو تمرأوا لذاتهم عبرها..إن الذي يطالب الآخرين، قدر تعلق الأمر بقضية تهجير الكورد من كركوك، بعدم معاجلة الخطأ بخطأ، ، يجب عليه مطالبة أبناء الأمة العربية وحكوماتها وقادتها السياسيين بالكف عن المناداة بتحرير القدس الشريف من براثن الاحتلال، لأن إخراج اليهود الذين سكنوا القدس قسرا بعد حروب أعوام 1948،1956،1967 لم تعد قضية ذات بال، فقد مات أكثرهم، وابناؤهم ولدوا في القدس ولا يعرفون وطنا غيرها. حسنا لقد أخطأت إسرائيل، والعرب يقعون في نفس الخطأ عندما ينادون بتحرير القدس وعودة اللاجئين، وعلى العرب أيضا حسب منطق صاحبنا عدم المناداة بعروبة جزر طنب الصغرى وطنب الكبرى وأبو موسى والدعوة إلى تحريرها من الإيرانيين، لأن التقادم وفق مفاهيمهم ينفي الثوابت التاريخية والحقائق الجغرافية.

لست مغاليا إن قلت أن هؤلاء ومن على شاكلتهم من رجال السياسة وقادة الأحزاب يقعون في خطأ فادح وقاتل ويذهبون بالعراق الى هاوية الانقسام والتشرذم، إذا ما استمروا على هذا النهج العنصري في التفكير، وهم يرون في معالجة مسألة كركوك

بعودة أبنائها البررة من الكورد والتركمان خطأ وجريمة. فيما ينبري آخرون إلى إلصاق التهم المجانية كالأنانية والابتزازية والمصلحية بالتحالف الكوردستاني، من على منابر إعلامية كبيرة وكأن الكورد هم أساس البلاء، وهم المسئولون عن تقويض الدولة العراقية المصطنعة، علما بان القاصي والداني، وفي كل الاتجاهات السياسية والانتماءات القومية يعرفون ان الكورد ضحوا بجزء كبير من استقلالهم من أجل إعادة بناء العراق بعد سقوط النظام الفاشي.. إنه لأمر مثير حقا، ويستدعي مشاعر الأسف والاحتقار تجاه هؤلاء وأمثالهم. وفي الختام لدينا نصيحة نقولها لهم..احتفظوا بأفكاركم لأنفسكم، ولا تفكروا بمصير الكورد وكوردستان نيابة عن الكورد، لأن أهل مكة أدرى بشعابها. وفي قضايا تخص الشعوب ومصائرها (لا تنهى عن خلق وتأتي مثله).. والسلام على من اتبع الهدى..

"مقعد على ضفة بحيرة ليمان.."

عندما ضمتني إحدى مقاهي جبال (الألب) في ربوع بلاد سويسرا الباذخة الجمال تذكرت مجلة (كتابي) التي كان يصدرها الصحفي والكاتب المصري (حلمي مراد)، أواسط خمسينات القرن الماضي.. كانت نوعا من يوميات صحفي امتهن السفر في أوربا، جغرافية انطباعية وسياحة فكرية سجلها بأسلوب أنيق عبر ريبورتاجات مصورة في حلقات بعنوان (شاهدت وقرأت لك من أوروبا)، كانت تلك الكتابة أشبه بعدسة كاميرا تدور وتدور وتسجل المشاهدات واللقطات التي تحرض المخيلة لدى القراء، في زمن لم يعرف بعد الفضائيات، والأقمار الصناعية. تذكرت حلمي مراد ومجلته كتابي، وترحمت عليه، لأنني وجدتني أفتح حقيبتي تلقائيا، وأخرج ورقة وقلما، وأباشر الكتابة..

.....

(باتريس موغني) وزير الثقافة في كانتون جنيف (الإقليم) كان، قبل سنة ونصف تقريبا، في زيارة إلى كوردستان، بدعوة من وزارة الثقافة في إقليم كوردستان. وكان ضمن برنامج تلك الزيارة، زيارة إلى مقر مجلس نقابة صحفيي كوردستان. لقد سره كثيرا ما رآه وسمعه من نشاطات وفعاليات في النقابة، وخصوصا شعارها المركزي (من أجل ترسيخ حرية الصحافة وضمان حقوق الصحفيين في كوردستان)، وتقريرها نصف السنوي، حول الأوضاع العامة للحريات الصحفية في كوردستان بالإضافة إلى تعددية الانتماءات القومية والدينية والسياسية لأعضاء النقابة وانعكاساتها على واقع العمل الصحفي. في ختام زيارته قال لي:"من أجل إثراء تجربتكم المهنية والنقابية يسرني دعوتكم إلى بلدي سويسرا لكي تطلع على تجربتنا في هذا المجال، وهي من التجارب الغنية بالأسس القانونية والمهنية، نتيجة تقادم السنين وتراكم الخبرات التي شكلت إطارا للصحافة السويسرية وصحفييها على مختلف الأصعدة".

في تشرين الثاني 1009 تلقيت دعوة رسمية وشخصية من (باتريس موغني) ولكن ظروفي الصحية وتعثر الحصول على الفيزا حالا دون السفر. تجددت الدعوة شباط العام الحالي عبر رسالة رقيقة.. إلى أن وجدتني أصعد درج طائرة الخطوط الجوية

الملكية الأردنية (العالية) في العاصمة الأردنية عمان، ومنها أطير إلى جنيف، حيث استغرقت الرحلة من أربيل إلى جنيف عبر العاصمة الأردنية زهاء خمس ساعات ونصف. في مطار جنيف كان في استقبالي الزميل جودت صوفي الذي كان رافق (باتريس موغني) في زيارته إلى كوردستان كونه كورديا مستقرا في سويسرا منذ أكثر من ثلاثين سنة. وكذلك كان في استقبالي الزميل الصحفي (ئازاد كوله يي) الذي كان مسئولا عن مكتب جريدة (برايه تي-خبات) بين عامي 1993-1000، ثم هاجر إلى بلاد بحيرة ليمان وجبال الألب ونهر رون وبساتين الكروم التي تصنع منها المئات من أشكال (النبيذ) الأحمر والأبيض. وثالث المستقبلين كان نزار عبدالله سعيد شقيق زوجتي والذي بدأ مشوار الهجرة خارج العراق بعد عودته من الجبل عام 1975 وكان ملتحقا بالثورة في جبال كوردستان، حيث اعتقل مع ثلاثة من زملائه العرب ومن بينهم (فرند) أبن المرحوم العقيد فاضل عباس المهداوي، وكانوا في زيارة لمدينة كربلاء، سيقوا إلى مديرية الأمن العامة وتعرضوا لشتى أنواع التعذيب الجسدي والنفسي لعدة شهور، كان ذلك في 1978 وقد أطلق سراحهم بعد وساطات وتدخلات كبيرة، وثبوت براءة ذمتهم من أية تهمة، سافر في بداية الأمر إلى الولايات المتحدة الأميركية، وبعدها إلى سويسرا حيث استقر هناك عام 1979 وتزوج من فتاة سويسرية من أصول فرنسية. ورابع المستقبلين كان أحد المدراء العامين في وزارة الثقافة في كانتون جينيف والذي كان رافق (باتريس موغني) في زيارته لكوردستان، حيث اصطحبوني إلى فندق (سلافا) في وسط المدينة.

جولتي الأولى في مدينة جنيف أكثر المدن السويسرية جاذبية، وتبلغ مساحة كانتونها 181كم[1] ويتقاسم مع فرنسا حدودا يبلغ طولها 103 كم، ومع بقية أنحاء سويسرا 4.5كم فقط، وهي مدينة عالمية جامعة، تضم بين دفتيها العديد من الهيئات العالمية مثل منظمة الأمم المتحدة أو المنظمة العالمية للاتصالات السلكية واللاسلكية. وتقدم جنيف لزوارها عروضا فندقية عالية المستوى من خلال أفخم الفنادق المطلة على بحيرة (ليمان)، جوهرة الألب والمطاعم العالمية الفاخرة، شوارعها تحفل باللافتات الملونة لأفخر موديلات الساعات واللوحات المضيئة للبنوك العالمية،

أما ساحة مولار الشهيرة فهي محاطة بمحلات المجوهرات والسلع الجلدية والملابس الفاخرة.

.....

جنيف القديمة تشبه من بعض جوانبها قلعة أربيل، لكنها أقل ارتفاعا، كانت موضوع جولتي الثانية.. ساحة (يورغ دي فور) التي تشكل بؤرة تلاقي الشوارع الرئيسية للمدينة القديمة، هناك ترى سكان جنيف ينتشرون في مدرجات المقاهي، لقد أتعبتني السلالم العالية لشارع (ليباريير)، وأنا أصعد إلى قلب المدينة القديمة.. كنت أعاني من آثار العملية الجراحية في ركبتي اليمنى.. ها هي جنيف القديمة بشوارعها السفلية كأنها جنة من جنات الشرق، تزدهي بالكثير من المتاجر الفاخرة مثل (هيرميس، بونجيني، ميغرو) التي تحفل واجهاتها بساعات عالية الجودة تبهر العيون، ومجوهرات ذات أسعار خيالية، والشوكولاته التي تشتهر بها سويسرا بأشكال وأنواع متعددة، وملابس فاخرة نسائية ورجالية. وعندما أعياني طول المشي طلبت من (نزار) الجلوس في واحدة من تلك المقاهي الأنيقة المنتشرة هناك، كان مقهى (فنديون) في بور دوفر الأقرب إلينا، أخذنا قسطا من الراحة، وشربنا قنينة من المياه المعدنية (ايفان) مع كوب من (الكاباتشينو)، وعندما حل المساء حوالي السابعة، والدنيا هنا لا تظلم إلا في حدود العاشرة ليلا، اتجهنا بالسيارة إلى (النافورة المتصاعدة) رمز مدينة جنيف الأشهر، وتقع على الطرف الغربي من بحيرة ليمان، وتقذف نصف متر مكعب من الماء في الثانية الواحدة، وترسل مياهها الى علو يبلغ 140 مترا، بسرعة خروج عند المنبع تبلغ 100 كلم في الساعة. بموازاة البحيرة الزرقاء يمتد كورنيش البحيرة باتجاهين، مع طريق آخر موازٍ للمارة من المتنزهين، يفصلهما خط مستقيم من الأشجار الباسقة كأن أوراقها مغسولة وملمعة بزيت الزيتون.. تذكرت بحزن أشجار بلادي وما تعانيه من كثافة الأتربة ودرجة الحرارة العالية جدا في أشهر الصيف القائظة. ليس من تعب هذه المرة، وجدت نفسي منجذبا إلى واحدة من تلك المساطب الخشبية، على ضفاف (ليمان).. كنت أرنو من هناك عبر مياه البحيرة الزرقاء إلى جبال (مون بلان) الفرنسية وهي أعلى قمة جبلية في أوروبا، ومشهورة بقبعتها البيضاء من الثلوج الأزلية، والتي تشكل مع ما يحيطها من جبال

لوحة ربانية تخطف الأنظار وتأسر الألباب. دندنت مع نفسي كلاما لبرنادشو لما سئل يوما عن علاقة صلعته المشهورة بكثافة الشعر في لحيته، قال: "غزارة في الانتاج وسوء في التوزيع" تذكرت شحة المياه في بلادي وأنا أنظر إلى هذه البلاد المؤلفة من الخضرة والمياه، فيما تعاني أكثر مدننا من نقص في المياه رغم وجود أنهار صغيرة وجداول في أكثر المدن الكوردستانية. في مدينة جنيف وحدها يمر نهران (الغون و) بالإضافة إلى بحيرة ليمان التي تضفي على جمال المدينة جمالا آخر، وتمتد عبر أراض فرنسا أيضا حيث تنتهي عند الجنوب الشرقي لمدينة (فيفوي).

المحطة الأولى: 1010/7/13

في الثامنة من مساء أول يوم من زيارتي الى جنيف توجهت مع زميلي جودت صوفي ونزار عبدالله سعيد الى قصر (هينار) وهو صرح فخم مبنى من الحجر الرخامي الأبيض وقد تم بناؤه في القرن التاسع عشر من قبل صيرفي شهير، واليوم هو مقر بلدية جنيف الأكاديمية.. كنت ضمن المدعويين المسجلين لحضور كونفرانس لمنظمة (ضد التعذيب) التي تأسست عام 1985 في هذا الكونفرانس تحدث عدد من كبار الشخصيات السويسرية والعالمية المهتمين بالعمل من أجل إنهاء التعذيب، هذا النوع من الاضطهاد الجسدي والنفسي الذي تمارسه بعض الحكومات ضد معارضيها، وكان من بين الحضور (كوفي أنان) السكرتير العام السابق لهيئة الأمم المتحدة UN وفي فترة الاستراحة الأولى قدمت له نفسي، ودار بيننا حوار قصير.

أنا: اسمي (فرهاد) نقيب صحفيي كوردستان والآتي من كوردستان–العراق.

كوفي أنان: أهلا ومرحبا كيف حال كوردستان في الوقت الحاضر.

أنا: كوردستان بخير لنا برلمان وحكومة إقليمية ونعمل جاهدين من أجل تطويرهما.

كوفي أنان: هذا ما نتمناه لقد عانيتم كثيرا وتستحقون العيش بسلام وأمان تامين.

أنا: شكرا جزيلا.

وتوجهنا سوية ومعنا الأستاذ (زولير) البروفيسور والشخصية البارزة في مجال الدفاع عن حقوق الإنسان وقضايا الشعوب المضطهدة إلى كافتيريا القصر بعد الانتهاء

من الكونفرانس للاستراحة، وفي نهاية الكونفرانس وقع الحاضرون وكان عددهم 65 شخصية من مختلف كانتونات سويسرا وخارجها على بلاغ يتعهد فيه الحاضرون بالدفاع عن قضايا حقوق الإنسان والعمل من أجل القضاء على ظاهرة التعذيب في العالم، وكنت أحد الموقعين على تلك الوثيقة كنقيب لصحفيي كوردستان.

المحطة الثانية: 1010/7/14

وفق البرنامج المعد من قبل المعنيين في وزارة الثقافة والزميل جودت صوفي توجهنا في الساعة 8.30 صباحا إلى مبنى الإذاعة والتلفزيون لإجراء لقاء مع الصحفي الإذاعي المشهور في عموم سويسرا (الان مايا) باللغة الفرنسية R.S.R عبر الترجمة الفورية حول موضوعات تخص تجربتي الشخصية/ نقابة صحفيي كوردستان/ الحريات الصحافية في كوردستان/ قانون العمل الصحفي/ التقرير نصف السنوي للجنة الدفاع عن الحريات الصحافية في النقابة والمشاكل التي تعاني منها.. كانت الأجوبة واضحة وشفافة ومقنعة وذات تأثير وجد تعبيره في إعادة المقابلة الإذاعية أكثر من مرة، وأعلمني ألان مايا بأن عدد المتابعين للمقابلة في صفحة الانترنيت للإذاعة المذكورة وصل 1800 شخصا خلال أسبوع واحد. والصحفي المذكور من أصدقاء القضية الكوردية، وكان متواجدا في كوردستان أثناء الهجرة المليونية في ربيع عام 1991 وأعرب لي عن رغبته بزيارة كوردستان مرة ثانية.

المحطة الثالثة: 1010/7/15

في الطابق الرابع من مبنى في وسط مدينة جنيف استقبلتنا الصحفية (كارول فان) والتي كانت مسئولة عن صفحة الصحفيين المدافعين عن حقوق الإنسان، وكان لها إلمام بأوضاع الصحافة والصحفيين في العراق وكانت أسئلتها كثيرة امتدت لساعة وربع، تمحور معظمها على دور نقابة صحفيي كوردستان في الدفاع عن حقوق الصحفيين، وأمور أخرى متعلقة بصحفيي العراق خارج إقليم كوردستان.. وبالمناسبة طالبت عبر صفحتهم بإنشاء معهد للصحافة في كوردستان على غرار ما هو موجود في سويسرا والتابع لنادي الصحافة السويسري (Club SUISS da la press).

المحطة الرابعة: 1010/7/16

السبت والأحد كما هو معلوم يوما عطلة في أوروبا، ولهذا السبب لم أكن مرتبطا بأي برنامج رسمي، كان علي استغلال الفرصة بزيارة بعض المدن والأماكن الأثرية والشهيرة في هذا البلد الذي ليس عضوا في الأمم المتحدة لحد الآن على رغم وجود مقرات لـ (100) من المنظمات العالمية تقريبا وأغلبها تقع في جنيف بالقرب من (ساحة الأمم)، ومقابل هذه الساحة يتواجد (قصر الأمم)، المقر الأوروبي لمنظمة الأمم المتحدة، والقصر عبارة عن بناية مشيدة من ثلاثينات القرن الماضي. وعبر الطريق الذي يمر أكثره على ضفاف بحيرة ليمان كانت السيارة تمضي بنا، على يسار الطريق لم يكن هنالك مترا مربعا واحدا من الأراضي شاغرا، كانت مزارع الكروم والمساحات المرورية مغطاة بأنواع مختلفة من الزراعات الموسمية خارج وداخل البيوت البلاستيكية، منتشرة وفق نسق هندسي جميل ومرتب للغاية، وكانت السرعة محددة بـ (110) كم/ ساعة، والطريق مراقبة بالكاميرات المنصوبة وبشبكة من الرادارات وعلى طرفيها هنالك أماكن لوقوف السيارات (P) وأكشاك تلفون، وحمامات بجانب محطات التزود بالوقود، التي توفر إضافة إلى خدمة التزود بالوقود خدمات أخرى لازمة.. سوبر ماركيت صغير، أكشاك لبيع الجرائد وكافيتريا، ومطعم نظيف للغاية.

"لوزان" كانت وجهتنا حيث كنت أسمع باسم هذه المدينة منذ نصف قرن تقريبا لارتباطها بمكان عقد مؤتمر قضى على آمال الكورد، على نقيض وأنقاض معاهدة سيفر التي نصت في بعض بنودها على حق الكورد في التمتع بكامل حقوقهم،. ومن مسافة 500م أشار زميلي جودت صوفي إلى بناية واقعة على الطرف الشرقي لبحيرة ليمان.. إنه (قصر أوش)، المكان الذي شهد توقيع معاهدة لوزان، طبعا لا تتحمل جدران القصر وقاعاته (وزر) الظلم والإجحاف اللذان لحقا بالكورد نتيجة تلك المعاهدة، بقدر ما تتحملها مصالح الكبار من الساسة من صناع القرار من ممثلي الدول الكبرى المجردة من الوفاء والأخلاق، كما اعترف بذلك هنري كيسنجر في رسالته الاعترافية للجنة رايك عندما ذكر نصا أن سياستهم تجاه الكورد، عقب اتفاقية السادس من آذار عام 1975 في الجزائر كانت غير أخلاقية.

دخلنا القصر الذي تحول الى مطعم مشرب (ريستورانت أنيق) يضم باره مجموعة نادرة من قناني (النبيذ المعتق) غير المعروضة للشرب أو للبيع، وفي صالته الأمامية هنالك لوحة نحاسية تحكي تاريخ القصر. قرأت ما تم إيداعه فيها من معلومات حول الاتفاقيات والمعاهدات التي وقعت في هذا المكان منذ معركة (جالديران 1514) الى يومنا هذا، وجلها كان ضد أماني وآمال وأحلام الشعوب، ومنها شعب كوردستان. اتخذنا واحدة من طاولات كافيتريا القصر المطلة على بحيرة ليمان، اقتربت النادلة من طاولتنا، لحظتها كنت أرنو إلى فندق (بوريفاج) الذي يفصله عن القصر شارع تظلله الأشجار الباسقة وسنادين ومزهريات من الأزهار الملونة، ذلك الفندق الذي اتخذ المؤتمرون مكانا لراحتهم وشهدت صالته الكبرى ذات الأرضية المرمرية أعضاء مؤتمر لوزان يراقصون فيها جميلات لوزان الممشوقات، دون وازع من ضمير (نصف حي نصف ميت) تجاه الشعوب التي كانوا يقررون مصائرها على مزاجهم غير مكترثين بما ينتج عن قراراتهم من ظلم وعسف وتدمير، قدر اكتراثهم بجميلاتهم اللوزانيات. كنت في واد آخر عندما سألتني النادلة عما كنت أرغب في شربه، لما أعادت السؤال بصوت أعلى استفقت من أفكاري، قلت لها عبر ترجمة زميلي جودت: "أرغب في احتساء شراب ينسيني القهر وصور (الأبطال) من الموقعين على مائدة معاهدة لوزان".لم تستوعب النادلة ما كنت أقصده في البداية وعندما شرح زميلي جودت ما كنت أطلبه أجابتني قائلة: (ربما تجده عند ساسة لم يولدوا بعد!).

المحطة الخامسة: 1010/6/19

"انماز" مدينة فرنسية لا تفصلها عن جنيف سوى الأعلام الفرنسية التي ترفرف فوق بعض الأبنية الحكومية حيث لا يشعر المرء عند مروره من جنيف الى انماز بوجود حاجز ما، فأوروبا أصبحت إطارا عاما لـ 18 دولة أوروبية وصار لحامل الفيزا من نوع (الشنكل) حق التنقل بين تلك الدول كما يتنقل في بيته من غرفة إلى أخرى. منظمة (أصدقاء الكورد) ورئيسها البروفيسور (زولير) الذي حضر رغم وفاة أمه في اليوم السابق إلى القاعة المخصصة للندوات والسيمينارات والمؤتمرات الصحفية التابعة لبلدية مدينة انماز الفرنسية ومعه، السيدة (بيركا كانترون) نائبة محافظ

المدينة مع (30) مدعوا من الإعلاميين والمهتمين بالموضوع الكوردي، فرنسيين وسويسريين حيث استعرض البروفيسور (زولير)، في ندوة نظمت بمناسبة وجودي هناك، أهداف جمعيته في تمتين أواصر الصداقة مع الشعب الكوردي واحترام حقوق الإنسان فيه ورحب بوجود صحفي (وكان يقصدني) للتعرف على التجربة الصحفية في كوردستان وأوجه الاختلاف بينها اليوم مع الحال أيام النظام السابق. المتحدثة الثانية كانت السيدة نائبة محافظ انماز أكدت فيها على دور فرنسا في إيجاد المنطقة الآمنة في كوردستان عام 1991 التي أدت إلى الحفاظ على السكان المدنيين وردع النظام السابق ورحبت في نفس الوقت بالاستماع الى ما يدور الآن في كوردستان، صحافة، برلمان، حريات عامة، العلاقة مع بغداد.

وعندما حان دوري وكنت آخر المتحدثين عرفت نفسي للحاضرين وأسباب زيارتي لسويسرا، ثم تحدثت على مدار نصف ساعة حول ما كان يدور من أسئلة واستفسارات وفي ختام الحفل قدمت للبروفيسور زولير ونائبة المحافظ هدايا تذكارية وكانت عبارة عن قطع من السجاد المحفور عليها علم كوردستان ودبكه مختلطة وعلب من حلويات (من السما) لمدينة السليمانية.

المحطة السادسة

في المبنى الكبير للإذاعة والتلفزيون السويسري، في إحدى غرف الطابق الثاني، في الساعة الثانية عشرة ظهرا التقيت (زيريس أوبرج هودلير) السكرتيرة التنفيذية لمنظمة (مراسلون بلا حدود) في سويسرا والتي تضم حوالبي500 عضوا ودار بيننا حديث في بحر ساعة كاملة، كانت مرتاحة للمعلومات التي حصلت عليها مني وأكدت على عدم وجود قانون يخص العمل الصحفي عندهم ولكن هناك قانون ينظم كيفية الحصول على المعلومات وهناك مجلس للصحفيين أعضاؤه من الصحفيين المحترفين المتقاعدين الذين يؤخذ بآرائهم عند حدوث مشاكل، وأكدت أن احترام المهنية هو السائد، ورغم ذلك تحدث مشاكل، وعندما قدمت لها (شعار النقابة) مع شرح وافي لمكونات الشعار الذي يجمع بين الصحافة والقضايا القومية عقبت وأنا أهم بتوديعها

(بوركت جهودكم وأتمنى لكم مزيد من النفس الطويل والمثابرة في سبيل تطوير العمل الصحفي وترسيخ حرياتها).

المحطة السابعة: الجمعة 1010/7/1

في الساعة الواحدة ظهرا كنت وزميلي جودت على موعد مع باتريس موغني وزير الثقافة وصاحب الدعوة. المكان كانت حديقة غناء واسمها (فيفيس) حيث تكثر فيها أنواع الزهور الموسمية مزروعة بأشكال هندسية بديعة في وسط من الأشجار المعمرة، الصفصاف، البلوط، الأرز، جنار وأنواع أخرى أجهلها، والحديقة كانت تجاور حديقة وقصر (جوزمين) زوجة نابليون بونابرت العشيقة، وكانت تطل على بحيرة ليمان من الجانب الغربي، في داخل الحديقة هنالك مبنى ضخم للغاية، مطعم فخم من فئة خمسة نجوم، لحظة دخولنا أشار كابتن المطعم الى مكان في العراء، في ظل شجرة كبيرة وكان محجوزا باسم باتريس موغني، في استقبالنا كان اثنان من المدراء العامين في الوزارة المذكورة والبروفيسور زولير، ولحظة اتخذت مكاني، شاهدت شخصا يتجه نحونا على دراجة هوائية، وعندما اقترب منا كان –لدهشتي– باتريس موغني ذاته الوزير المضياف لا سيارة فخمة، لا حراس، ولا حماية.. قميص صيفي خفيف نصف كم، وصندل قهوائي مفتوح، وبنطلون جينز. ركن دراجته في المكان المخصص دون أن يساعده أحد، ومن بعيد حياني، ثم تصافحنا وحال جلوسه سألني عن برنامجي في الأيام المنصرمة، واستفسر عن مدى ملائمة البرنامج لطموحاتي، وأكد لي بأن اختيار مرور (10) أيام على بدء الزيارة موعدا للقائه معي ناتج عن مشاهداته لمقابلات إذاعية وتلفزيونية أجريت معي، ومتابعة الصحف والجمعيات الصحافية لكي يتسنى له إجراء حوار مكشوف ومعمق على مائدة الغداء، كان نوعا من غداء عمل استغرق ساعتين ونصف الساعة.

الحوار والأحاديث التي جرت أثناء الغداء كانت تكملة لما دار بيننا في كوردستان أثناء زيارته لنا بالإضافة إلى التوضيح والاستزادة في المعلومات المطلوبة من قبلي. أثنيت على سويسرا كونها احتضنت صدور جريدة كوردستان الرائدة للأعداد 6–19 و30، 31 منها وتكلمنا عن العدد المفقود (19) المطبوع في مطبعة (انتقام) في جنيف،

وأوعز إلى أحد المدراء العامين اللذين كانا معنا بمساعدتنا في العثور على العدد المطلوب من جريدة "كردستان". أحاديث وحوارات طويلة جرت بيننا، وفي الساعة 3.45 ودعنا بأمل اللقاء امتطى دراجته، ولوح لنا بيده اليمنى، وسار على الجانب المخصص لسير الدراجات في الشارع المظلل للحديقة حاملا معه في السلة المثبتة في مؤخرة الدراجة الهدايا التي قدمتها له عند الانتهاء من تناول الغداء وأخذنا عدة صور تذكارية بالمناسبة.

المحطة الثامنة: 1010/7/6

في العاشرة من صباح هذا اليوم كانت وجهتنا العاصمة بيرن وتبعد عن جنيف مسافة 190كم، وكان القصد زيارة صديقنا الأخ د. بيروت أحمد الذي أصبح بعد التعيينات الجديدة سفيرا للعراق في سويسرا. وبيرن مدينة ذات تضاريس جميلة ويشق وسطها نهر سريع الحركة بفعل طوبوغرافية أرض المدينة، وفي شارع السفارات الذي يتصف بهدوء لافت دخلنا السفارة من أوسع أبوابها دون خوف أو ارتباك من بناية السفارة وشاغليها، بعكس أوضاع السفارات والقنصليات العراقية أيام النظام السابق، التي كانت لا تختلف عن أبنية مديريات الأمن والاستخبارات على حد قول الزوار من المواطنين العراقيين المتواجدين خارج العراق، حيث كان السفراء يختارون من قبل المديرية العامة للمخابرات السيئة الصيت. وعندما دخلنا غرفة السفير لم نر صورة (القائد الضرورة) بل كانت مكانها صورة للأستاذ جلال الطالباني رئيس جمهورية العراق الفيدرالي وتذكرت الآية القرآنية الشريفة (وتلك الأيام نداولها بين الناس) التي لم تخطر يوما ببال الدكتاتور السابق، الذي ذهب غير مأسوف عليه، تلاحقه لعنة العراقيين. ومن محاسن الصدف أن يكون هناك في العاصمة بيرن نفسها، وعلى مقربة من السفارة العراقية، مقر مكتب حكومة إقليم كوردستان، وسط حديقة غناء يرفرف فوقها وعند جوانبها (علم كوردستان المقدّس)، وكان الدكتور فوزي قدور من كوردستان سوريا وهو طبيب أسنان يبذل جهودا كبيرة في التوفيق بين عمله المهني والسياسي، تساعده في ذلك زوجته السويسرية التي لا تفارق وجهها الابتسامة، وعندما جمعتنا مائدة واحدة في مطعم إيراني أنيق مع د.بيروت والطيب

فوزي قدور وزوجته وزميلي جودت خيرنا جودت فيما نأكله ونصحني بأكلة البيتزا بجبن يشبه الجبن الكوردي. كان مدار حديثنا في السفارة العراقية (وقنصلية كوردستان) وفي المطعم الإيراني، مستقبل العراق السياسي وسط الأمواج المتلاطمة من أهواء الساسة العراقيين الذين لازال (المفهوم الديمقراطي لحكم العراق) غائبا عن عقولهم، وكأن النظام الدكتاتوري الذي دام 35 عاما ما يزال يلاحقنا. قلت مع نفسي عندما ودعنا مساء ضيوفنا أمام (قنصلية كوردستان) (ليحفظك الله يا كوردستان من شر وسواس الساسة والسياسة) وعندما غادرنا بيرن العاصمة كانت شوارعها خالية من المارة والسيارات لانشغال الناس بمشاهدة مباريات كأس العالم لكرة القدم.

المحطة التاسعة: 1010/7/8

في نادي الصحافة السويسرية الواقع وسط غابة مقابل فندق (انتركونتنتال) كان الصحفي ورئيس نادي الصحفيين السويسريين ورئيس الدورة الحالية لبرلمان كانتون جنيف (GUY METTAN) في استقبالنا، طلب لنا الشاي والقهوة، ثم بادرني بسؤال: هل يوجد مثل هذا النادي في كوردستان أو العراق؟ وكان جوابي لا. وذكرت له بالتفصيل تاريخ بدء الصحافة الكوردية منذ 11 نيسان عام 1898 أي قبل (111) عاما، وهو زمن ليس بالقليل، ولكن عبر هذا الزمن المتطاول لم يتسن لصحفيي كوردستان تأسيس مثل هذا التنظيمات المهنية، بفعل الاضطهاد والمظالم التي تعرض لها الكورد على مر التاريخ، ثم شرحت له بالتفصيل ميلاد نقابة صحفيي كوردستان ومشاريع القوانين الثلاثة التي قدمت من قبلها إلى برلمان كوردستان وأصبحت في النهاية قوانين نافذة ومن أهمها (قانون العمل الصحفي في كوردستان)، وأهميتها في الوقت الحالي كمنظم للعمل الصحفي حيث قدمت له نسخة منه باللغة الإنكليزية مع هدايا أخرى ذات طابع كوردستاني بالإضافة إلى علم كوردستان. وشرح لي هو بالتفصيل وجود نقابتين للصحفيين أولاهما نقابة للصحفيين من أرباب العمل وأصحاب امتياز الصحف والمجلات ومدراء محطات الإذاعة والتلفزيون، وثانيهما نقابة للعاملين أي الصحفيين الذين في المؤسسات الإعلامية والصحفية، وقد برر وجود النقابتين بكون وجود تناقض بين أصحاب وأرباب العمل الصحفي، مع شغيلة

الصحفيين وعندما ذكرت له بأن أصحاب العمل (أصحاب الامتياز ومدراء الإذاعة والتلفزيون) من الصحفيين تجمعهم عندنا نقابة واحدة مع عموم الصحفيين، علق مستغربا(يبدو أنكم قضيتم على التناقض الموجود بين الفئتين) واستطرد بأن هناك طرفا ثالثا بين النقابتين، هو مجلس الصحفيين، الذي يضم الصحفيين المحترفين المتقاعدين حيث ينتخبون كل ثلاث سنوات مجلسا يقدم الاستشارات للنقابتين وللمحاكم وأن آراءهم راجحة وموضع قبول عند حدوث مشاكل للصحافة والصحفيين، تمنيت في النهاية حضوره في مؤتمرنا القادم للنقابة لكي يشرح هذه التجربة الغنية بالدروس لصحفيينا.

والمحطة ما قبل الأخيرة هي إجراء حوار مصور مسجل بين البروفيسور زولي رئيس جمعية أصدقاء الكورد وبيني استمر ساعة كاملة ومعنا الزميلين جودت صوفي وكاردو محمد. كاردو الذي اصطحبني إلى (قصر الأمم) المقر الأوروبي لمنظمة الأمم المتحدة ومنظماتها المتعددة، والتي تفتح أبوابها للزائرين بداية شهر نيسان إلى شهر تشرين الأول من كل عام من الساعة 10 صباحا إلى 11 ظهرا، ومن الساعة الثانية بعد الظهر لغاية الساعة الرابعة منه، وقد يجد الزائر حال دخولها الطاقم الإداري لتنظيم الهوية الخاصة للزيارة بشكل مجاميع مقابل (10) دولارات كرسم دخول، مع وجود مترجمين باللغات الفرنسية والإنكليزية والألمانية حيث يرافقك مترجم محنك يتجول بك بين أروقة وقاعات المكاتب الموجودة في ثنايا البناية المرمرية الضخمة، والتي تطل على المناظر الخلابة للمدينة (بحيرة ليمان وجبال الألب)، بيد أنني لم أجد في فخامة البناية وأناقة مكاتبها وأثاثها واللوحات الجدارية الرائعة التي تصور معاناة الإنسان من الظلم والاضطهاد بريشة فنانين كبار أي أثر لمناصرة القضية الكوردية في يوم ما رغم كونها تحمل اسم (قصر الأمم؟!).

المحطة الأخيرة لزيارتي إلى بلاد الطبيعة الخلابة بكل ما تعنيه من معاني السحر والجمال، والتنظيم الحياتي الدقيق كدقة ساعاتهم، والشعب الذي يحترم القانون إلى أقصى درجة، والمحب للعيش الهادئ رغم الفوضى التي يحدثها هنا وهناك الأجانب والغرباء الذين لا يحترم كثر منهم قوانين وعادات وقيم بلد يسبقنا بثلاثمائة سنة على حد قول البروفيسور زولير في حواره معي عندما قال لي في نهاية الحوار (سعيدا أكون

عندما أراك سعيدا وتمدح كوردستان كأنها ولدت من جديد ولكن يا عزيزي لقد مرينا بهذه المرحلة قبل ثلاثمائة سنة من الآن). كانت زيارات أطباء العظام والعيون والغدد الصماء تتخلل المواعيد الرسمية واللقاءات التي أجريتها وكان مسك ختام زيارتي لهذا البلد الأنيق في كل شيء، زيارة إنسان كان يوما ما صوتا مسموعا في أوروبا ممثلا عن الزعيم الخالد البارزاني مصطفى وثورة أيلول الكبرى وهو (عصمت شريغ وانلي) الذي يعيش منسيا من لدن الكورد جميعا مع زوجته (كارمن) بعد حياة حافلة في الدفاع عن الكورد وكوردستان في شقة صغيرة في الطابق السابع لبناية تطل نافذة شقته، لسخرية القدر، على مدينة لوزان وقصر (اوش) الذي وقعت فيه معاهدة لوزان، (وانلي) الذي حارب بكل جوارحه آثار ونتائج هذه المعاهدة، يجد نفسه في جيرة ما منها بد مع رمز هذه المعاهدة.. قصر (أوش) في مدينة لوزان!!.

"مقهى آخر.. طريق آخر.. يوم آخر.."

سأضيف إلى سفرتي يوما آخر..
يوما لن أكون محتاجا فيه إلى تأشيرة من نوع شنكل
ولا موافقة داخلية كانتون جنيف..

يوما أمضيه صحبة الأصدقاء الذين تعرفتهم هناك، في بلاد بحيرة ليمان الرائعة، وعرفتهم بالكاد، ثم غادرتهم قبل أن نأخذ كفايتنا من الثرثرة والتذكر والتبسط والحلم والإنشراح، وقبل أن نتذوق طعم صداقتنا الجديدة.

يوما آخر نمر به من غير أن نكون مثقلين بالتزام ما.. موعد رسمي.. أو برنامج للقاء إذاعي أو تلفزي.. أو ندوة أو حوار.. او زيارة رسمية، نمر على تلك الأماكن ذات الجمال الأسطوري الخلاب، ونتوقف عندها مطولا، نغرف منها حتى الشبع، إن كان للجمال حدودا من شبع.

عبورنا السريع في تلك الأماكن ضمن برنامج الزيارات المكثف لم يتح لنا عيش تجربة الجمال في معابد الطبيعة تلك بما يكفي من العمق والخشوع. لقد كان مرورنا السريع.."شم ولا تذوق"، يترك في نفسي حسرة أليمة وفورة حنين. لشد ما أنهكتنا تلك الالتزامات أيها الأصدقاء، ولكم كان لطفكم سخيا وغامرا، ويوم غادرتكم إلى أربيل لم تغادرونني لحظة واحدة.

الصديق (جودت صوفي) كان لقائي الأول به يوم زار كوردستان مع وزير الثقافة في كانتون (إقليم) جنيف (باتريس موني) في ( ) وكان يترجم بطلاقة أقوال وكلمات الوزير السويسري من الفرنسية الى الكوردية وبالعكس أثناء زياراته إلى المؤسسات الثقافية والصحفية ومنها مقر نقابة صحفيي كوردستان، وعندما وجه الوزير السويسري دعوته لنا بزيارة سويسرا عبر رسالة رقيقة كان لجودت دوره في تسهيل ونجاح الزيارة من لحظة وصولي الى مطار جنيف الى يوم مغادرتي لها، حيث كان زميلا ومترجما وملازما لي طيلة (15) يوما في اللقاءات الإذاعية والتلفزيونية والزيارات الرسمية، وفي التعرف على بعض الشخصيات المهمة، وخلال زيارتي إلى إيطاليا والتي

استغرقت أربعة أيام حيث تجولنا معا بين الآثار الرائعة للفن المعماري الأخاذ في (الفاتيكان) واستمتعنا بيوم جميل بمدينة (فينيسيا) ذات الجمال والطبيعة الاسطورية، ولن أنسى أكلات زوجته السويسرية (أستيل) ومنها أكلة (التمن) على الطريقة الكوردية وتضحيتها بعدة أيام من إجازتهم الصيفية لكي يتفرغا معي في تجوالاتنا المتعددة.

صديقي جودت يعود في الانتماء الى مدينة (كويه) المدينة العريقة التي عاصرت الأهوال والمصائب والأمجاد والإهمال، مواليد 1960 وقد تركت عائلته كويه الى كركوك، وبعد عدة سنوات استقرت في أربيل حيث حصل على شهادة الإعدادية. وبسبب انتمائه الى إحدى حلقات اليسار السر ية، تعرض للملاحقة من جانب الأجهزة الأمنية إثر انكشافها، فاتجه صوب أوروبا، ايطاليا تحديدا، ووصلها بمشقة كبيرة، حيث استقر أربع سنوات هناك، ورحل من ثم إلى جنيف، ويعيش فيها منذ ربع قرن، وقد حصل على شهادة الدبلوم في علم الاجتماع، وينوي تكملة الدراسة في هذا المجال.جودت رغم استقراره في جنيف وزواجه الناجح من فتاة سويسرية رائعة ومضيافة ولكنه (يحن) إلى كوردستان، ويفكر على الدوام في العودة الى ربوعها، ان وجد عملا فيها!.

الصديق (كاردو محمد) الشاب القادم من السليمانية والذي استطاع بحيويته أن يجد وظيفة في مطار جنيف، أخذ على عاتقه تصوير سيمينار مدينة انماز الفرنسية، ولقائي مع البروفسور زولير، وفي زيارتي المقر الأوروبي لمنظمة الأمم المتحدة في جنيف كان برفقتي. وقد صعد معي داخل الطائرة لتوديعي عند مغادرتي لمدينتهم، ومعه هدية كانت لوحة صينية فوتوغرافية كبيرة جلبتها زوجته (الصينية) من بلادها في آخر زيارة لها.

(لقمان) هو الصديق الثالث، هاجر من دهوك منذ ما يقارب عشر سنوات بنية العودة إليها بعد تحسن أحواله الشخصية، أبى أن يتركني لوحدي في (فندق سيلازا) عند انتهاء الزيارة الرسمية بعد مرور الاسبوعين، ولازمني في كل مكان، واستضافني كريما في شقته المطلة على نهر "رون" ذي اللون الأخضر . كنا نمعن بلا ملل أو رواء

النظر في تلك الأجواء السحرية، ونحن في البالكون نتسمع ليلا إلى الأغاني الكوردية عبر الإذاعات الكوردستانية على شبكة الانترنيت.

من منا في وسعه أن ينسى، ثمانينات القرن الماضي، صوتا جهوريا هادرا وهو يردد على مسامعنا عبارة (هنا إذاعة صوت كوردستان–إيران) ساردا أخبار ونشاط ثوار الكورد في شرقي كوردستان. كان صوته القوي يضفي على البلاغات والتعليقات والأخبار بعدا أكبر لجهة التضخيم والتجسيم والتأثير. صاحب هذا الصوت هو اللاجئ السياسي الآن في بلاد الحضارة الصامتة (أحمد شير بكي). حيث يقيم مع زوجته كلثوم وأولادهم في شقة متواضعة ولكنها مضيافة بأصحابها. لقد أمضينا فيها مع جودت وزوجته أمسية جميلة حول مائدة عامرة، كانت تتخللها أحاديث (أحمد شير بكي) عن ذكرياته يوم كان يتابع بصوته وعواطفه في (الاستوديو المتواضع) في سفح إحدى جبال كوردستان، نشاطه الإعلامي الخطير.

سأضيف أيها الأصدقاء إلى المقاهي الباذخة الأناقة على ضفاف بحيرة ليمان مقهى آخر لثرثراتنا وذكرياتنا..

وإلى شبكة الطرق النظيفة في جنيف طريقا آخر يتسع لخطانا، نزهاتنا وأحلامنا..

يوم آخر، مقهى آخر، طريق آخر..

ماذا يتبقى من تلك الزيارات المثقلة بالبرامج الرسمية غير الحنين.. لحظات . صور تصلح دائما ، وسط عناءات العمل اليومي الصحافي والإعلامي والنقابي، أن تكون مفاتيح لحلم عشوائي بعيد المنال. وكلما بعدت المسافة بين المرء والأماكن التي زارها، يجد ملاذه في حيز الذاكرة والكتابة والحلم.

وها آنذا القلم بيدي استنطق ذاكرتي، واقفا أمام صورة تشبهني، متسائلا: هل كنت حقا هناك..؟

أم كان كل ذلك مجرد حلم..؟

الحرص على المال العام..
من ساسون حسقيل الى جلال عمرسام آغا.. وللتاريخ لسان

عند تأسيس الدولة العراقية عشرينات القرن الماضي وتشكيل أول وزارة لها والتي سميت بالوزارة النقيبية الأولى في 1910/11/15 اختير الخبير المالي المحنك في الشؤون المالية والحسابية (ساسون حسقيل) وكان يسمى أحيانا بـ (ساسون أفندي) أول وزير للمالية في الدولة العراقية الحديثة، ونظرا لإخلاصه ونزاهته ودرايته بالأمور المالية اختير في الوزارة النقيبية الثانية 1911/9/11 والوزارة النقيبية الثالثة 1911/9/10 وفي وزارة عبد المحسن السعدون في 1911/10/18 والوزارة الهاشمية الأولى (ياسين الهاشمي 1914/8/1) والمرحوم ساسون حسقيل عراقي المولد ينتمي الى الطائفة اليهودية. ولد في العراق وعاش ومات. عفيف اليد واللسان. ويحكى في أخبار ذلك الزمان أن حوارا جرى بينه وبين المرحوم ناجي السويدي الذي كان وزيرا للداخلية في الوزارة السعدونية الأولى. الحوار كان على مبلغ 45 دينارا ضمن التخمين الإجمالي الذي قدمه ناجي السويدي إلى وزير المالية لترميم بناية (القشلة) التي كانت ثكنة عسكرية في السابق وأصبحت من ممتلكات وزارة الداخلية، ودار على النحو الآتي:

ناجي السويدي: سيد حسقيل لماذا اقتطعت (45) دينارا من الـ(300) دينارا المخصصة لترميم بناية القشلة وفق تخمينات المهندس المسؤول.

ساسون حسقيل: يا ناجي أفندي ناقشت هذه المسالة مع المهندس في موقع العمل ودار بيني وبينه حديث طويل وتوصلنا إلى نتيجة مفادها بأن (155) دينارا تفي بالغرض.

ناجي السويدي: خلف الله عليك ساسان أفندي أليس بالإمكان إعادة مبلغ التخمين إلى (300) دينارا، إن القشلة من المعالم التاريخية لبغداد.

ساسون حسقيل: يا سيدنا ناجي أفندي إن الحفاظ على المعالم التاريخية في بغداد يجب أن يكون متوازيا مع الحفاظ على المال العام، وبعيدا عن الإهدار. إن الإهدار يجعل من المال (سائبا) والمال السائب يعلم السرقة.

وانتهى الموضوع بعدما أيد المرحوم عبدالمحسن السعدون رئيس الوزارة وجهة نظر وزير ماليته ساسون حسقيل.

.....

في حوار استطلاعي لإحدى القنوات التلفزيونية العراقية، وما أكثرها هذه الأيام، حول معاناة الفرد العراقي وما يراه مناسبا من أجل الوصول إلى تشكيل حكومة جديدة في بغداد، أجاب مواطن من البصرة، وكان مكتويا بحرارة الصيف المتوحشة، وجهنم انعدام التيار الكهربائي: رحم الله فيصلا* الذي قال في إحدى المناسبات:"لم أجد شعبا عراقيا، بل وجدت طوائف وقبائل متجاورة في الأرض لها مصالح متباينة" ولهذا الواقع تداعيات كارثية معروفة، ومستمرة، لأن ثقافة وقيم الطائفة والقبيلة التي لا تعترف بغيرها، ولا ترى في الوطن قيمة أعلى من مصلحة الطائفة والقبيلة، لم يجر تجاوزها عبر ما يقارب قرن من الزمان، بل رحلت إلى الأحزاب والكتل السياسية الفاعلة عندنا على الأرض والتي وجدت في الانتخابات متنفسا ورئة جديدة، وتحولت مصالحها وتطلعاتها الأنانية إلى عقدة وطنية تهدد البلاد والعباد، وتنذر بأسوأ العواقب. والأنكى من ذلك فإن الحكومات التي تعاقبت على حكم البلاد منذ سقوط النظام السابق، لم تستطع وأقول جازما، لم تستطع توفير المواد التموينية والموزعة حسب البطاقات التموينية فمن بين مجمل المواد المدرجة في القائمة لا يحصل المواطن العراقي إلا على مادة أو مادتين في الشهر وبنوعية رديئة جدا. إن المبالغ التي تخصص لشراء هذه المواد ذات أرقام فلكية مخيفة، فأين تذهب يا ناس..؟! ولا أجد في النهاية إلا أن أردد في سخط عاجز وأسى حزين مع الشاعر معروف الرصافي:

علم ودستور ومجلس أمّة كل عن المعنى الصحيح محرّف

.....

بكلمات وجمل وداعية مؤثّرة ونابعة من القلب غادر الأخ الصديق جلال عمرسام آغا رئيس ديوان الرقابة المالية في السليمانية منصبه بعد أن قضى مدة تناهز السبعة أعوام في هذه المهمة الوظيفية الحساسة تاركا (1800) تقريرا ماليا عن أنشطة ديوان الرقابة المالية وفعاليات وأوجه الصرف فيه مع بيان الصالح والطالح منها من منطلق حسابي ومالي شفاف لا نظير له. وبحكم معرفتي به إذ تعود صداقتنا إلى أيام ثورة

أيلول الكبرى حين عملنا معا في الأمانة العامة للثقافة والإعلام والشباب وقتها كان الكل يهابونه، وينظرون إليه باحترام شديد لأنه لم يسمح طيلة عمله هناك لأي كان أن يتجاوز عليه حسابيا وكان لسان حاله يقول لمراجعيه، قبل أن يقول لسانه: إن ثورتنا بحاجة إلى دينار واحد لشراء طلقة. هل كان (كاكه جلال) يتماهى مع سلوك المرحوم ساسون حسقيل..؟ لا أظن ذلك، بيد أنه كان شديد الإيمان بما يفعل، وضرورته لانتصار الثورة، وبناء البلاد فيما بعد على أسس سليمة. لكنها استنتاجاتنا نحن الذين نستنطق التاريخ. الرحمة لساسون حسقيل وألف تحية للأخ جلال سام آغا الذي ودع منصبه ووظيفته بهذه الكلمات:"ان حكم التاريخ يختلف عن حكم المسؤولين لأن التاريخ لن يصرف النظر عن الفساد والمفسدين ولن يرفع مقامهم بل وبالعكس من ذلك إن منطق وقلب التاريخ صلب إلى درجة لن يتلفت إلى هؤلاء وللتاريخ لسان".

المواطن البصري الذي جاهر على شاشة قناة تلفزيون عراقي بهذا البيت الشعري (كل عن المعنى الصحيح محرف) لم ولن يكون ضد الدستور ولم ولن يكره العلم العراقي، وقد ساهم أيضا في انتخاب أعضاء مجلس أمته (البرلمان)، ولكن المعاني الجميلة للدستور والعلم ومجلس الأمة لن تجدي نفعا بالنسبة لمواطن يعيش في بلد ينعدم فيها الأمان أولا والكهرباء ثانيا والمواد التموينية ثالثا والاستقامة في الحياة والسياسة رابعا والاستحواذ على المال العام خامسا وسرقة قوت الشعب سادسا وعدم التمييز بين الأدوية الطبية الأصلية عن غيرها المزورة سابعا وانعدام العدالة الاجتماعية ثامنا وعدم احترام إرادة الشعب تاسعا وغياب الأمان الشخصي والقتل على الهوية عاشرا.

إنها تساؤلات مشروعة نابعة من قلوب الناس وعقولهم..فهل من أجوبة..؟ هل نحن أبناء أمة عراقية حقا نتقاسم سراء الحياة وضرائها..؟ أم أننا ما نزال عند تلك اللحظة التي شخصها الملك فيصل الأول..؟ لسنا أمة بل مجموعة من طوائف وقبائل متجاورة في المكان متخالفة في همومها ومصالحها وتطلعاتها.

*(الملك فيصل الأول الذي تولى العرش العراقي عند تأسيس الدولة العراقية في بداية عشرينات القرن الماضي).

التعريب والاستيطان وجهان لعملة واحدة

في السادس من شهر شباط عام 1970 جمعنا لقاء هام نحن أعضاء التنظيم المركزي لطلبة كوردستان مع القائد الراحل البارزاني في قرية ديلمان دام زهاء ست ساعات تخلله حديث ودي من القلب إلى القلب على شكل حوار هادئ حول القضايا الساخنة في الساحة السياسية العراقية آنذاك، وفي المقدم منها المفاوضات التي كانت جارية بين قيادة ثورة كوردستان والحكومة العراقية، وقد استطلع البارزاني مصطفى الخالد منا عما نفكر فيه نحن طلبة كوردستان واتحادهم اتحاد طلبة كوردستان والتصورات المستقبلية من منظورنا لحل القضية الكوردية وعما يدور في بغداد و ملاحظات عن بعض الكتابات الصحفية، التي نشرت تحت عنوان (كيف السبيل إلى حل المسألة الكوردية) وعندما حان دورنا للاستفسار من سيادته عن مجريات المفاوضات مع الحكومة وأين وصلت قال لنا: العقدة المستعصية هي مسألة كركوك، وقد سألته أنا بدوري (ألا يوجد حل وسط بالنسبة إلى كركوك) هنا احتد البارزاني في جلسته وقال لنا (الكل يعلم أن كركوك مدينة كوردية وهي قلب كوردستان النابض ولن نقبل بأنصاف الحلول بشأن هذه المدينة ولن نتنازل عن شبر واحد من أرض كوردستان وأننا على يقين من أنكم مطلعون ماذا حل بـ(ألاسكا) المقاطعة الروسية السابقة والأمريكية حالياً، القياصرة الروس باعوها وتنازلوا عنها جراء فعلتهم تلك لأمريكا لقاء ثمن بخس، حدث هذا منذ زمن ولكن سكانها ما زالوا يلعنون قياصرتهم حتى اليوم وأنا غير مستعد الآن ولا مستقبلاً على المساومة ولن أتحمل لعنة التأريخ وسأقابل ربي يوم القيامة مرفوع الرأس (كان يتكلم بثقة عالية والكلام كان يصدر من قلبه وشعرنا بأنه لن يتزحزح عن موقفه مطلقاً وهنا أشعل سيجارة أخرى واستراح للحظات قليلة) ثم عاود حديثه قائلاً: نحن لسنا مهتمين بالشكليات ولا تهمنا التسميات ولكن الأهم في نظرنا تثبيت الحدود الجغرافية لكوردستان ضمن أرض العراق).

بعد الانقلاب الدموي في الثامن من شباط عام 1963 التحق جمع من الضباط التقدميين الذين كانوا محسوبين على الحزب الشيوعي العراقي، الذي تعرض إلى أبشع

هجوم فاشستي راح ضحيته الألوف من كوادره، مدنيين و عسكريين. أما الناجين منهم فقد انضم قسم منهم إلى قوات الثورة في كوردستان وانخرطوا في صفوف فصائل الأنصار، في مناسبة وطنية تواجد بعض هؤلاء الضباط العرب التقدميين مع زملاء لهم في قوات الأنصار في مدينة قلعة دزه حيث وزع شباب تنظيمات لجنة محلية قلعة دزة للحزب الشيوعي العراقي الحلويات ملفوفة بأوراق كتب عليها شعارات وطنية، وعندما التقط المرحوم (سليم الفخري) قطعة حلوى، وكان من الضباط العرب الشجعان، وقرأ ما كتب على الورقة التي كانت تلفها، وكان الشعار المعروف (عاشت الأخوة العربية والكوردية إلى الأبد) هنا قال سليم الفخري بصوت ساخر موجها كلامه إلى رفاقه الكورد قبل مضغ الحلوى:"نحن العرب صار أربعين سنة نضربكم بالقنابل، وانتم تنادون بالإخوة العربية الكوردية، الأخوة في منظوري هي التساوي مساواة كاملة في كافة الحقوق والواجبات وخارجها مجرد كلام سياسيين كذابين لا يمتون بصلة مع مصالح الشعب العراقي، أين هي حقوقكم يا ناس؟!"

في الحوار الذي كان جاريا بين قيادة الجبهة الكوردستانية والحكومة العراقية (في ربيع عام 1991) قال طارق عزيز مدلل صدام حسين الذي يبرئ نفسه الآن من (جرائم العصر) التي ارتكبت من قبل حزبه بحق الشعوب العراقية، قال كلاما خطيرا بصدد كركوك، وكان يرمي إلى نشر روح اليأس لدى الكورد، أسجله هنا للتاريخ (ليس لكم في كركوك سوى حق البكاء عليها عندما يصادف مروركم فيها كما نبكي نحن العرب اليوم ضياع الأندلس).

البارزاني مصطفى لم يكن يثق مطلقا بالحكّام العراقيين الملكيين منهم والجمهوريين، والبعثيين خصوصا نتيجة تجاربه المريرة معهم عبر عقود من الحوارات والمفاوضات وأشكال التماس والاحتكاك الأخرى، وعندما سألناه عن المشاكل التي تجابه المفاوضات الجارية قبل الوصول إلى اتفاقية 11 آذار عام 1970 قال لنا (كركوك هي العقدة المستعصية) وكان الرجل جادا وصادقا في التشخيص. كركوك وبعض المناطق المغتصبة الأخرى ستبقى عصية على الحل من منظور الفكر الاستيطاني العربي الذي لا يزال يبكي ضياع الأندلس وهي لم تكن أرضا عربية أصلا، ولكن هذا الفكر ممثلا في سياسة التعريب لا يمكن استئصاله بسهولة من

الأدمغة المتحجرة والغائبة عن الوعي منذ قرون. بينما ما تزال تتردد على لسان الكورد مقولات المصير المشترك والأخوة العربية الكوردية في حين تستمر الحكومات في بغداد في تعاملها معهم (أي مع الكورد) بإتباع سياسة (الضرب بالقنابل) بأشكال مختلفة أخرى كالسير على سياسة صدام حسين والتمسك بنهج استمرارية التعريب في المناطق التي سميت (بالمتنازع عليها)، وكلها تذكرنا بمقولة طارق عزيز التي كانت تدعو الكورد إلى اليأس والاكتفاء بالبكاء عليها حنينا عندما بها يمرون.

ساسة ما بعد سقوط النظام الفاشي لا يختلفون عن الساسة والحكام الذين كانوا قد ارسوا قواعد التعريب بالشكل الناعم في العهد الملكي وبالشكل الحار والحار جدا زمن الحكم الجمهوري وخاصة في العهدين البعثيين (1963-1964) (1968-1003) لأنهم يمارسون طقوس التعريب ذاتها كل على طريقته (والأمثلة كثيرة لا تعد ولا تحصى) إنهم من منظور أخلاقي وسياسي وديني لا يختلفون عن دعاة ومطبقي سياسة الاستيطان في (القدس) خاصة وفي فلسطين عامة وإن الاختلاف ينحصر في التسمية لأن التعريب هو الاستيطان في أرض الغير بالقوة. إن العقدة المستعصية في حل المشاكل العالقة بني كوردستان وبغداد هي استمرار تعريب كركوك ومندلي وجلولاء وسعدية ومخمور وسنجار وغيرها من المناطق المغتصبة والتي تتطابق في تصادف زمني ذي معنى، وإيقاع تاريخي يحفل بالدلالات، مع استمرار الاستيطان الإسرائيلي في القدس، والتي أصبحت هي الأخرى العقدة المستعصية بين القيادة الفلسطينية وحكام إسرائيل.

وكلمتي الأخيرة هي نصيحة أوجهها لما يسمى بـ(علي بابان) وزير التخطيط في الحكومة العراقية بأن يكف عن استعمال لقب بابان منذ الآن لأن الشخصيات والأسر البابانية الوطنية تبرأت منه علنا وإنهم سوف يرفعون لدى المحاكم دعوى ضده مستقبلا أن هو تمادى في استعمال لقب بابان. إن البابانيين الحاليين هم أحفاد إبراهيم باشا وسليمان باشا اللذين أرسا (إمارة بابان) الكوردية في جزء من أرض كوردستان وهم يحتقرون كل من يساهم في تكريس التعريب. إذا لم يكن بابانيا بالأصل وألصق نفسه بهم كذبا وبهتانا لكي يمرر ويكرس التعريب بشكل يضمن نجاحه بطريقة ناعمة بموافقته على حذف فقرة القومية من استمارة البيانات المعتمدة في العملية الإحصائية

التي تم تأجيلها من قبله أيضا، بذرائع سخيفة للغاية جعلته يدخل بجدارة موسوعة المساهمين في عملية التعريب _ الاستيطان سيئة الصيت والتي تجابه بمقاومة بطولية هنا في كوردستان وهناك في فلسطين، مقاومة تتمحور على (إزالة آثار العدوان وإرجاع القديم إلى قدمه وحرية الشعوب وحقها في تقرير مصيرها)، فليتوقف عن هذا اللعب السمج، وليعيد صياغة هوية جديدة لنفسه، تتناسب ومواقفه، لأن الانتماء ليس لقبا نحمله بقدر ما هو مواقف تبرهن عليه وشعوره بالانتماء.

والسلام على من اتبع الهدى..

حق تقرير المصير كما نفهمه.. لا كما يفهمه الآخرون..

في مذكراته المطبوعة في لندن عام 1001 يذكر الأستاذ بهاء الدين نوري الذي كان سكرتيرا للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي ما يلي:"في أواخر عام 1951 نشأت لدي فكرة تعديل الميثاق الوطني –برنامج الحزب الشيوعي– الذي كان قد أقر قبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية في عام 1945 وأخذت على عاتقي مهمة الصياغة الأولى معتمدا وثيقة 1945 كأساس محافظا على شكلها المختصر الواضح، الذي كنت معجبا به، أبقيت العديد من بنودها دون أي تعديل لأني لم أر ما يوجب التعديل لكني أجريت تعديلات رئيسية حول القضايا الاستراتيجية –حول السلطة والمسألة القومية الكوردية"

تضمنت صيغة الميثاق القديم فكرة اعتبار الشعب الكوردي أقلية لها الحق في المساواة، ولم تتضمن أية إشارة إلى أن هذا الشعب يشكل أمة ثانية في العراق، وأن لهذه الأمة حقها في تقرير المصير. وأظن أن هذه الصياغة جاءت في وقت لم تكن المشكلة الكوردية في العراق متبلورة بوضوح، ومطروحة في برامج العمل الوطني، وان التنظيمات الحزبية–الشيوعية بين الأكراد العراقيين لم تكن قد وصلت إلى مستوى من النضج يؤهلها لعرض قضية هذا الشعب عرضا مدروسا صحيحا، وبدلا من نسخة الميثاق القديمة تضمنت الوثيقة المعدلة والتي عرفت بـ(ميثاق باسم) نسبة إلى الاسم المستعار الحزبي للسيد بهاء الدين نوري فكرة حق تقرير المصير للشعب الكوردي في العراق.

(كورد العراق) كتاب ألّفه (محسن محمد المتولي) وصدر عن (الدار العربية للموسوعات) 368 صفحة ويقيمه ناشر الكتاب كونه (دراسة علمية موسعة عن الكورد وتاريخهم منذ نشأتهم على الأرض) حيث يقول المؤلف في الفصل الأخير من كتابه المعنون (الخاتمة) مايلي:

ولقد توصلت هذه الدراسة إلى عدة نتائج وهي:

(إن المشكلة الكوردية في العراق موروثة من العهد العثماني والتصقت بالدولة العراقية منذ أن أصبح العراق، بموجب مقررات دولية، دولة وكيانا سياسيا بعد الحرب

العالمية الأولى، وهكذا ربما يكون مشروعا جدا ومبررا أن تقاوم الحكومة المركزية في العراق أي عدوان مسلح أو بؤرة متمردة وأن تقف في وجه أي دعوات انفصالية وأن تعتبر كوردستان جزءا من الوطن العراقي أي الدولة العراقية، لكنه ليس مشروعا أبدا ولا صحيحا الادعاء بأن كوردستان جزء من الوطن العربي ففي هذه الحالة تختلف الصورة تماما لأن الوطن العربي هو كيان قومي محدد، وليس كيانا سياسيا أي دولة بذاتها. ومن وجهة نظر علمية تاريخية كان للكورد دائما وطنهم القومي، ولكن ذلك الوطن تعرض في مراحل تاريخية معينة للغزوات الخارجية وكان أخطرها وأشدها تأثيرا الغزو الفارسي العثماني لأنه استهدف تجزئته وتقسيمه واقتسامه وضمه إلى طرف واحد، وتكريس هذا الضم). في الكلمة التي ألقاها الأخ مسعود البارزاني رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني أمام السادة ضيوف وأعضاء المؤتمر الثالث عشر للحزب الديمقراطي الكوردستاني قال نصا:"لقد أكدت المؤتمرات السابقة للبارتي أن الشعب الكوردي واسوة بكل شعوب العالم له حقه المشروع في تقرير مصيره كما أن الحزب يعتبر نفسه اليوم هو المطالب بحق تقرير المصير ويعتبر تحقيق هذا الهدف في المراحل اللاحقة وعبر النضال السلمي والعصري أمرا مشروعا، كما أن هذا المطلب سيطرح أمام مؤتمرنا هذا كجوهر ومنطلق منهاجه النضالي الراهن والمتمم لمسيرته النضالية في مراحلها السابقة للبحث والمناقشة واتخاذ القرار المناسب بشأنه".

وائل عبد اللطيف أو القاضي وائل زاملته في دورة برلمانية سابقة (الجمعية الوطنية العراقية) عام 1005 ولم أتعود رؤيته يوما بوجه ضاحك بشوش، كان على طول الخط متشنجا في مداخلاته، متوترا وعابسا. بحسب وكالة (اورنيوز) أدلى هذا القاضي العابس في 1010/11/13 بآراء ربما لا تختلف كثيرا عن سفاهات (طه ياسين رمضان) بشأن الكورد عندما كان يتباهى بقوة جيش سيده الجدار (صدام حسين) في القضاء على الجيب العميل).

انظروا كيف وصف وائل عبد اللطيف السياسيين العراقيين الذين شاركوا في حفل افتتاح مؤتمر الحزب الديمقراطي الكوردستاني في أربيل (إنهم لا يملكون أدنى حياء، وكان الأجدر بهم أن ينسحبوا من المؤتمر الذي لم يرفع فيه العلم العراقي، إن هؤلاء السياسيين يزورون أربيل بمناسبة ودونها أكثر من المحافظات الاخرى وكان الأحرى

بهم الخروج من المؤتمر قبل أن يلقي البارزاني كلمته" وأضاف "البارزاني دعا في كلمته إلى تبني حق تقرير المصير للشعب الكوردي في برنامجه الحزبي، لسنا بحاجة للكورد، بل هم من يحتاج إلينا، ونتمنى أن ينفصلوا عنا اليوم قبل الغد، ويخلصونا من عبء الامتيازات والمكاسب التي ينعمون بها والمبالغ التي يسترقونها من موازنة الدولة، فليذهبوا بلا رجعة ولينفصلوا عن العراق).

التفكير بالنيابة عن الآخرين واتخاذ القرارات والمواقف دون إذن مسبق من المعني بالموضوع كانت سببا مباشرا في وقوع أكبر كوارث التاريخ الإنساني، هذا المبدأ وهذه الطريقة في التفكير، هي التي جعلت من هتلر دكتاتورا يفكر ويقرر بديلا عن الشعب الألماني، ومرورا بكل الطغاة من بوكاسا وبول بوت وعيدي أمين وشاه إيران وليس انتهاء طبعا بصدام حسين الذي ابتدع شعاره المشهور الذي اختزل فيه العراق بشخصه (إذا قال صدام.. قال العراق). لقد جر هؤلاء على البشرية كوارث وفواجع لا تنسى أبد الدهر. بعد السقوط الدراماتيكي لطاغية العراق توهمنا أننا دشنا حقبة جديدة لن يجازف أحد فيها ولو في الحلم أن يفكر بتقليد صدام حسين، وأن يرى في نفسه بديلا عن الشعب، ولكن المصيبة يا سادة يا كرام أن نرى قاضيا درس أصول القانون ومبادئه ومارس المحاماة، وجلس على كرسي المرافعة تحت شعار (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) ينسى نفسه، ويظهر فجأة لا بروب القاضي، ولا بفكر وعقلية رجل القانون، بل في هيئة وطريقة في التفكير لا تختلف في الجوهر عن نهج صدام وأعوانه الذين ذهبوا إلى مزبلة التاريخ، متوهما أن العراق بيته وحده، لا يستقبل فيه إلا من يحب. لا يقترف الكورد جريمة ضد أحد، إذا طالبوا بحقوقهم، وليس في هذه المطالبة أي خيانة للوطن العراقي، والدعوة إلى حق تقرير المصير ليست جديدة، وهي لا تعني الإنفصال بالضرورة، فالحكم الذاتي والفدرالية والاتحاد الاختياري والكونفدرالية هي تسميات مختلفة لحق الشعب الكوردي في تقرير مصيره. الشعب الذي رضي بالقليل مقابل تضحياته الجسام المتمثلة بالإبادة الجماعية واستعمال السلاح الكيماوي، وما حصلنا عليه ليس منة من أحد، ولا صدقة من القاضي وائل ومن على شاكلته في العقلية والسلوك، فهو يعرف قبل غيره بحكم كونه قاضيا ماذا يعني حق تقرير المصير. أقول لهذا القاضي اللا قاضي الذي تبجح بكلمات لا تليق

برجال القانون، ولا تعبر عن حس بالمسئولية الوطنية، عندما قال (فليذهبوا بلا رجعة)، أقول لهذا القاضي إن الذين ذهبوا ويذهبون، ويكون مكانهم مزبلة التاريخ، هم أولئك الذين لم يستوعبوا تضاريس المكان وجغرافيته، ووقفوا بالضد من إرادة الشعوب، ولم يفهموا درس التاريخ بما يكفي من العمق، يؤهلهم لرؤية تياراته التحتية العميقة، والذين سيأتون ويبقون ويصنعون للإنسانية مستقبلها الأروع، هم الشعوب، الشعوب عندما تمسك زمام أمورها بأيديها، وتقرر مصيرها وترسم مستقبلها بنفسها، ومن بينها طبعا الشعب الكوردي. إنه حق سماوي أولا (ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين)، وهو حق إنساني ثانيا أقرته شرعة الأمم المتحدة، ولا ينكره سوى القاضي وائل ومن أمثاله الذين بحقدهم سيموتون.

فن المكنات

بعد انتصار ثورة 14 تموز عام 1958، أصبح العراق موضع اهتمام الدوائر السياسية في المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي وقادة دول عدم الانحياز، ونتيجة لذلك زار العراق العديد من الوفود من مختلف بلدان العالم. في عام 1959 زار العراق وفد سوفياتي رفيع المستوى كان على رأسه (انستاس ميكويان) رئيس مجلس السوفيات الأعلى. استُقبل الوفد بحفاوة بالغة من قبل الزعيم الراحل عبدالكريم قاسم، وباحتفاء شعبي عارم، خصوصا من قبل القوى اليسارية والديمقراطية التي كانت مهيمنة آنذاك على الشارع. في نهاية زيارته عقد ميكويان مؤتمرا صحفيا حضره عدد كبير من الصحفيين العراقيين من مختلف الاتجاهات السياسية من بينهم كان مراسل صحفي من جريدة "الثورة" المعروفة بتوجهها الرجعي ومعاداتها للديمقراطية وكراهيتها للاتحاد السوفييتي. وقد أجاب (ميكويان) على مختلف الأسئلة ومنها سؤال لمراسل جريدة "الثورة" مفاده: (بأن سياسة السوفيات لا تحظى بتأييد الأوساط والقوى القومية العربية في العراق وفي العالم العربي)، وهنا أجابه (ميكويان) بنبرة هادئة تصحبها ابتسامة خفيفة قلما كانت تظهر على ملامحه حيث قال للصحفي المراسل: (الاتحاد السوفياتي ليس براقصة عندما تنتهي من وصلتها في هز البطن تمتد إليها الأيادي بالتصفيق الحار، فنحن دولة لنا سياستنا الثابتة وتعتمد على المبادئ وبالتأكيد لا تحظى سياستنا بالتأييد الشامل، فهي لا تستطيع لأسباب سياسية ومصالحية أن ترضي الجميع، فالدولة السوفياتية دولة تحكمها القوانين المستمدة من الدستور، وهي تختلف قطعا عن قانون هز البطن).

.....

الزعيم الهندي الكبير الراحل (جواهر لال نهرو) قائد حزب المؤتمر الهندي لعقود طويلة ورئيس دولة الهند المترامية الأطراف والمشاكل بتنوعاتها القومية والدينية والمذاهبية الأغنى والأعقد في العالم، وقد جرب أن يكون على رأس دولة الهند حاكما وزعيما معارضا للسلطة السياسية في بلاده. وبعد أن مر بالتجربتين رد على سؤال لمراسل مجلة (دير شيغل) الألمانية الشهيرة : (سيد نهرو لقد مررت بتجربة ممارسة

السلطة وأنت على رأسها وتذوقت معاناة المعارضة وأنت صاحبها فما هي أوجه الاختلاف بنظرك؟).

فكان جواب نهرو كالآتي:

(السلطة ومهاتراتها تغرق المرء في تعقيدات العمل اليومي المصاحبة لقصر اليد في الوصول الى الأهداف المرسومة وقد لا تتوفر جميع الشروط لتحقيقها، وكنت ألوم نفسي أحيانا عندما كنت في الحكم عما كان يبدر من عندنا من أمور، وقت كنا خارج السلطة فالمعارض كالهاوي يطلق العنان لأفكاره ومطالبه بامتداد معارضته للسلطة من أجل الوصول إليها، ولا أخفي عليك كنتُ أشعر بالغثيان وأنا رئيس وزراء الهند عندما كنت أسمع مطالب وطروحات المعارضة غير الواقعية، وكنتُ أردد مع نفسي يا ليتني تركت الحكم للمعارضة بشرط التزامها بتطبيق ما كان تطرحه من أمور تعجيزية. ولهذا السبب في الأدوار اللاحقة عندما كان حزبنا خارج السلطة لم أسمح لغيري ولا لنفسي إطلاق الشعارات المبالغ فيها، أو المطالبة بأمور لمجرد إحراج السلطة وكسب أصوات إضافية).

"فن الممكنات" مصطلح أو عبارة دارجة تستعمل كثيرا هنا وهناك كالـ (الحياة فن الممكنات أو السياسة فن الممكنات..الخ)، ولقد سئل يوما (ونستون تشرشل) رئيس وزراء بريطانيا الأشهر عن ترديده لهذه العبارة كثيرا عندما يعجز عن تحقيق ما وعد به من أمور أثناء حملته الانتخابية قبيل الحرب العالمية الثانية، فكان جوابه: (الفهم الخاطئ لعبارة فن الممكنات تؤدي إلى استنتاجات خاطئة وتحليل خاطئ وبالتالي تقود إلى رسم سياسة خاطئة وفي النتيجة تجعل من الحاكم والمحكوم ومن الرئيس والمرؤوس وبين الواعد والموعود، تجعلهم يدورون في حلقة مفرغة، فلا الرئيس بإمكانه أن يشبع رغبات المرؤوس ولا المرؤوس يكف عن المطالبة، فالفهم الصحيح لفن الممكنات لنا ولغيرنا هي القدرة على تحقيق وإنجاز ما هو ممكن ضمن المتوافر الحقيقي لا عن خارجه).

الأمثلة الثلاثة المار ذكرها حفزتني على الكتابة عن موضوع يعيش معي منذ أحد عشر عاما، أي عندما تسلمت مسؤولية قيادة نقابة صحفيي كوردستان، فبالرغم من وجود شعار النقابة الرئيسي وقانونها الأساسي ونظامها الداخلي، وهويتها كونها

منظمة ذات نفع عام، خارج أطر السلطة، والانتماء إليها اختياريا بالكامل، حيث لا تملك من مصادر التمويل غير المنح الأصولية من الدولة بموجب القوانين السارية واشتراكات أعضائها. ورغم ذلك امتنع نصف أعضائها تقريبا عن دفع مبلغ (15.000) خمسة وعشرون ألف دينار سنويا الذي يشتمل على الاشتراك السنوي وصرف هوية النقابة مجانا، ودفع ما يقارب ($4.5) أربع دولارات ونصف الدولار إلى الفدرالية الدولية للصحفيين IFJ عن كل عضو مقابل التسجيل فيها. مع هذا ظلت النقابة تطالب نفسها قبل أن يطالبها الزملاء بالسعي اليومي الدؤوب من أجل تحقيق المزيد فالمزيد لأعضائها والمجتمع الصحافي والإعلامي والإعلام عموما، لكن بعض الزملاء لا يبصر سقف امكانيات النقابة، وينظر إليها وكأنها دولة بيدها الأمر والنهي وصلاحياتها غير محدودة، وباستطاعتها توفير كل ما يرغب فيه الأعضاء.

زملائي الأعزاء لم أكن أرغب في إثارة هذا الموضوع لولا اقتراب موعد فراقي للنقابة ولم أكن أرغب يوما في زرع اليأس لدى بعض الزملاء عندما كانوا يطالبوننا بأمور لا حول لنا فيها ولا قوة ولا استطاعة. وما حصلت عليه النقابة لأعضائها ولغيرها من الصحفيين من مكتسبات وهي كثيرة ، سيتضمنها التقرير العام بشقيه الإداري والمالي الذي سينشر في العدد القادم من مجلة "الصحفي"، لم تكن لتنزل من السماء كالمطر، هذه المنجزات لم تأت بسهولة ويسر، وإنما جاءت وتحققت بفعل عمل مضني وإرادة جبارة وتهديدات مبطنة وتوسلات ربما كانت معيبة تحملناها على مضض وعلى حساب الصحة أحيانا وإهمال العائلة أحيانا أخرى، وعلى حساب كرامتنا من أجلكم زملاءنا معشر الصحفيين، غير جاهلين بما كان يدور من أفكار لدى "جواهر لال نهرو" حاكما كان أو معارضا، ومن غير أن يغيب عن بالنا ما كان يقصده "ميكويان" من انتزاع التصفيق على حساب الحقيقة والمبادئ، وهذا ما جعلنا نجابه النقد هنا واللوم هناك والتجريح من لدن البعض، ولكن المهم أنجزنا ما استطعنا إنجازه بجدارة واستحقاق ضمن الممكن والمتوافر، كما رددها يوما "ونستون تشرشل" بفمه الذي لم يكف فمه عن لوك هذه العبارة البليغة كما لم يكف عن بلع ونثر دخان سيجاره المشهور.

لا وداع.. أيها الزملاء والأصدقاء

لم تكن سهلة على بطل إحدى مسرحيات شيخ المسرحيين الإنكليز (شكسبير) لحظة وداعه الأخير لحبيبة قلبه، بيد أنها كانت قدرا مقدورا، لم يستسلم لألم تلك اللحظة، وتجاوز البعد التراجيدي فيها، وهو يردد مع نفسه: (الفراق حزن عذب) Partingis is Sweett Sorrow. هكذا بعبقريته المعروفة جمع شكسبير الحزن والعذوبة في تلك الجملة، أو تلك اللحظة، ليهدئ النفس البشرية، ويسكن لسعة الفراق القاتلة. وأنا بطبيعتي أكره الوداعات، ولا أتلبث طويلا عندها، ربما بسبب نزعة قوية في داخلي تحملني على عدم البقاء في مكان واحد أو في عمل واحد، أعني أني لا أدع لأي عمل أن يستغرقني كلية، يأخذني ويحتويني، يغيرني أو يصيبني بتشوه ما، ومن أجل ذلك كنت مستعدا أن أودعه مغادرا. في كل محطات عمري كنت أبحث عن تحقيق ذاتي، وأنزع إلى إنتاج مثالي في القيم والثقافة، وأناضل من أجل تغيير العالم وفاقا لذلك المثال، ربما هذا هو السبب الحقيقي في الكثير من الانتقالات الكبيرة والكثيرة في حياتي. ولست أدري حتى اللحظة، هل الحياة هي الطريق، أم الطريق هو الحياة، وهل أنا اخترت هذا الطريق أم أن الطريق هو الذي اختارني لذاته..؟!! لكنني موقن أن العمر محطات، برهات عابرة من الفرح، ودهر من الكد والكدح والنضال، ومؤمن أن الذين يناضلون هم الذين يحيون.

منذ أن دخلت معترك الحياة السياسية والمهنية بداية ستينات القرن الماضي مررت بتجارب ومحطات كثيرة دونت تفاصيلها في القلب أولا، وفي وريقات ودفاتر مذكرات أحملها معي دائما إلى جانب كاميرتي أينما حللت أو ارتحلت، شكلت في داخلي نوعا من مؤسسة للذاكرة، منجما للخبرات الشخصية والتاريخية، ومنطقة دافئة للحنين.. في تلك المحطات أمضيت أجمل سنوات عمري بعيدا عن نزوات الشباب وأنانية الشيوخ، نائيا بنفسي قدر المستطاع عن التشبث بالمناصب وكراسي المسئولية ومحاولة الجلوس في المقاعد الأمامية ومواجهة الأضواء، مستكينا دائما في مثل تلك الحالات إلى حكمة تقول (المكان بالمكين)، بمعنى أننا من يصنع المكان، لا المكان هو الذي يصنعنا..ولم أكن يوما أحلم أو أفكر بممارسة القفز فوق الموانع بغية

الوصول إلى هدف معين من غير استحقاق، ولم أجرب الاستجداء والتوسل إلى غير وجهه سبحانه من أجل مكاسب عابرة، وكنت طوال حياتي وما أزال مقتنعا في كل شيء بتلك الحكمة العظيمة (القناعة كنز لا يفنى) ماعدا مد يد المساعدة لأبناء أمتي وبشريتي وإنسانيتي أينما وجدوا.

أثناء عملي في صفوف اتحاد طلبة كوردستان 1964-1971 تدرجت من عضو اعتيادي إلى موقع السكرتير العام له، حدث ذلك في المؤتمر السادس للاتحاد عام 1970 لم أكن راغبا في الترشيح ولم أكن متواجدا ساعة تقديم الترشيحات وإجراء الانتخابات النهائية، ولكن تقييم الزملاء كان أكبر من كل شيء وانتخبت سكرتيرا عاما لهذه المنظمة العتيدة. في المؤتمر السابع أيار 1971 أعلنت مسبقا نيتي بعدم الترشيح رغم مبادرة المكتب السياسي للبارتي في شخص الشهيد سامي عبدالرحمن وإلحاح الزملاء الكثر من أعضاء الاتحاد، كان موقفي نابعا من قناعتي وإيماني بوجوب ترك هذه المسؤولية لمن هم أحوج إليها، ولقد حان بالنسبة لي وقت الرحيل، كانت تلك واحدة من مغادراتي.

في حياتي محطات كثيرة غادرتها بإرادتي مدفوعا باحتقاري للوصولية كمبدأ، مبتعدا عن التودد إلى الكبار من أصحاب الحظوة والجاه، مزدريا النفوس الوضيعة التي أدمنت التسلق والقفز على أكتاف الشرفاء من الناس للوصول إلى المناصب الحزبية والحكومية دون استحقاق وشرف، في زمن أصبح فيه ارتداء البراقع المزيفة هو القاعدة.

ومحطات فارقتها مرغما..لأنها أبعدتني عن أعز مهنة على قلبي..

من هذه المحطات التي أعتز بها اختياري لمسئولية رئاسة تحرير أول جريدة كوردية يومية في التاريخ الكوردي (جريدة برايتي) ومسئولية إدارة مؤسسة (خه بات وبرايه تي) الصحفية، وقد أديت وظيفتي بشفافية وبإحساس عالي بالمسئولية الوطنية والقومية والمهنية، كان الفراق صعبا، ويوم غادرت المؤسسة ودعت الزملاء والزميلات من الصحفيين والكادر الإداري، في عمود نشر في العدد 3033 في 1000/1/10 بعنوان (برايتي أتمنى لك البقاء عزيزة) أشرت فيه إلى جملة من المواضيع، منها مطبوعات تلك المؤسسة والتي أسستها وأسميتها (مؤسسة برايتي

وخبات الصحفية) والتي تألفت من جريدة برايتي بـ(11) صفحة ماعدا الأعداد الخاصة التي كانت تتجاوز عدد صفحاتها الـ (14) صفحة بالإضافة إلى اسبوعية (برايتي الأدب والفن) ومجلة (سنته ري برايتي) الأكاديمية الرصينة.. وأسبوعية برايتي ورزش ومجلة ورزشي برايتي الشهرية الملونة بالإضافة إلى جريدة خبات التي كانت تصدر اسبوعيا باللغة العربية حيث كان يتولى رئاسة تحريرها الزميل فلك الدين كاكةيي والكتب التي صدرت من المؤسسة والتي وصلت إلى (13) كتابا في مختلف المواضيع. كنت أتولى رئاسة تحرير برايتي وبناتها الأسبوعية والشهرية اللائي لم يبق منهن أي أثر يذكر باستثناء ما أحمله من ذكريات لها تعود إلى 1967/5/6 يوم صدور أول عدد منها وأنا طالب جامعي في بغداد أتابع مع زملائي من أعضاء اتحاد طلبة كوردستان صدورها مع شقيقتها الكبرى (التآخي) وكنت شاهد إثبات يوم صدر عددها اليومي الأول (العدد صفر) مع تباشير فجر يوم العام الجديد 1974/1/1 وأعدادها المتتالية يوم 1974/1/8 حيث كنت بالإضافة إلى مسؤوليتي في الإدارة والحسابات مشرفا في التآخي على صلاحية نشر المواد باللغة الكوردية في برايتي مع المرحومين رمزي قزاز ورفيق جالاك وسربست بامرني وفي المرحلة الثالثة اصبحت رئيس تحرير برايتي اليومية صاحبة لقب الشرف أول جريدة كوردية يومية في التاريخ حيث كرست كامل طاقاتي الفكرية والجسدية لها، من يوم تحملي للمسؤولية في 1993/10/16 وإلى آخر يوم عملي فيها في 1000/1/10

في قاعة تلك المؤسسة والتي أسميتها (قاعة مقداد بدرخان) التأمت اجتماعات مجاميع الصحفيين الكوردستانيين بمختلف اتجاهاتهم السياسية وانتماءاتهم القومية والدينية من أجل تأسيس نقابة صحفيي كوردستان، اجتماعات لجنتي الإعداد والاستشارية، ومن ثم اجتماعات الهيئة المؤسسة طيلة عامي 1997 و1998 والتي توجت بميلاد النقابة بانعقاد مؤتمرها التأسيسي الأول في 1998/11/17 باسم نقابة صحفيي كوردستان. لقد أنفقت في هذه النقابة منذ تأسيسها، ودمجها مع شقيقتها اتحاد صحفيي كوردستان، نحو عقد وعامين من عمري، كانت بالنسبة لي هي أزهى سنوات التكامل العقلي والفكري، وفيها عرفت أول انتكاساتي الصحية أيضا.

والآن تدنو لحظة مفصلية أخرى..

تنتهي دورة انتخابية وتبدأ دورة.. مؤتمر عام جديد ومجلس جديد وآمال جديدة..
لكنه فراق أيضا، فراق آخر أريده من غير وداع..
قلت أنني أكره لحظات الوداع..
وأتطلع إلى البدايات الجديدة في هذه اللحظات أكثر من إنشدادي إلى الماضي..

لقد سجلت مع زميلي مصطفى صالح كريم نائب النقيب وحامد محمد علي سكرتير النقابة تاريخ النقابة مصورا في كتاب سيصدر قريبا، سيطلع الزملاء على الخطوط العامة والعناوين الكبيرة للمجهودات المضنية التي بذلت في سبيل إيصال النقابة إلى هذه اللحظة المجيدة.

أعترف أن الفراق صعب وهو يترك في النفس الكثير من المرارة والألم.. لكنني أشعر بالرضا عما قدمناه لزملائنا الصحفيين والإعلاميين الكورد. وما تحقق من منجزات مسجلة بالأرقام والتواريخ في التقرير العام الذي سيقدم للمؤتمر العام الثالث، وفي كتاب تاريخ نقابة صحفيي كوردستان الذي سيقدم هدية إلى أعضاء المؤتمر.

في هذه اللحظة المفصلية ونحن نودعكم زملاءنا، ونودع بين أيديكم، راية النقابة نبتهل إلى الله بقلب عامر يفيض بالحب أن يحفظ نقابتنا من وسوسة الساسة اللاسياسيين والسياسة والأطماع الشخصية المقيتة.

اللهم أحفظ النقابة موحدة مهنية مستقلة مرفوعة الرأس بتاريخها وبعملها المهني حاضرا ومستقبلا على طريق ترسيخ الحريات الصحفية وتعزيز حقوق صحفيي كوردستان..

ولا وداع ايها الزملاء..
لا وداع.. فالعالم أصغر من هذه الكلمة.. والأرض مستديرة..
وكل مؤتمر عام والنقابة وكوردستان بألف خير.

والآن وعندما حان وقت الفراق أو بعبارة اخرى حان وقت توديعي لنقابة صحفيي كوردستان والتي ارخنا تاريخها مع زميلي مصطفى صالح كريم نائب النقيب وحامد محمد علي سكرتير النقابة بين دفتي كتاب مصور سيشاهدونه قريبا سيشهد لنا الصحفيون ومثقفي شعب ما بذلناها من جهود مضنية دون الولوج في التفاصيل أقول

اودع نقابتي أو نقابتنا وانا مرتاح البال والضمير بمعنى الكلمة حيث قدمت مع زملائي منذ التأسيس وإلى هذه الأيام جهودا كبيرة وثقيلة في سبيل ترسيخ حرية الصحافة وضمان حقوق الصحفيين في كوردستان ونقل موقع نقابتهم من محلية كوردستان إلى عضوية الفدرالية الدولية للصحفيين مع كامل الحقوق لأعضائها مع ما تحققت من منجزات وهي مسجلة بالأرقم والتاريخ في التقرير العام المقدم للمؤتمر (المؤتمر العام الثالث) وفي كتاب تاريخ نقابة صحفيي كوردستان والذي سيقدم إلى أعضاء المؤتمر كهوية لهم ولزملائي الصحفيين في كوردستان أقول أودعكم يا زملائي بقلب عامر بالحب لكم وبعقل مفعم بالتمني والدعاء من الله سبحانه عز وجل أن تحفظ نقابتنا من وسوسة السياسة والأهداف الشخصية المقيتة ومن محاولات حرف سكتها المهنية المستقلة إلى مسارات اخرى لا تغنى ولا تمن والابتعاد بها إلى قوقعة الأنصار بفئة معينة من الصحفيين ونبذ الاجماع والعمل الجماعي والذي لا يؤدي إلا إلى التمزق والانشطار اقول وأنا اودع عملي المهني في النقابة (اللهم احفظ النقابة موحدة مهنية مستقلة) مرفوعة الرأس بتاريخها وبعملها المهني حاضرا ومستقبلا مستمرة من أجل ترسيخ الحريات الصحفية وحقوق صحفيي كوردستان

الفراق صعبا وترك في نفسي مرارات كثيرة

كان عملي في اتحاد طلبة كوردستان، وجريدة برايتي وفي نقابة صحفيي كوردستان أحلى سنوات عمري مهنيا، بالإضافة إلى مرحلتين أخريتين قضيتهما في جبال كوردستان منخرطا في صفوف ثورة أيلول الكبرى والتي تشكل بمجموعها 51 عاما من عمري عبرتها بحلوها ومرها ولكنها في النهاية أصبحت ثروة ورأسمالا أعتز بها لأنها كانت باختياري وبإرادتي وبكامل قواي العقلية.

حق تقرير المصير كما نفهمه
لا كما يفهمه الآخرون..

في مذكراته المطبوعة في لندن عام 1001 يذكر الأستاذ بهاء الدين نوري الذي كان سكرتيرا للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي ما يلي:"في أواخر عام 1951 نشأت لدي فكرة تعديل الميثاق الوطني –برنامج الحزب الشيوعي– الذي كان قد أقر قبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية في عام 1945 وأخذت على عاتقي مهمة الصياغة الأولى معتمدا وثيقة 1945 كأساس محافظا على شكلها المختصر الواضح، الذي كنت معجبا به، أبقيت العديد من بنودها دون أي تعديل لأني لم أر ما يوجب التعديل لكني أجريت تعديلات رئيسية حول القضايا الاستراتيجية –حول السلطة والمسألة القومية الكوردية"

تضمنت صيغة الميثاق القديم فكرة اعتبار الشعب الكوردي أقلية لها الحق في المساواة، ولم تتضمن أية إشارة إلى أن هذا الشعب يشكل أمة ثانية في العراق، وأن لهذه الأمة حقها في تقرير المصير. وأظن أن هذه الصياغة جاءت في وقت لم تكن المشكلة الكوردية في العراق متبلورة بوضوح، ومطروحة في برامج العمل الوطني، وان التنظيمات الحزبية–الشيوعية بين الأكراد العراقيين لم تكن قد وصلت إلى مستوى من النضج يؤهلها لعرض قضية هذا الشعب عرضا مدروسا صحيحا، وبدلا من نسخة الميثاق القديمة تضمنت الوثيقة المعدلة والتي عرفت بـ(ميثاق باسم) نسبة إلى الاسم المستعار الحزبي للسيد بهاء الدين نوري فكرة حق تقرير المصير للشعب الكوردي في العراق.

(كورد العراق) كتاب ألفه (محسن محمد المتولي) وصدر عن (الدار العربية للموسوعات) 368 صفحة ويقيمه ناشر الكتاب كونه (دراسة علمية موسعة عن الكورد وتاريخهم منذ نشأتهم على الأرض) حيث يقول المؤلف في الفصل الأخير من كتابه المعنون (الخاتمة) مايلي:

ولقد توصلت هذه الدراسة إلى عدة نتائج وهي:

(إن المشكلة الكوردية في العراق موروثة من العهد العثماني والتصقت بالدولة العراقية منذ أن أصبح العراق، بموجب مقررات دولية، دولة وكيانا سياسيا بعد الحرب العالمية الأولى، وهكذا ربما يكون مشروعا جدا ومبررا أن تقاوم الحكومة المركزية في العراق أي عدوان مسلح أو بؤرة متمردة وأن تقف في وجه أي دعوات انفصالية وأن تعتبر كوردستان جزءا من الوطن العراقي أي الدولة العراقية، لكنه ليس مشروعا أبدا ولا صحيحا الادعاء بأن كوردستان جزء من الوطن العربي ففي هذه الحالة تختلف الصورة تماما لأن الوطن العربي هو كيان قومي محدد، وليس كيانا سياسيا أي دولة بذاتها. ومن وجهة نظر علمية تاريخية كان للكورد دائما وطنهم القومي، ولكن ذلك الوطن تعرض في مراحل تاريخية معينة للغزوات الخارجية وكان أخطرها وأشدها تأثيرا الغزو الفارسي العثماني لأنه استهدف تجزئته وتقسيمه واقتسامه وضمه إلى طرف واحد، وتكريس هذا الضم). في الكلمة التي ألقاها الأخ مسعود البارزاني رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني أمام السادة ضيوف وأعضاء المؤتمر الثالث عشر للحزب الديمقراطي الكوردستاني قال نصا:"لقد أكدت المؤتمرات السابقة للبارتي أن الشعب الكوردي واسوة بكل شعوب العالم له حقه المشروع في تقرير مصيره كما أن الحزب يعتبر نفسه اليوم هو المطالب بحق تقرير المصير ويعتبر تحقيق هذا الهدف في المراحل اللاحقة وعبر النضال السلمي والعصري أمرا مشروعا، كما أن هذا المطلب سيطرح أمام مؤتمرنا هذا كجوهر ومنطلق منهاجه النضالي الراهن والمتمم لمسيرته النضالية في مراحلها السابقة للبحث والمناقشة واتخاذ القرار المناسب بشأنه".

وائل عبد اللطيف أو القاضي وائل زاملته في دورة برلمانية سابقة (الجمعية الوطنية العراقية) عام 1005 ولم أتعود رؤيته يوما بوجه ضاحك بشوش، كان على طول الخط متشنجا في مداخلاته، متوترا وعابسا. بحسب وكالة (اورنيوز) أدلى هذا القاضي العابس في 1010/11/13 بآراء ربما لا تختلف كثيرا عن سفاهات (طه ياسين رمضان) بشأن الكورد عندما كان يتباهى بقوة جيش سيده الجدار (صدام حسين) في القضاء على الجيب العميل).

انظروا كيف وصف وائل عبد اللطيف السياسيين العراقيين الذين شاركوا في حفل افتتاح مؤتمر الحزب الديمقراطي الكوردستاني في أربيل (إنهم لا يملكون أدنى حياء،

وكان الأجدر بهم أن ينسحبوا من المؤتمر الذي لم يرفع فيه العلم العراقي، إن هؤلاء السياسيين يزورون أربيل بمناسبة ودونها أكثر من المحافظات الاخرى وكان الأحرى بهم الخروج من المؤتمر قبل أن يلقي البارزاني كلمته" وأضاف "البارزاني دعا في كلمته إلى تبني حق تقرير المصير للشعب الكوردي في برنامجه الحزبي، لسنا بحاجة للكورد، بل هم من يحتاج إلينا، ونتمنى أن ينفصلوا عنا اليوم قبل الغد، ويخلصونا من عبء الامتيازات والمكاسب التي ينعمون بها والمبالغ التي يسترقونها من موازنة الدولة، فليذهبوا بلا رجعة ولينفصلوا عن العراق).

التفكير بالنيابة عن الآخرين واتخاذ القرارات والمواقف دون إذن مسبق من المعني بالموضوع كانت سببا مباشرا في وقوع أكبر كوارث التاريخ الإنساني، هذا المبدأ وهذه الطريقة في التفكير، هي التي جعلت من هتلر دكتاتورا يفكر ويقرر بديلا عن الشعب الألماني، ومرورا بكل الطغاة من بوكاسا وبول بوت وعيدي أمين وشاه إيران وليس انتهاء طبعا بصدام حسين الذي ابتدع شعاره المشهور الذي اختزل فيه العراق بشخصه (إذا قال صدام.. قال العراق). لقد جر هؤلاء على البشرية كوارث وفواجع لا تنسى أبد الدهر. بعد السقوط الدراماتيكي لطاغية العراق توهمنا أننا دشنا حقبة جديدة لن يجازف أحد فيها ولو في الحلم أن يفكر بتقليد صدام حسين، وأن يرى في نفسه بديلا عن الشعب، ولكن المصيبة يا سادة يا كرام أن نرى قاضيا درس أصول القانون ومبادئه ومارس المحاماة، وجلس على كرسي المرافعة تحت شعار (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) ينسى نفسه، ويظهر فجأة لا بروب القاضي، ولا بفكر وعقلية رجل القانون، بل في هيئة وطريقة في التفكير لا تختلف في الجوهر عن نهج صدام وأعوانه الذين ذهبوا إلى مزبلة التاريخ، متوهما أن العراق بيته وحده، لا يستقبل فيه إلا من يحب. لا يقترف الكورد جريمة ضد أحد، إذا طالبوا بحقوقهم، وليس في هذه المطالبة أي خيانة للوطن العراقي، والدعوة إلى حق تقرير المصير ليست جديدة، وهي لا تعني الإنفصال بالضرورة، فالحكم الذاتي والفدرالية والاتحاد الاختياري والكونفدرالية هي تسميات مختلفة لحق الشعب الكوردي في تقرير مصيره. الشعب الذي رضي بالقليل مقابل تضحياته الجسام المتمثلة بالإبادة الجماعية واستعمال السلاح الكيماوي، وما حصلنا عليه ليس منة من أحد، ولا صدقة من القاضي وائل

ومن على شاكلته في العقلية والسلوك، فهو يعرف قبل غيره بحكم كونه قاضيا ماذا يعني حق تقرير المصير. أقول لهذا القاضي اللا قاضي الذي تبجح بكلمات لا تليق برجال القانون، ولا تعبر عن حس بالمسئولية الوطنية، عندما قال (فليذهبوا بلا رجعة)، أقول لهذا القاضي إن الذين ذهبوا ويذهبون، ويكون مكانهم مزبلة التاريخ، هم أولئك الذين لم يستوعبوا تضاريس المكان وجغرافيته، ووقفوا بالضد من إرادة الشعوب، ولم يفهموا درس التاريخ بما يكفي من العمق، يؤهلهم لرؤية تياراته التحتية العميقة، والذين سيأتون ويبقون ويصنعون للإنسانية مستقبلها الأروع، هم الشعوب، الشعوب عندما تمسك زمام أمورها بأيديها، وتقرر مصيرها وترسم مستقبلها بنفسها، ومن بينها طبعا الشعب الكوردي. إنه حق سماوي أولا (ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين)، وهو حق إنساني ثانيا أقرته شرعة الأمم المتحدة، ولا ينكره سوى القاضي وائل ومن أمثاله الذين بحقدهم سيموتون.

فن المكنات

بعد انتصار ثورة 14 تموز عام 1958، أصبح العراق موضع اهتمام الدوائر السياسية في المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي وقادة دول عدم الانحياز، ونتيجة لذلك زار العراق العديد من الوفود من مختلف بلدان العالم. في عام 1959 زار العراق وفد سوفياتي رفيع المستوى كان على رأسه (انستاس ميكويان) رئيس مجلس السوفيات الأعلى. استُقبل الوفد بحفاوة بالغة من قبل الزعيم الراحل عبدالكريم قاسم، وباحتفاء شعبي عارم، خصوصا من قبل القوى اليسارية والديمقراطية التي كانت مهيمنة آنذاك على الشارع. في نهاية زيارته عقد ميكويان مؤتمرا صحفيا حضره عدد كبير من الصحفيين العراقيين من مختلف الاتجاهات السياسية من بينهم كان مراسل صحفي من جريدة "الثورة" المعروفة بتوجهها الرجعي ومعاداتها للديمقراطية وكراهيتها للاتحاد السوفييتي. وقد أجاب (ميكويان) على مختلف الأسئلة ومنها سؤال لمراسل جريدة "الثورة" مفاده: (بأن سياسة السوفيات لا تحظى بتأييد الأوساط والقوى القومية العربية في العراق وفي العالم العربي)، وهنا أجابه (ميكويان) بنبرة هادئة تصحبها ابتسامة خفيفة قلما كانت تظهر على ملامحه حيث قال للصحفي المراسل: (الاتحاد السوفياتي ليس براقصة عندما تنتهي من وصلتها في هز البطن تمتد إليها الأيادي بالتصفيق الحار، فنحن دولة لنا سياستنا الثابتة وتعتمد على المبادئ وبالتأكيد لا تحظى سياستنا بالتأييد الشامل، فهي لا تستطيع لأسباب سياسية ومصالحية أن ترضي الجميع، فالدولة السوفياتية دولة تحكمها القوانين المستمدة من الدستور، وهي تختلف قطعا عن قانون هز البطن).

.....

الزعيم الهندي الكبير الراحل (جواهر لال نهرو) قائد حزب المؤتمر الهندي لعقود طويلة ورئيس دولة الهند المترامية الأطراف والمشاكل بتنوعاتها القومية والدينية والمذاهبية الأغنى والأعقد في العالم، وقد جرب أن يكون على رأس دولة الهند حاكما وزعيما معارضا للسلطة السياسية في بلاده. وبعد أن مر بالتجربتين رد على سؤال لمراسل مجلة (دير شيغل) الألمانية الشهيرة : (سيد نهرو لقد مررت بتجربة ممارسة

السلطة وأنت على رأسها وتذوقت معاناة المعارضة وأنت صاحبها فما هي أوجه الاختلاف بنظرك؟).

فكان جواب نهرو كالآتي:

(السلطة ومهاتراتها تغرق المرء في تعقيدات العمل اليومي المصاحبة لقصر اليد في الوصول الى الأهداف المرسومة وقد لا تتوفر جميع الشروط لتحقيقها، وكنت ألوم نفسي أحيانا عندما كنت في الحكم عما كان يبدر من عندنا من أمور، وقت كنا خارج السلطة فالمعارض كالهاوي يطلق العنان لأفكاره ومطالبه بامتداد معارضته للسلطة من أجل الوصول إليها، ولا أخفي عليك كنتُ أشعر بالغثيان وأنا رئيس وزراء الهند عندما كنت أسمع مطالب وطروحات المعارضة غير الواقعية، وكنتُ أردد مع نفسي يا ليتني تركت الحكم للمعارضة بشرط التزامها بتطبيق ما كان تطرحه من أمور تعجيزية. ولهذا السبب في الأدوار اللاحقة عندما كان حزبنا خارج السلطة لم أسمح لغيري ولا لنفسي إطلاق الشعارات المبالغ فيها، أو المطالبة بأمور لمجرد إحراج السلطة وكسب أصوات إضافية).

.....

"فن الممكنات" مصطلح أو عبارة دارجة تستعمل كثيرا هنا وهناك كالـ (الحياة فن الممكنات أو السياسة فن الممكنات..الخ)، ولقد سئل يوما (ونستون تشرشل) رئيس وزراء بريطانيا الأشهر عن ترديده لهذه العبارة كثيرا عندما يعجز عن تحقيق ما وعد به من أمور أثناء حملته الانتخابية قبيل الحرب العالمية الثانية، فكان جوابه: (الفهم الخاطئ لعبارة فن الممكنات تؤدي إلى استنتاجات خاطئة وتحليل خاطئ وبالتالي تقود إلى رسم سياسة خاطئة وفي النتيجة تجعل من الحاكم والمحكوم ومن الرئيس والمرؤوس وبين الواعد والموعود، تجعلهم يدورون في حلقة مفرغة، فلا الرئيس بإمكانه أن يشبع رغبات المرؤوس ولا المرؤوس يكف عن المطالبة، فالفهم الصحيح لفن الممكنات لنا ولغيرنا هي القدرة على تحقيق وإنجاز ما هو ممكن ضمن المتوافر الحقيقي لا عن خارجه).

.....

الأمثلة الثلاثة المار ذكرها حفزتني على الكتابة عن موضوع يعيش معي منذ أحد عشر عاما، أي عندما تسلمت مسؤولية قيادة نقابة صحفيي كوردستان، فبالرغم من وجود شعار النقابة الرئيسي وقانونها الأساسي ونظامها الداخلي، وهويتها كونها منظمة ذات نفع عام، خارج أطر السلطة، والانتماء إليها اختياريا بالكامل، حيث لا تملك من مصادر التمويل غير المنح الأصولية من الدولة بموجب القوانين السارية واشتراكات أعضائها. ورغم ذلك امتنع نصف أعضائها تقريبا عن دفع مبلغ (15.000) خمسة وعشرون ألف دينار سنويا الذي يشتمل على الاشتراك السنوي وصرف هوية النقابة مجانا، ودفع ما يقارب ($4.5) أربع دولارات ونصف الدولار إلى الفدرالية الدولية للصحفيين IFJ عن كل عضو مقابل التسجيل فيها. مع هذا ظلت النقابة تطالب نفسها قبل أن يطالبها الزملاء بالسعي اليومي الدؤوب من أجل تحقيق المزيد فالمزيد لأعضائها والمجتمع الصحافي والإعلامي والإعلام عموما، لكن بعض الزملاء لا يبصر سقف امكانيات النقابة، وينظر إليها وكأنها دولة بيدها الأمر والنهي وصلاحياتها غير محدودة، وباستطاعتها توفير كل ما يرغب فيه الأعضاء.

.....

زملائي الأعزاء لم أكن أرغب في إثارة هذا الموضوع لولا اقتراب موعد فراقي للنقابة ولم أكن أرغب يوما في زرع اليأس لدى بعض الزملاء عندما كانوا يطالبوننا بأمور لا حول لنا فيها ولا قوة ولا استطاعة. وما حصلت عليه النقابة لأعضائها ولغيرها من الصحفيين من مكتسبات وهي كثيرة ، سيتضمنها التقرير العام بشقيه الإداري والمالي الذي سينشر في العدد القادم من مجلة "الصحفي"، لم تكن لتنزل من السماء كالمطر، هذه المنجزات لم تأت بسهولة ويسر، وإنما جاءت وتحققت بفعل عمل مضني وإرادة جبارة وتهديدات مبطنة وتوسلات ربما كانت معيبة تحملناها على مضض وعلى حساب الصحة أحيانا وإهمال العائلة أحيانا أخرى، وعلى حساب كرامتنا من أجلكم زملاءنا معشر الصحفيين، غير جاهلين بما كان يدور من أفكار لدى "جواهر لال نهرو" حاكما كان أو معارضا، ومن غير أن يغيب عن بالنا ما كان يقصده "ميكويان" من انتزاع التصفيق على حساب الحقيقة والمبادئ، وهذا ما جعلنا نجابه النقد هنا واللوم هناك والتجريح من لدن البعض، ولكن المهم أنجزنا ما استطعنا إنجازه بجدارة

واستحقاق ضمن الممكن والمتوافر، كما رددها يوما "ونستون تشرشل" بفمه الذي لم يكف فمه عن لوك هذه العبارة البليغة كما لم يكف عن بلع ونثر دخان سيجاره المشهور.

لا وداع.. أيها الزملاء والأصدقاء

لم تكن سهلة على بطل إحدى مسرحيات شيخ المسرحيين الإنكليز (شكسبير) لحظة وداعه الأخير لحبيبة قلبه، بيد أنها كانت قدرا مقدورا، لم يستسلم لألم تلك اللحظة، وتجاوز البعد التراجيدي فيها، وهو يردد مع نفسه: (الفراق حزن عذب) Partingis is Sweett Sorrow. هكذا بعبقريته المعروفة جمع شكسبير الحزن والعذوبة في تلك الجملة، أو تلك اللحظة، ليهدئ النفس البشرية، ويسكن لسعة الفراق القاتلة. وأنا بطبيعتي أكره الوداعات، ولا أتلبث طويلا عندها، ربما بسبب نزعة قوية في داخلي تحملني على عدم البقاء في مكان واحد أو في عمل واحد، أعني أني لا أدع لأي عمل أن يستغرقني كلية، يأخذني ويحتويني، يغيرني أو يصيبني بتشوه ما، ومن أجل ذلك كنت مستعدا أن أودعه مغادرا. في كل محطات عمري كنت أبحث عن تحقيق ذاتي، وأنزع إلى إنتاج مثالي في القيم والثقافة، وأناضل من أجل تغيير العالم وفاقا لذلك المثال، ربما هذا هو السبب الحقيقي في الكثير من الانتقالات الكبيرة والكثيرة في حياتي. ولست أدري حتى اللحظة، هل الحياة هي الطريق، أم الطريق هو الحياة، وهل أنا اخترت هذا الطريق أم أن الطريق هو الذي اختارني لذاته..؟!! لكنني موقن أن العمر محطات، برهات عابرة من الفرح، ودهر من الكد والكدح والنضال، ومؤمن أن الذين يناضلون هم الذين يحيون.

منذ أن دخلت معترك الحياة السياسية والمهنية بداية ستينات القرن الماضي مررت بتجارب ومحطات كثيرة دونت تفاصيلها في القلب أولا، وفي وريقات ودفاتر مذكرات أحملها معي دائما إلى جانب كاميرتي أينما حللت أو ارتحلت، شكلت في داخلي نوعا من مؤسسة للذاكرة، منجما للخبرات الشخصية والتاريخية، ومنطقة دافئة للحنين.. في تلك المحطات أمضيت أجمل سنوات عمري بعيدا عن نزوات الشباب وأنانية الشيوخ، نائيا بنفسي قدر المستطاع عن التشبث بالمناصب وكراسي المسئولية ومحاولة الجلوس في المقاعد الأمامية ومواجهة الأضواء، مستكينا دائما في مثل تلك الحالات إلى حكمة تقول (المكان بالمكين)، بمعنى أننا من يصنع المكان، لا المكان هو الذي يصنعنا..ولم أكن يوما أحلم أو أفكر بممارسة القفز فوق الموانع بغية الوصول إلى هدف معين من غير

استحقاق، ولم أجرب الاستجداء والتوسل إلى غير وجهه سبحانه من أجل مكاسب عابرة، وكنت طوال حياتي وما أزال مقتنعا في كل شيء بتلك الحكمة العظيمة (القناعة كنز لا يفنى) ماعدا مد يد المساعدة لأبناء أمتي وبشريتي وإنسانيتي أينما وجدوا.

أثناء عملي في صفوف اتحاد طلبة كوردستان 1964-1971 تدرجت من عضو اعتيادي إلى موقع السكرتير العام له، حدث ذلك في المؤتمر السادس للاتحاد عام 1970 لم أكن راغبا في الترشيح ولم أكن متواجدا ساعة تقديم الترشيحات وإجراء الانتخابات النهائية، ولكن تقييم الزملاء كان أكبر من كل شيء وانتخبت سكرتيرا عاما لهذه المنظمة العتيدة. في المؤتمر السابع أيار 1971 أعلنت مسبقا نيتي بعدم الترشيح رغم مبادرة المكتب السياسي للبارتي في شخص الشهيد سامي عبدالرحمن وإلحاح الزملاء الكثر من أعضاء الاتحاد، كان موقفي نابعا من قناعتي وإيماني بوجوب ترك هذه المسؤولية لمن هم أحوج إليها، ولقد حان بالنسبة لي وقت الرحيل، كانت تلك واحدة من مغادراتي.

في حياتي محطات كثيرة غادرتها بإرادتي مدفوعا باحتقاري للوصولية كمبدأ، مبتعدا عن التودد إلى الكبار من أصحاب الحظوة والجاه، مزدريا النفوس الوضيعة التي أدمنت التسلق والقفز على أكتاف الشرفاء من الناس للوصول إلى المناصب الحزبية والحكومية دون استحقاق وشرف، في زمن أصبح فيه ارتداء البراقع المزيفة هو القاعدة. ومحطات فارقتها مرغما..لأنها أبعدتني عن أعز مهنة على قلبي..

من هذه المحطات التي أعتز بها اختياري لمسئولية رئاسة تحرير أول جريدة كوردية يومية في التاريخ الكوردي (جريدة برايتي) ومسئولية إدارة مؤسسة (خه بات وبرايه تي) الصحفية، وقد أديت وظيفتي بشفافية وبإحساس عالي بالمسئولية الوطنية والقومية والمهنية، كان الفراق صعبا، ويوم غادرت المؤسسة ودعت الزملاء والزميلات من الصحفيين والكادر الإداري، في عمود نشر في العدد 3033 في 1000/1/10 بعنوان (برايتي أتمنى لك البقاء عزيزة) أشرت فيه إلى جملة من المواضيع، منها مطبوعات تلك المؤسسة والتي أسستها وأسميتها (مؤسسة برايتي وخبات الصحفية) والتي تألفت من جريدة برايتي بـ(11) صفحة ماعدا الأعداد الخاصة التي كانت تتجاوز عدد صفحاتها الـ (14) صفحة بالإضافة إلى اسبوعية (برايتي الأدب والفن) ومجلة (سنته

ري برايتي) الأكاديمية الرصينة.. وأسبوعية برايتي ورزش ومجلة ورزشي برايتي الشهرية الملونة بالإضافة إلى جريدة خبات التي كانت تصدر اسبوعيا باللغة العربية حيث كان يتولى رئاسة تحريرها الزميل فلك الدين كاكةيي والكتب التي صدرت من المؤسسة والتي وصلت إلى (13) كتابا في مختلف المواضيع. كنت أتولى رئاسة تحرير برايتي وبناتها الأسبوعية والشهرية اللائي لم يبق منهن أي أثر يذكر باستثناء ما أحمله من ذكريات لها تعود إلى 1967/5/6 يوم صدور أول عدد منها وأنا طالب جامعي في بغداد أتابع مع زملائي من أعضاء اتحاد طلبة كوردستان صدورها مع شقيقتها الكبرى (التآخي) وكنت شاهد إثبات يوم صدر عددها اليومي الأول (العدد صفر) مع تباشير فجر يوم العام الجديد 1974/1/1 وأعدادها المتتالية يوم 1974/1/8 حيث كنت بالإضافة إلى مسؤوليتي في الإدارة والحسابات مشرفا في التآخي على صلاحية نشر المواد باللغة الكوردية في برايتي مع المرحومين رمزي قزاز ورفيق جالاك وسربست بامرني وفي المرحلة الثالثة اصبحت رئيس تحرير برايتي اليومية صاحبة لقب الشرف أول جريدة كوردية يومية في التاريخ حيث كرست كامل طاقاتي الفكرية والجسدية لها، من يوم تحملي للمسؤولية في 1993/10/16 وإلى آخر يوم عملي فيها في 1000/1/10

في قاعة تلك المؤسسة والتي أسميتها (قاعة مقداد بدرخان) التأمت اجتماعات مجاميع الصحفيين الكوردستانيين بمختلف اتجاهاتهم السياسية وانتماءاتهم القومية والدينية من أجل تأسيس نقابة صحفيي كوردستان، اجتماعات لجنتي الإعداد والاستشارية، ومن ثم اجتماعات الهيئة المؤسسة طيلة عامي 1997 و1998 والتي توجت بميلاد النقابة بانعقاد مؤتمرها التأسيسي الأول في 1998/11/17 باسم نقابة صحفيي كوردستان. لقد أنفقت في هذه النقابة منذ تأسيسها، ودمجها مع شقيقتها اتحاد صحفيي كوردستان، نحو عقد وعامين من عمري، كانت بالنسبة لي هي أزهى سنوات التكامل العقلي والفكري، وفيها عرفت أول انتكاساتي الصحية أيضا.

والآن تدنو لحظة مفصلية أخرى..

تنتهي دورة انتخابية وتبدأ دورة.. مؤتمر عام جديد ومجلس جديد وآمال جديدة..

لكنه فراق أيضا، فراق آخر أريده من غير وداع..

قلت أنني أكره لحظات الوداع..

وأتطلع إلى البدايات الجديدة في هذه اللحظات أكثر من إنشدادي إلى الماضي..

لقد سجلت مع زميلي مصطفى صالح كريم نائب النقيب وحامد محمد علي سكرتير النقابة تاريخ النقابة مصورا في كتاب سيصدر قريبا، سيطلع الزملاء على الخطوط العامة والعناوين الكبيرة للمجهودات المضنية التي بذلت في سبيل إيصال النقابة إلى هذه اللحظة المجيدة.

أعترف أن الفراق صعب وهو يترك في النفس الكثير من المرارة والألم.. لكنني أشعر بالرضا عما قدمناه لزملائنا الصحفيين والإعلاميين الكورد. وما تحقق من منجزات مسجلة بالأرقام والتواريخ في التقرير العام الذي سيقدم للمؤتمر العام الثالث، وفي كتاب تاريخ نقابة صحفيي كوردستان الذي سيقدم هدية إلى أعضاء المؤتمر.

في هذه اللحظة المفصلية ونحن نودعكم زملاءنا، ونودع بين أيديكم، راية النقابة نبتهل إلى الله بقلب عامر يفيض بالحب أن يحفظ نقابتنا من وسوسة الساسة اللاسياسيين والسياسة والأطماع الشخصية المقيتة.

اللهم أحفظ النقابة موحدة مهنية مستقلة مرفوعة الرأس بتاريخها وبعملها المهني حاضرا ومستقبلا على طريق ترسيخ الحريات الصحفية وتعزيز حقوق صحفيي كوردستان..

ولا وداع ايها الزملاء..

لا وداع.. فالعالم أصغر من هذه الكلمة.. والأرض مستديرة..

وكل مؤتمر عام والنقابة وكوردستان بألف خير.

والآن وعندما حان وقت الفراق أو بعبارة اخرى حان وقت توديعي لنقابة صحفيي كوردستان والتي ارخنا تاريخها مع زميلي مصطفى صالح كريم نائب النقيب وحامد محمد علي سكرتير النقابة بين دفتي كتاب مصور سيشاهدونه قريبا سيشهد لنا الصحفيون ومثقفي شعب ما بذلناها من جهود مضنية دون الولوج في التفاصيل أقول اودع نقابتي أو نقابتنا وانا مرتاح البال والضمير بمعنى الكلمة حيث قدمت مع زملائي منذ التأسيس وإلى هذه الأيام جهودا كبيرة وثقيلة في سبيل ترسيخ حرية

الصحافة وضمان حقوق الصحفيين في كوردستان ونقل موقع نقابتهم من محلية كوردستان إلى عضوية الفدرالية الدولية للصحفيين مع كامل الحقوق لأعضائها مع ما تحققت من منجزات وهي مسجلة بالأرقم والتاريخ في التقرير العام المقدم للمؤتمر (المؤتمر العام الثالث) وفي كتاب تاريخ نقابة صحفيي كوردستان والذي سيقدم إلى أعضاء المؤتمر كهوية لهم ولزملائي الصحفيين في كوردستان أقول أودعكم يا زملائي بقلب عامر بالحب لكم وبعقل مفعم بالتمني والدعاء من الله سبحانه عز وجل أن تحفظ نقابتنا من وسوسة السياسة والأهداف الشخصية المقيتة ومن محاولات حرف سكتها المهنية المستقلة إلى مسارات اخرى لا تغنى ولا تمن والابتعاد بها إلى قوقعة الأنصار بفئة معينة من الصحفيين ونبذ الاجماع والعمل الجماعي والذي لا يؤدي إلا إلى التمزق والانشطار اقول وأنا اودع عملي المهني في النقابة (اللهم احفظ النقابة موحدة مهنية مستقلة) مرفوعة الرأس بتاريخها وبعملها المهني حاضرا ومستقبلا مستمرة من أجل ترسيخ الحريات الصحفية وحقوق صحفيي كوردستان.

الفراق صعبا وترك في نفسي مرارات كثيرة..

كان عملي في اتحاد طلبة كوردستان، وجريدة برايتي وفي نقابة صحفيي كوردستان أحلى سنوات عمري مهنيا، بالإضافة إلى مرحلتين أخريتين قضيتهما في جبال كوردستان منخرطا في صفوف ثورة أيلول الكبرى والتي تشكل بمجموعها 51 عاما من عمري عبرتها بحلوها ومرها ولكنها في النهاية أصبحت ثروة ورأسمالا أعتز بها لأنها كانت باختياري وبإرادتي وبكامل قواي العقلية.

"أنقذوا تفاح برواري بالا
أنقذوا كوردستان.."

وقت اشتداد المعارك بين ثوار كوردستان والجيش العراقي في شهر أيلول من عام 1965 اثر تولى اللواء الركن عبد العزيز العقيلي حقيبة وزارة الدفاع العراقية في عهد الرئيس العراقي الأسبق عبد السلام محمد عارف، وكان القتال مشتعلا في كافة جبهات المقاومة الكوردية من زاخو إلى خانقين دفاعا عن كوردستان وشعبها، وكان التكتيك الحربي للمقاومة يختلف من منطقة إلى أخرى حسب الإمكانيات الفنية والقوى البشرية المتمثلة بكتائب (البيشمركه) بالإضافة إلى جغرافية المنطقة. كنا وقتها طلابا في المرحلة الإعدادية، وكانت تصلنا قصصا تشبه الملاحم من روائع البطولات التي كان يسطرها الثوار دفاعا عن قضيتهم العادلة، وفي مخيلتنا تحول الثوار إلى نوع من أساطير حية، وكان لإذاعة (صوت كوردستان) دورها الريادي في نقل أخبار المعارك والانتصارات بالرغم من وجود موجة التشويش القاسي عبر أغنية (هاني هاني) التي أصبحت ملعونة بالرغم من حلاوة معانيها.

في منطقة (برواري بالا) بمحافظة دهوك (وكانت يومها قضاء تابعا للواء الموصل) أطلق أحد قادة البيشمركه نداء إلى مقاتليه: أنقذوا تفاح برواري بالا!!. كان النداء بسيطا، وكانت رائحة التفاح، ومذاقه الحلو أقرب إلى قلوب ومدارك أولئك الرجال من تجريدات الأفكار والشعارات والقضايا الكبيرة، لقد لخص ذلك النداء الثوري الرومانسي بكلمات قليلة كل معاني الدفاع عن شرف الأمة والذود عن حياض الوطن، هكذا لعب ذلك النداء النابع من صخور الجبال لا من سماء الأحلام، ولا من السراديب المعتمة للمصالح الأنانية، دورا في الاحتفاظ بالأرض ودحر المعتدين.

بعد الانتصار الذي أحرزه الحلفاء (السوفيات، الأميركان وانكلترا) على دول المحور اجتمع القادة المنتصرين الثلاثة ستالين، تشرشل، روزفلت في يالطا من 4 شباط إلى التاسع منه عام 1945، وفي إحدى جولات المحادثات بشأن (توزيع الكعكة) قام ستالين من مكانه وخاطب الوفود بكلمات وجمل ناعمة جعلت الحاضرين من الوفدين الأميركي والانكليزي يصفقون كثيرا، الأمر الذي حمل أحد مستشاري ستالين إلى كتابة ملاحظة

وإمرارها إليه بغرض التنبيه لكي لا يستمر على ذلك المنوال، ولحظة انتهى ستالين من قراءة الملاحظة، بدأ بتغيير كلامه وتوقفت في الحال أيادي (الحلفاء) عن التصفيق، وشعر ستالين كما تشير الوثائق التاريخية بأن (الإخوة الأعداء) تشرشل وروزفلت كما يصفهم ستالين ،لن ترتفع أكفهم بالتصفيق إلا إذا شعروا بأن سياستنا تصب في خانة مصالحهم.

(مجموعة الأزمات الدولية) كما أذاعت (إذاعة صوت العراق الحر) صبيحة 1011/3/30 أبدت مخاوفها من مستقبل الوضع السياسي في العراق بعد انسحاب القوات الأميركية منه نهاية العام الحالي، وخاصة (إن المناطق المتنازع عليها) على حد زعم التقرير تشكل بما هي عليه الآن بؤرة قابلة للانفجار إن لم تعالج بموضوعية، وفي تعليق تحليلي أكد أحد ساسة العرب أن:"حكام العراق لن يعيروا اهتماما استثنائيا كما في السابق لطروحات الزعماء الكورد لأن الشارع الكوردي منقسم على نفسه مما يسهل عليهم بحسب تقرير المجموعة فرض حل لغير صالح الكورد في تلك المناطق".

ومن جانب آخر تسجل وثائق (ويكيليكس) كما جاء نصا في كتاب صدر حديثا بعنوان (وثائق ويكيليكس، أكبر فضائح التاريخ) فيما يخص كركوك ما يلي: (وعن الوضع النهائي لمدينة كركوك، تبدو السفارة الأميركية مستاءة لأن الإدارة الأميركية لم تعلن يوما سياستها إزاء هذه القضية سوى تكرار: إننا ندعم عمل الأمم المتحدة في العراق (يونامي) للتفاوض مع الأطراف المعنيين بشأن وضع الأراضي المتنازع عليها، في مقدمتها كركوك). ومن يتصفح تقارير ويكيليكس عن العراق يلاحظ إن أكثر ما يقلق الإدارة الأميركية هو ملف كركوك بالتحديد، في سياق الخوف من انفجار الوضع بين العرب والكورد والتركمان.

عبدالرحمن منشد العاصي أحد أعضاء المجلس السياسي العربي في كركوك ادعى في مقابلة تلفزيونية (نعم نشارك في التظاهرات العربية، مستاؤون من التعامل مع ما يسمى بالأحزاب الكوردستانية التي تتواجد مقراتهم في كركوك، ومن مصلحتنا أن يكون العراق عراقا واحدا، وعدم جواز تقسيمه إلى أقاليم، ونرى من الضروري إعادة السلطة إلى الدولة المركزية، وأن يرفرف العلم العراقي على جميع أنحاء العراق، لا على مناطق معينة، ونرى أن الأحزاب الكوردستانية في كركوك ترفع أعلاما أخرى، ونؤكد أن

السليمانية وكركوك وأربيل والعمارة هي محافظات عراقية، وعليه ينبغي أن يكون لها علما واحد، ارجعوا إلى ذويكم أيها الكورد فإن هذه المنطقة ليست لكم وإن سبب حدوث الأزمات هو وجود الأحزاب الكوردستانية، لن نفتخر باسم كوردستان أينما وجد، هنالك شمال العراق الذي يضم بعض المحافظات العراقية كأربيل والسليمانية ودهوك، هنالك انسجام بيننا لم نكن نتوقع أن يتكلم شباب السليمانية باللغة العربية، ويطالبون بتغيير حكومة السليمانية وأربيل، الآن نشعر بارتياح كبير، كركوك جزء من العراق، لن نسمح بضمها إلى إقليم آخر، يجب أن تكون كركوك مستقلة وتابعة للمركز، فأنا الصوت العربي الأصيل والصحيح).

يا سادتي يا كرام من قادة المعارضة الوطنية وأصحاب القرار السياسي في قمة السلطة الوطنية الكوردستانية أنا من موقعي المتواضع كمواطن في كوردستان أناديكم، وأوجه ندائي مخلصا إليكم جميعا: أنقذوا شرف وكرامة ومستقبل شعبكم فإن كان هنالك اختلاف في وجهات النظر فالحديث النبوي الشريف يقول (اختلاف أمتي رحمة) والاختلاف والتباين في وجهات النظر، في النهاية، أمر طبيعي في سياق منعطفات تاريخية كبرى كالتي نعيشها الآن، وإن بإمكان الحوار المسؤول والوطني أن يفضي إلى تصور مشترك وخاصة في القضايا المصيرية، التي لا تحتمل التأجيل، والخلاف بشأنها قاتل. ضعوا مستقبل هذه الأمة المجزأة قبل أي اعتبار آخر، وإن الأمثلة والدروس الأربعة المار ذكرها كفيلة،إن كنتم صادقين وحريصين على مستقبل شعبكم، بنسيان الخلاف والاتفاق على الأهم، والتاريخ لن يرحم، وشعبكم لن يسكت. إنها لحظات تاريخية حاسمة لن تتكرر مرة أخرى بهذا الشكل في المستقل المنظور واردد ويردد معي الشرفاء الوطنيين من كوردستان نداء القائد البيشمركي البسيط: (أنقذوا تفاح برواري بالا، أنقذوا كوردستان).

ما زلت أحلم بالمسيح
وما زلت أخجل

في صفحتها في مجلة الأسبوع العربي التي كانت تصدر في بيروت أواخر ستينات القرن الماضي كتبت الكاتبة اللبنانية الذائعة الصيت ليلى بعلبكي مقالا بعنوان (أحلم بالمسيح وأخجل) تناولت فيه قصة إعجابها بالظاهرة الهيبية التي كانت قد سادت شباب المجتمعات الغربية كشكل من أشكال التمرد والاحتجاج على النظم والتقاليد وأسلوب الحياة في تلك المجتمعات، وتأثرت بها وقلدتها مجاميع من الشباب في دول الشرق الأوسط، وفي مقدمتها لبنان البلد القريب من المجتمعات الأوربية بفعل عوامل التاريخ والجغرافية. حكت ليلى بعلبكي تجربتها مع تلك المجموعات:"تحت تأثير الإعجاب بأفكارهم التي كانت ترفض تبعية الإنسان لتقاليد العمل اليومية الثقيلة على النفوس والتي وصلت إلى بلدي قشورها، عايشت الهيبيين مدة شهر متسكعة في الحدائق والطرقات العامة والنوم في محيط نافورات المياه وحدائق الفنادق الفخمة نتيجة ثقتي بأفكارهم التي وصلت مسامعنا عبر قنوات الإعلام المختلفة وخاصة مظاهرهم العامة التي كانت تشبه السيد المسيح عليه السلام من حيث تطويل شعر الرأس واللحى وارتداء الملابس ذات الأكمام الواسعة. وعندما أصبحت قريبة منهم وعايشتهم تراءى لي الفارق الكبير والبون الشاسع من حيث الجوهر بينهم وبين السيد المسيح وأفكاره، ودعوته المثبتة في متن العهد الجديد،كانوا قذرين في الوقت الذي كان المسيح في منتهى النظافة شكلا وفكرا، وبنتيجة ذلك قررت الابتعاد عنهم نهائيا ولسان حالي يقول أحلم بالمسيح وأخجل.

دافيد بن كورين المولود عام 1886 في مدينة بلونسك البولندية وأول رئيس وزراء لدولة إسرائيل يقول في مذكراته المطبوعة بعدة لغات:"عندما وصلت إسرائيل لم أكن مطاردا في بولونيا ولكن منذ الخامسة من عمري أيقنت أن بولونيا ليست مكانا للعيش، ولن يكون بيتي هنا، وكنت أشعر بأن إسرائيل أرض أجدادي، التي ترجع قصتها إلى أربعة آلاف سنة من التاريخ هي مكاني، قيام دولة إسرائيل لم يكن نتيجة مطاردة اليهود في بلدان العالم المختلفة، إنما كانت مرتبطة بمشروعنا القومي الذي كنا نحلم

به وأصبح حقيقة". ولما أصبح رئيسا لدولة إسرائيل سألته إحدى كاتبات الطابعة التي كانت تعمل معه في مكتبه: هل لديك وقتا للاستراحة..؟

بنغوريون: هل تقصدين وقتا النوم..؟

كاتبة الطابعة: سؤالي هل لك وقت للراحة..؟

التفت بن كوريون صوب الفتاة الجميلة التي كانت تضرب على الآلة الكاتبة وقال لها: إذا كان غرضك التوقف عن الحركة والنظر إلى الجدران المحيطة، وركوب موجة الخيال، كلا.. أنا لن أتوقف عن العمل سواء كنت على رأس الدولة أو خارجها.

نوري سعيد، رحمه الله، كان من أكثر رؤساء الوزارات شهرة وتسنم هذا المنصب ما يقارب خمس عشرة مرة في عمر الحكم الملكي الذي دام 37 سنة (1911–1958) وقد سئل يوما من قبل جالسيه في شرفة حديقة داره التي كانت تطل على نهر دجلة، ماذا ينوي عندما يحال إلى التقاعد بعد هذه الحياة الصاخبة. فكر سعيد قليلا وقام عن كرسيه وهو ينظر برهة إليهم ثم بدأ يؤشر بيده اليمنى إلى نهر دجلة وقال:"أنظروا إلى مياه دجلة..هل كفت يوما عن الجريان..؟ كذلك أنا لن أتوقف عن خدمة بلدي العراق رئيسا للوزارة أو وزيرا أو متقاعد أو معارضا، ولقد كنت خارج الحكم لفترات عديدة، وأراد الفريق بكر صدقي الإيقاع بي بعد نجاح انقلابه على وزارة ياسين الهاشمي ومع هذا لم يجد اليأس طريقا إلى نفسي، العراق ربانا وبفضله أصبحنا رجالا ننعم بخيراته الكثيرة، ونتبوأ المناصب ونعيش في ظله آمنين وسندفن يومافي ثنايا أرضه وترابه فكيف اذا ننسى أفضاله..؟ لن أكف عن خدمة بلدي بيدي وعقلي ولساني والله على ما أقوله شهيد".

التجربة الكوردستانية: البرلمان، الحكومة، الأحزاب، المنظمات والنقابات المهنية والجماهيرية والديمقراطية ومعهم البقية الباقية وهم الكثر من شعب كوردستان هي كلها ملك للجميع، وهي لم تظهر صدفة، بل إنها وليدة قرون من النضال الدامي، وبكل ما تيسر من مستلزمات وتحالفات وخصومات سياسية أستمدت شرعيتها من مصلحة شعب كوردستان، وضرورات تحقيق آماله وطموحاته، مستغلة في ذلك جغرافية المنطقة، والعداوات التقليدية القائمة فيها. صحيح أن التاريخ ظلمنا عبر مساره الخاطئ وأن الجغرافية كان سببا في إيذائنا، فهي لم تخلق من القوى الدولية التي تفكر

وفق مصالحها وخططها المستقبلية، سندا لنا للوصول إلى إقامة تجربة قومية وطنية.. المسيرة كانت طويلة حيث صعدت الألوف المؤلفة قطار النضال في فترات مختلفة وغادره آخرون لم يصمدوا بوجه العنف والعدوان اللذين صنعا التراجيديا الكوردستانية، وخاصة عندما تخلى عنا (الاخوة الأعداء)، حيث كانت (سياستهم غير أخلاقية تجاه الكورد) على حد وزير الخارجية الأميركي الأسبق هنري كيسنجر.

والآن أصبحت التجربة الكوردستانية حقيقة واقعة رغم المخاطر الجدية الآتية من ذئاب المنطقة داخل العراق وخارجه، ولم نجد لحد الآن قرارا سياسيا من الدول الكبرى شبيه بالذي صدر بشأن الكوسوفو وجنوب السودان، ربما لأن تجربتنا في العراق لم ترتبط بفكر ومشروع قومي متكامل. صحيح أننا نعاني من اضطهاد القوى المختلفة ولكن ماذا بشأن مشروعنا القومي لمستقبل بلادنا..؟ منذ ما يقارب العشرين عاما والتجربة الكوردستانية تعيش حالات متفاوتة من التعب والإرهاق والإصابة بأمراض أقل ما يقال عنها أنها من معوقات تطور التجربة، ناهيك عن الخلافات الصبيانية والمجنونة بين أطراف الحركة الوطنية الكوردستانية بشقيها السلطة والمعارضة. فأحزاب السلطة هنا وعلى مر الأعوام العشرين تمادت وتمددت بكثير من اللامبالاة، وكأن السلطة سندا عقاريا باسمها وملكا عضاضا إلى يوم القيامة، الفساد استشرى وظهر على مرأى ومسمع الجميع، المحسوبية أصبحت عنوانا للكبار وقلدوهم الصغار في ذلك، وسياسة الإرضاء أصبحت بابا لدخول المراتب إلى المراكز الحساسة لا لشيء إلا كون المحسوب ابن فلان وبنت فلتان، ثم تطورت إلى الانتماء القروي ثم المديني وثم العشيري، ومن ثمة هيمن الكسل والارتخاء، والمكوث على المواقع بلا حراك، والدفاع عنها مهما كانت التكلفة، حتى لو دفعت التجربة كلها إلى حافة هاوية خطيرة، بعكس ما كان يؤمن به ويعمل بمقتضاه داود بنغورين الذي لم يجد طعما للراحة قبل تشكيل دولتهم وإلى ما بعد ذلك حتى يوم وفاته..

أين هم ساستنا من المعارضة الوطنية من الخطر الداهم الذي يحدق بالتجربة..؟ وأين هي قراءتهم للأحداث..؟ لقد تناسوا أن الوصول إلى السلطة يجب أن يمر عبر صناديق الانتخابات، وهم ساهموا في الحياة البرلمانية، وأخذوا حصتهم منها، ويحز في قلبي طروحات بعض الأخوة من المعارضة الوطنية بعدم وجود أو بقاء مخاطر تهدد

التجربة، وقد جاء زمن الاستئثار بغنائم السلطة وكأن الله عز وجل أنزل لهم وعدا بذلك من السماء. ربما أجابه بعض الانتقادات هنا وهناك عندما استذكر ما كان يفكر به بنغورين بصدد تحقيق مشروعه القومي بنكران ذات لا مثيل له بين تجارب الشعوب، فأنا أقصد استلهام قوة القادة التاريخيين والمؤسسين، بغض النظر عن طبيعة مشروعهم القومي. ولم أرى بين السلطة والمعارضة الوطنيتين نوري سعيدا آخر يكرس حياته كمياه دجلة لخدمة العراق، العراق الذي سحله ظهيرة يوم قائظ من منتصف تموز عام 1958.

لقد كانت حصتنا من الإحباط أكبر من حصة ليلى بعلبكي وهي تفكر وتحلم بالمسيح. لقد رأينا في ساستنا من المعارضة والسلطة لجهة استعدادهم للتضحية من أجل قضيتنا القومية نوعا من مسيح، ولكن الخجل ينتابني الآن والحزن، الحزن والخجل معا عندما نرى ساستنا الكرام، الذين ما نزال نكن لهم عالي الاحترام والتقدير يتعاركون على مائدة خالية من الكعكة، وهنا لا أقصد كعكة غنائم السلطة، فهي شديدة الدسامة، ولكن قصدي خلو مائدة ساستنا جميعا من كعكة مشروعنا القومي. أجل..ما زلت أفكر بمشروعنا القومي، بيد أنني أشعر الآن بالخجل.

أيها الزملاء والأصدقاء ..لا وداع

وداع واحد في كل حياة..
ذلك الوداع الحزين الذي ينتظر في نهايات الطرق..
حين وضع المهاتما غاندي قصة حياته في كتاب (تجاربي مع الحقيقة) كتب في نهايته فصلا أسماه (الوداع) أجل لقد حول غاندي حياته إلى كتاب، لذلك لزمه أن يكتب فصل الوداع الأخير، يقول غاندي في هذا الفصل:" وإنني لأشعر بالأسى لاضطراري لتوديع القراء، لقد أكدت على الأهمية الكبيرة لتجاربي، ولا أعلم إذا كنت أوفيتها حقها من العرض السليم أم لا، لا يسعني إلا القول: إنني بذلت كل ما في وسعي كي أروي الأحداث أول بأول كما حدثت في الواقع، وقد كان شغلي الشاغل وصف الحقيقة كما تراءت لي، والأسلوب الذي توصلت إليها به، ولقد منحني ذلك صفاء ذهنيا نظرا لأن جل ما أتمناه لي من رواية تجاربي، هو أنها قد تهدي المذبذبين إلى الإيمان (بالحقيقة). والوصول إلى الحقيقة يمر عبر تطهير الذات، يظل الالتزام بقانون الحقيقة حلما زائفا، ولكن الطريق إلى تطهير الذات هو طريق شاق شديد الانحدار، ولتحقيق الطهر التام على المرء أن يتخلص تماما في فكره وكلامه وأفعاله، وأن يسمو على التيارات المتعارضة من حب وكره".
الزعيم الأفريقي الكبير (نيلسون مانديلا) الذي يعتبر من أشهر السجناء السياسيين في العالم نظرا لبقائه ربع قرن في سجون بلاده على أيدي العنصريين البيض عندما كانوا يتحكمون بمصائر الشعوب الإفريقية، أصبح بعد خروجه من السجن زعيما لبلاده جنوب أفريقيا، وأحد رموز الحرية الكبار في العالم، بعد الدورة الأولى ترك منصب الرئاسة، وعندما كان يغادر قصر الرئاسة في (جوهانسبوغ) استقبله عدد كبير من الصحفيين أفارقة وأوروبيين تصحبهم عربات التلفزة، وجمهور كبير من أبناء شعبه كانوا يلوحون له بأياديهم. أمطر الصحفيون مانديلا بأسئلة متنوعة وقد شذ أحدهم عن السياق العام للأسئلة التي كانت تدور كلها على محور الإشادة بشخصية الزعيم التاريخي الكبير وتقريظها فسأل مانديلا:هل تعترف بأخطائك، ألست نادما على شيء..؟!

بابتسامة رقيقة كان يوزع نظراته بين الجمهور الواقف منتظرا لعدة ساعات لتحيته، والصحفيين بأسئلتهم الفضولية، أجاب مازحا:"لست ملاكا.. استمرارية العمل تخلق الخطأ، ربما أخطأت أرجو المعذرة، ولكن شفيعي أنني لم أمارس الخطيئة سياسيا واجتماعيا ومهنيا وأواجه شعبي الآن مرفوع الرأس لأنني غفرت حتى لأولئك الذين أساءوا إلي وكانوا يعذبونني".

محمد حسنين هيكل الكاتب والصحفي المصري المعروف يتحدث في كتابه (كلام في السياسة، قضايا ورجال) عن علاقته بالصحافة بعدما اجبر على ترك رئاسة تحرير جريدة (الأهرام) المصرية حيث يقول:"ابتعدت ولكنني لم انفصل بمعنى إني نزلت من فوق خشبة المسرح أيا كان موقعي عليها وحركتي حول هذا الموقع، وانتقلت إلى مقاعد المتفرجين أشاهد وأتابع معنيا بكل ما يجري أمامي ومهتما، وأما عملي وشاغلي الحقيقي وقد تفرغت له بالكامل، فقد كان القلم وليس الخشبة، والورقة البيضاء وليس الستار المخملي للمسرح الذي يكون لونه قرمزي في العادة".

المؤتمر العام الثالث للنقابة على الأبواب، وبعد مضي أربعة عشر عاما منذ بدايات التأسيس في أوائل عام 1997 ابتداء كرئيس للهيئة التأسيسية وانتهاء بنقيب صحفيي كوردستان، حان بالنسبة لي وقت المغادرة، وسجل النقابة في هذه الحقبة حافل بالمنجزات الكبيرة التي تحققت بالتعاون مع زملائي، حيث لم يكن لنا هدف آخر غير (ترسيخ حرية الصحافة، وضمان حقوق الصحفيين في كوردستان). في الوقت الذي كنا نتصدى لمتطلبات العمل المهني والنقابي، كنا نجابه من البعض في الوسط الصحفي والسياسي بحالات منغصة ومواقف محبطة. وقد كنت أشعر أحيانا بالأسى، وأراجع نفسي: هل أوفيت العمل المهني النقابي السليم حقه من البذل..؟ لقد منحتني تلك المراجعات صفاء ذهنيا لأن"جل ما أتمناه لي في رواية تجاربي هو أنها تهدي المذبذبين إلى الإيمان بالحقيقة".

في مشواري المهني الطويل المليء بالتناقضات والمنغصات المتبادلة والطلبات التعجيزية، ربما وقعت في مطبات وأخطاء دون قصد ولسان حالي يردد كلام مانديلا:"أنا لست ملاكا وأرجو المعذرة ولكن شفيعي أنني لم أمارس الخطيئة سياسيا واجتماعيا ومهنيا وأجابه زملائي الآن مرفوع الرأس لأنني غفرت حتى لأولئك الذين

كانوا أساءوا إلي". وقد شعاري أولا وعملي في مختلف المجالات ثانيا ومنذ نصف قرن هو (الوصول إلى الحقيقة) والوصول إليها يمر عبر تطهير الذات ورغم (كونه شاقا وشديد الانحدار) فكان كل كلامي وأعمالي وشعاري في العمل النقابي هو (السمو) على التيارات المتعارضة.

بتعبير مختلف ومع بعض التحوير عما كتبه هيكل أقول في لحظة مغادرتي النقابة:" لئن ابتعدت عن العمل النقابي والصحفي فأنا لن أنفصل عنه، أيا كان موقعي فيه، وحركتي حول هذا الموقع، سأنتقل إلى مقاعد المتفرجين أشاهد وأتابع معنيا بكل ما يجري أمامي ومهتما، وأما عملي وشاغلي الحقيقي وقد أتفرغ له بالكامل فهو القلم وليس خشبة المسرح". أودع مسرح النقابة، أعمالها ومشاكلها ومنغصاتها، وأترك لغيري مهمة قيادة المسيرة النقابية والمهنية، وأعترف أن المهمة في هذا الزمن الردئ شاقة، بيد أنني أتمنى لهم من كل قلبي النجاح في إضافة منجزات جديدة تعزز وتطور العمل الإعلامي والنقابي في كوردستان. لقد كانت النقابة واحدة من أروع وأجمل تجارب حياتي، لا كتابها الوحيد والأخير. ولا وداع، فالحياة أكبر من كل التجارب والكتب، وهي تحفل بالنداءات والغوايات والأشياء الجميلة التي شغلنا الانصراف الكامل إلى العمل النقابي والسياسي عنها، وهي تنتظر منا الالتفات إليها.

في وداع لها

(كلام في السياسة، قضايا ورجال: وجهات نظر مع بداية القرن الواحد والعشرون) كتاب للكاتب والصحفي المصري الكبير الطبعة الثامنة، نوفمبر 1004 يتحدث فيها عن جملة من القضايا المعاصرة ويحاور فيه شخصيات معاصرة بأسلوبه الجذاب والشيق كالملك الأردني الراحل (حسين بن طلال والزعيم الليبي معمر القذافي وملك المغرب الحسن الثاني)، وفي موضوع (حوارات مع القذافي من الأفكار والأزمات والناس والزمن يتحدث هيكل عن علاقته بالصحافة بعدما اجبر على ترك رئاسة تحرير جريدة (الأهرام) المصرية حيث يقول (ابتعدت ولكنني لم انفصل بمعنى إني نزلت من فوق خشبة المسرح أيا موقعي عليها وحركتي حول هذا الموقع – وانتقلت إلى مقاعد المتفرجين أشاهد وأتابع معنيا بكل ما يجري أمامي ومهتما، وأما عملي وشاغلي الحقيقي وقد تفرغت له بالكامل فقد كان القلم وليس الخشبة والورقة البيضاء وليس الستار المخملي للمسرح الذي يكون لونه قرمزي في العادة.

الزعيم الأفريقي الكبير (نيلسون مانديلا) والذي يعتبر من أشهر السجناء السياسيين في العام نظرا لبقائه ربع قرن في سجون بلاده على أيدي (العنصريون البيض) عندما كانوا يحكمون بمصائر الشعوب الإفريقية، وبعد خروجه من السجن (أي مانديلا) أصبح بعد مرور بعض من الوقت زعيم بلاد جنوب أفريقيا وأحد رموزه الكبار حيث ترك الحكم بعد الدورة الأولى منه وعندما كان يغادر قصر الرئاسة في (جوهانسبوغ) التقاه عدد كبير من الصحفيين أفارقة وأوروبيون وعربات التلفزة وجمهور كانوا يحيونه بأياديهم ويدعونه بعيون دامعة وبقلب حزين وأمطر الصحفيون مانديلا بالأسئلة المتنوعة وقد شاذ أحدهم بنوعية الأسئلة عندما سئل مانديلا:

هل تعترف بخطئك، ألست نادما، وماذا بعد؟!

مع ابتسامة رقيقة كان يوزع نظراته بين الجمهور الواقف لتوديعه لعدة ساعات وعلى الصحفيين بأسئلتهم الفضولية فأجاب السائل مازحا: (أنا لست ملاكا) استمرارية العمل تخلق الخطأ فربما أخطأت وأرجو المعذرة ولكن شفيعي فأنني لم أمارس

الخطيئة سياسيا واجتماعيا ومهنيا وأجابه شعبي الآن مرفوع الرأس لأنني غفرت حتى من أولئك الذين كانوا يعذبونني وأساءوا إلي.

تحت عنوان (الوداع) كآخر فصل من كتاب (قصة تجازي مع الحقيقة) للزعيم الهندي الكبير الراحل (المهاتما غاندي) يقول نصا (وأنني لأشعر بالأسى لاضطراري لتوديع القراء، لقد أكدت على الأهمية الكبيرة لتجاربي، ولا أعلم إذا كانت أوفيتها حقها من العرض السليم أم لا، لا يسعني إلا القول: إنني بذلت كل ما في وسعي كي أروي الأحداث أول بأول كما حدث في الواقع وقد كان شغلي الشاغل وصف الحقيقة كما تراءت لي والأسلوب الذي توصلت إليها به، ولقد منحني ذلك صفاء ذهنيا نظرا لأن جل ما أتمناه لي في رواية تجاربي هو أنها قد تهدي المذبذبين إلى الإيمان (بالحقيقة). والوصول إلى الحقيقة يمر عبر تطهير الذات، يظل الالتزام بقانون الحقيقة حلما زائفا ولكن الطريق إلى تطهير الذات هو طريق شاق شديد الانحدار ولتحقيق الطهر التام على المرء أن يتخلص تماما في فكره وكلامه وأفعاله، وأن يسمو عن التيارات المتعارضة من حب وكره.

المؤتمر العام الثالث للنقابة على الأبواب وحان وقت التوديع لي بعد مضي أكثر من عقد من الزمن منذ بدايات التأسيس في أوائل عام 1997 ابتداء كرئيس للهيئة التأسيسية وانتهاء بنقيب صحفيي كوردستان وسجل أعمالي في هذه الفترة خير شاهد عما أنجزناه مع زملائي حيث لم يكن لنا هدف آخر غير (ترسيخ حرية الصحافة، وضمان حقوق الصحفيين في كوردستان) في الوقت الذي كنا نجابه بالعمل المهني فقط (حالات المخصة) وهي بالكثيرة من البعض في الوسط الصحفي والسياسي (وقد كنت أشعر بالأسى) هل أوفيت العمل المهني النقابي السليم ولقد منحني ذلك (أي العمل المهني) (صفاء ذهنيا لأن جل ما أتمناه لي في رواية تجاربي هو انها تهدي المذبذبين إلى الإيمان بالحقيقة).

في مشواري المهني الطويل المليء بالتناقضات والمغصات المتبادلة والطلبات التعجيزية ربما وقعت في مطبات وأخطاء دون قصد ولسان حالي يردد كلام (مانديلا) (أنا لست ملاكا وأرجو المعذرة ولكن شفيعي فأنني لم أمارس الخطيئة سياسيا واجتماعيا ومهنيا وأجابه شعبي الآن مرفوع الرأس لأنني غفرت حتى من أولئك الذين

كانوا أساءوا إلي)، لأن شعاري أولا وعملي في مختلف المجالات ثانيا ومنذ نصف قرن هو (الوصول إلى الحقيقة) والوصول إليها يمر عبر تطهير الذات ورغم (كونه شاقا وشديد الانحدار) فكان كلامي وأعمالي وشعاري هو (السمو) عن التيارات المتعارضة من حب وكره) وبتعبير مختلف ومع بعض التحوير عما كتبه هيكل عن مغادرته لمبنى الأهرام ورئاسة تحريرها أقول (ابتعدت عن العمل النقابي والصحفي ولكنني لن أنفصل أيا كان موقعي عليها وحركتي حول هذا الموقع، وانتقل إلى مقاعد المتفرجين أشاهد وأتابع معنيا بكل ما يجري أمامي ومهتما، وأما عملي وشاغلي الحقيقي وقد أتفرغ له بالكامل فهو القلم وليس خشبة المسرح). أودع مسرح النقابة أعمالها ومشاكلها ومغاصاتها في هذا الزمن الرديء لغيري وأتمنى لهم من قبل قلبي النجاح التام وأدعو (ربي) أن لا تحقق المقولة الاقتصادية التي كان يرددها أستاذي الراحل (د. خزعل البيرماني) الذي كان يدرسنا مادة (الدخل الاقتصادي واستخداماته) في المرحلة الثانية من دراستنا الجامعية عام 1968 (بأن النقود الرديئة قد تطرد النقود الجيدة في السوق من التداول).

اللهم إني بلغت فاشهد

والسلام عليكم

إنها جنازة لرجل! *

يتحدث الكاتب والصحفي المصري الكبير (محمد حسنين هيكل) في كتابه "كلام في السياسة" عن (قضايا ورجال، وجهات نظر) ومواضيع اخرى منها (كلنتون وستار السياسة والقانون و الحب والحرب في عصور مختلفة + شخصية الملك حسين، ضرورات الفهم.. قبل الحكم ولكن إلى اي مدى؟! + حوارات مع القذافي، عن الافكار والازمات والناس والزمن) شارحا في مقدمته اختيار ذلك الاسلوب الذي يسميه (المقال المستطرد–المسترسل في إطار محدد يقدم نفسه للناس، يرون فيه رأيهم. ويحكمون له أو عليه وفق ما يقدرون).

ثم يختتم المقدمة بهذا السطر البليغ حيث يقول فيها: (وفي المبتدأ وفي المنتهى فإن كل تجربة لها قاضي ينظر ويحكم).

منذ زمن طويل تستهويني قراءة ومتابعة كتابات وكتب الاستاذ هيكل لصراحته ودقة المعلومات التي تتضمنها وكذلك رؤيته للشخصيات السياسية المتنفذة من رؤساء وملوك وصحافيين وكتاب كبار بالإضافة إلى اسلوبه السلس والجميل الروائي الذي يضفي في بعض المرات طابع سرد القصص والذي يشد القارئ إلى كتاباته.

عند قراءتي لكتاب (كلام في السياسة) توقفت عدة مرات في محطات معينة من فصول الكتاب على أمل استيعاب هذا الكم الهائل من المعلومات والمواقف التي تروي سيرة بعض الرؤساء والملوك وما صادف الكاتب من امور عند لقائاته معهم حيث سجل اصغر الاشياء واكبرها بنفس الاهمية وجعل من الحوار معهم والعودة إلى الوراء موضوعا متكاملا يفرض على القارئ متابعته إلى النهاية.

وفي احد مواضيع الكاتب المعنون (مفكرات في ملفات ملكية) والذي يبحث عبر حوارات هيكل مع الملك الحسن الثاني (المعلوم والمكتوب في دور الملك الحسن وسياساته) يستطرد هيكل في وصفه لظروف الحوار ومكانه حيث كان قد سجل أدق التفاصيل كما جاء في النص (وكان حديث العشاء على اطراف الفن والأدب والتاريخ، وقد سرت إلينا من بعيد موشحات أندلسية امتزجت مع عبق العطور الملكية فملأت قاعة العشاء بجو مثير للخيال، وكأن ليالي المجد في قرطبة عادت حية نابضة نشوى بالترف والجمال،

وبعد العشاء استأنفنا الحديث من حيث تركناه، الفن. ومن الفن إلى الشعر ومن الشعر إلى السياسة وراح الملك يتحدث عن تجربته في الملك وكان بين ما قاله انه تلقى أول درس ملكي عملي في الملك في أول يوم من ولايته، وكان ذلك أثناء جنازة والده الملك محمد الخامس، كان موكب الجنازة مهيبا تفاعل فيه حزن الشعب مع جلال الملك، فصنع مشهدا مهولا يندر مثله، وفجأة وبقرب الملك صاح شيخ من المشيعين قائلا (الجنازة يرحمكم الله لرجل) وقال الملك الحسن لنفسه–طبقا لروايته–هامسا في اعماقه "نعم الجنازة يرحمكم الله لرجل" ثم اضاف لنفسه أيضا: "ان هذا درس له، فهمها كانت مشاعر الناس واحزانهم أو افراحهم، ومهما كانت أبهة الملك والملك، فان الختام في النهاية جنازة.. وجنازة لرجل، وهذا ما يتبقى من أي حياة.. الرجل.. الانسان.. ما يفعله الإنسان والاثر الذي يتركه بعد ان يستوفي عمره ويحل موعد الرحيل).

استوقفني هذا (الدرس الاول) كما قرأته عبر حوارات هيكل مع الملك الراحل حسن الثاني ملك المغرب وتراى أمام عيني نماذج من سلوك (س) أو (ص) من الناس في هذه الأيام وكأنهم لم يستوعبوا حتى النزر القليل من ألف باء مفاهيم الحياة وجل ما يتحكم بمثل هذه النماذج (المال ،الكرسي، الوظيفة) دون الانتباه إلى ما تتركه هذه الاشياء من أثر سيء له وللمحيطين به ويجعله مسحورا غير آبه بالواقع الذي يعيش فيه، وهنا لا نغالي إذا قلنا بأن قيمة الإنسان تأتي من الأفعال والأثر الجيد وما يقدمه لنفسه وعائلته وشعبه ومن ثم لوطنه.

عندما يتحدث الملك الراحل حسن الثاني عن جنازة والده وعن مظاهر الابهة والفخامة التي رافقت موكب الجنازة في يوم التشييع وعن ما قاله رجل بسيط من وسط المشيعين (إنها جنازة لرجل) واعتبار قول هذا الرجل بأنها (كانت الدرس الأول في حياته كملك) يريد أن يسرد على مسامع هيكل وعبره إلى القارئ بأنه (أي الملك الحسن الثاني) قد تعلم درسا مفاده أن الانسان مهما علا شأنه ومهما أخذ من أموال الدنيا وأحاط نفسه بمظاهر الابهة والفخامة فانه يتحول في النهاية إلى جنازة رجل لا حول له ولا قوة وان ما يخلد سيرته هو ما أفاده للآخرين بعكس الغطرسة التي تأتي غالبا ودائما من الجهل ومن أعماق النفس المريضة والتي تؤذي أولا صاحبها ومن ثم المحيطين به وفي النهاية توقعها في أسفل الدركات.

البساطة في الحياة وفي التعامل مع الآخرين قد لا تعني الابتعاد عن السمو في النفس والاعتزاز بالكرامة وشموخ الذات لكنها تعني حب الناس ونبذ الغطرسة الفارغة التي لا تجلب إلا العار والسخرية والتي تحمل دلالات كبيرة عن ضالة الشخصية المتغطرسة وعدم فهمه للحياة والتي هي عبارة عما يقدمه الإنسان لبني جلدته من أعمال صالحة تمجده في النهاية عندما يتحول الكائن البشري إلى جنازة فحسب والنصيحة المثلى لهؤلاء هي ان عليهم التعلم من الحياة ومن تجارب الآخرين وان لا ينخدعوا بالأنوار الساطعة التي تكون مسلطة عليهم بقوة يوما ما دون ان تنير عقولهم باتجاه خدمة الوطن والناس وعدم الإساءة لهم فعلا وقولا ولن يضرنا إذا ما استوعبنا ما قاله الحكيم والشاعر الفارسي حافظ الشيرازي يوما: (مكتوب على زرقه السماء بأحرف من الذهب: على هذه البسيطة لا يبقى من الناس إلا مآثرها).

*** نشر في مجلة (صوت الآخر) العدد 460 تشرين الثاني 1013.**

صدر للمؤلف:-

1. **المنظمات الجماهيرية الكوردستانية** 1953-1991، **دراسة أولية الطبعة الأولى** 1999 **أربيل**.
1. **ذاكرة الأيام الطبعة الأولى** 1011.
3. **ئەزموونى رۆژنامەوانيم (تجربتي الصحفية) الطبعة الأولى** 1011 **هولير**.
4. **إعادة طبع (ديوان عوني) طبعة مزيدة ومنقحة** 1011 **هولير**.

رقم الإيداع في المكتبة الوطنية لوزارة الثقافة والشباب في إقليم كوردستان (111) **لسنة** 1011